

الإذاعة

لما كان وما يكون بين يدي الساعة

تأليف

أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي

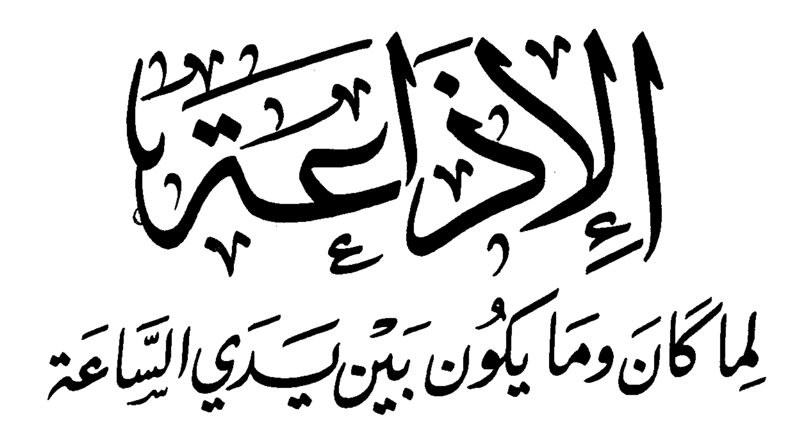
(١٢٤٨-١٣٠٧هـ) = (١٨٣٢ - ١٨٩٠هـ)

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي

دار ابن حزم





تأليف

أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني
البخاري القنوجي
(١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ) = (١٨٣٢ - ١٨٩٠م)

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي

دار ابن حزم





الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

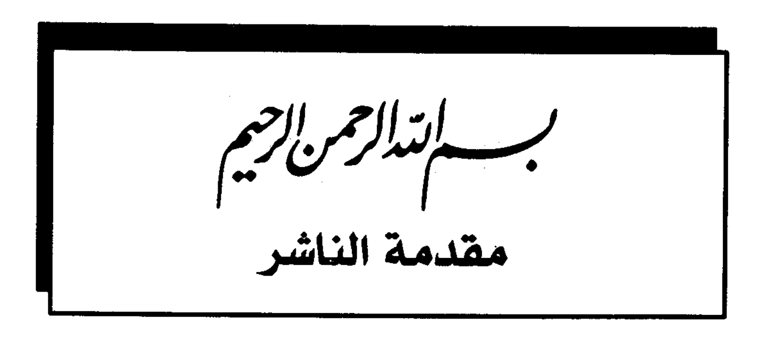


AL-JAFFAN & AL-JABI

Printers - publishers

JAFFAN TRADERS P.O.Box: 4170 Limassol - CYPRUS

Fax: 357 - 5 - 591160 Phone: (05) 583345



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة المؤلف:

أفضل من ترجم له الأستاذ نذير محمد مكتبي في مقدمة نشره لكتاب القِنَّوْجي «العَلَم الخفّاق من علم الاشتقاق»، وقَدْ أُعِيدَ نشر هذه الترجمة مرةً أخرى بعد الزيادة والتنقيح في مجلة «البصائر» العدد الأول من السنة الأولى ١٩٨٥م، الصفحات: ١٥٥ ـ ١٧٥؛ لذلك سأنقل ما ورد هناك مع بعض التنقيح الذي يقتضيه مرور الزمن؛ وها هو نصُّ الترجمة[١]:

---

(١) مصادر ترجمة المؤلِّف:
«التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل» لصدّيق حسن خان: ٣٨١ ـ ٣٨٨، «تاريخ آداب اللغة العربية» لزيدان ٣٦٤/٤ ـ ٣٦٥، «قُرَّة الأعيان ومسرّة الأذهان في مآثر محمد صدّيق حسن خان» لنور الحسن بن صدّيق حسن خان، «هديّة العارفين» ٣٨٨/٢ ـ ٣٩٠، «نزهة الخواطر» ١٨٧/٨ ـ ١٩٥، «معجم المطبوعات» ١٢٠١ ـ ١٢٠٥، «فهرس الفهارس» ٢٦٩/١، «الأعلام» للزركلي ٣٦/٧ ـ ٣٧، «معجم المؤلفين» ٩٠/١٠ ـ ٩١. =

نشأته وحياته:

وُلِدَ العلاّمةُ الكبير السيّد الشّريفُ صدّيق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القِنَّوْجي، يوم الأحد لإِحدى عشرة بقين من جمادىٰ الأُولى سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئتين وألف ببلدة «بانس بريلي». ثمّ رحل مع أمّه إلى قِنَّوْج[1] موطن آبائه الكرام. ولمّا بلَغ السنة السادسة من عمره تُوفّي والده فأصبح يتيماً فقيراً في رِعاية والدتِه. وعُني به أخوه أحمد حسن حيث أشرف على تعليمه وتثقيفه. ثم أخذ يطلُب العلم وهو في مُقْتَبل العمر؛ فقرأ على أساتذة «فرخ آباد» و «كانفور»[2]. ثمّ سافر قاصِداً «بَهُوبَال»[3] بُغية الاسترزاق. فلقي الحفاوةَ من الوزير جمال الدِّين الصِدِّيقي الدَهْلَوي الذي ولاّه الإِشراف على تعليم أسباطه. إلاّ أنّ العلاقةَ فسدت بينه وبين الوزير، فأخرجه

= وفي معظم مصادر ترجمة المؤلِّف اسمه: محمّد صدّيق عدا «نزهة الخواطر» حيث يرد اسمه: صدّيق حسن بدون محمّد، وكذلك نجد في مقدّمة المؤلّف لكتابه «نيل المرام...» حيث يقول: (قال العبد الضعيف الخامل المتواري صدّيق بن حسن بن علي القِنَّوْجي البخاري».

(١) «معجم البلدان» (قنوج) Kannouj؛ قَنُّوج: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره جيم: موضع في بلاد الهند. اهـ. ونصّ على النقْل عن الأزهري.
وفي «القاموس المحيط» (باب الجيم فصل القاف)؛ قِنَّوْج كسِنَّور: بلد بالهند، فتحه محمد بن سُبُكْتكين، وفي «تاج العروس» ٩٠/٢ نحو ما في «القاموس»، وذكر: ومنهم من يُبدل النون ميماً، والذي اختاره المُتَرْجَمُ نفسُهُ: قِنَّوْج كسِنَّوْر؛ كما ورد مثلًا في خاتمة كتاب «نشوة السكران»، عندما تَرْجَمَ لنفسه صفحة: ١٥٨.

(٢) «فَرْخ آباد»: في بلاد الهند قامت فيها إمارة صغيرة أسّسها محمد خان بنكش، توفّي سنة ١٧٤٣م. انظر: «حركة التأليف باللغة العربية...» للدكتور جميل أحمد صفحة ٩٤.
«كانْفُور» أو «كانبور»: مدينة في الهند على نهر الغانج (ولاية أُتربراديش) «المنجد» ٥٨٢.

(٣) «بَهُوبال»: ولاية إقطاعية في أواسط الهند. أنشأها عام ١٧٠٧م دوست محمد خان الجندي الأفغاني، عاصمتها (بَهُوبَال)، وفيها «جامع مسجد» الذي شيّدته الملكة قدسيّة بَيْكَم. انظر: «المنجد».

من «بَهُوبَال»، ثمّ صلح الأمرُ بينهما؛ حيث أدرك الوزير قدْرَه، فاستقدَمه إلى «بَهُوبَال»، وولاّه تحرير «الوقائع»، وزوّجه بابنته.

ولمّا سافر إلى الحجِّ التقى بعدد من علماء اليمن فأخذ عنهم. وعندما رجع إلى «بَهُوبَال» وُلِّيَ منصبَ نظارة المعارف، ثمَّ نظارة ديوان الإِنشاء، ومُنِحَ لقبَ «خان».

ولمّا كان يتردَّد على ملِكة «بَهُوبَال» بحُكْم منصبه، وكانت أيّماً، وقع في قلبها، فتزوّجتْ به، وأسندتْ إليه مهامّاً واسعةً، وأقطعتْه أملاكاً شاسعةً، وحاز على لَقب «نواب»، ومُنح حقّ التعظيم في أرجاء الهِنْد.

ثم أخذت المُؤامرات تُحاكُ ضدَّه من جانب الحكومة الإِنكليزيّة، واتهمتْه بالتحريض ضدَّها، والحضّ على الجهاد من خلال رسائله وكتبِه، وأنَّه فرض الحجاب الشرعيّ على مَلِكة «بَهُوبَال»، فانتزعتْ منه ألقاب الإِمارة، وتنكّرت له الوجوه إلاّ زوجته مَلِكة «بَهُوبَال» التي بقيت على حسْن الودِّ، وكامل الإِخلاص والوفاء.

وفاتـه:

وهو في خِضَمِّ مِحنته أصابه مرضُ الاستسقاء، واشتدّ عليه، حتّىٰ فاضت نفسُه في ليلة التاسع والعشرين من جُمادىٰ الآخرة سنة سبعٍ وثلاث مئة وألف، وله من العُمُر تسعٌ وخمسون سنة.

صفاته وأخلاقه:

كان رحمه الله معتدل القامة، مليحَ اللّون مائلاً إلىٰ البياض، ممتلىءَ الوجنات، أَقْنىٰ الأنف، واسعَ الجبين، أسيلَ الوجه، جميلَ المُحَيّا، عريضَ ما بين المنكبين، له لحية قصيرةٌ.

وكان في أخلاقه كثيرَ الحياء، جَمَّ التواضع، لطيفَ المعاملة، حُلوَ المنطق، قليلَ الكلام، قليلَ الغضب، واسعَ الحلم، دائمَ البشر، حسَنَ المعشر.

وكان مُحبّاً للنّاس، مُعترِفاً بالفضل، بريئاً من التذمُّر، قريباً من القَلْب والنفس.

قال فيه صاحبُ كتاب «نُزْهَة الخَوَاطِر»[1]: (ثُمَّ له من حسن الأخلاق أوفرُ حظٍّ وأجلّ، قلّ أن يجد الإِنسانُ مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمتِه).

وكان متعبِّداً محافظاً على صلاة الجماعة على أوَّلَ الوقت، حريصاً على الأدعية المأثورة، مُكثراً من الصلاة على النبيّ ﷺ.

وكان ورعاً مجافياً للحرام والمشبوه، لا يبتغي غير ما أحلّه الشرع. وكانت جميع تلك الخصال الطيّبةِ تُترجم سلوك حياته، وتعكس واقع تصرّفاتِه.

مذهبه الديني:

كان حريصاً على اتّباع السُّنَّة مُقتفياً أثرها، لذا كان يستزيد من قراءة الحديث وحفظه، ويتمسك بآراء الشوكاني، وابن القيّم، وشيخه ابن تيمية. ولكنّه لم يكن من المُغالين في الالتزام الكامل بأفكارهم.

واتُّهم بأنّه كان وهّابيّ المذهب مندفعاً إلى نشره في أرجاء الهِنْد،

---

(١) «نُزهَةَ الخَواطر» تأليف عبدالحيّ بن فخر الدّين الحَسَني مدير ندوة العلماء، لَكَهْنُوء ـ بالهند. المتوفىٰ عام ١٣٤١هـ. طبع عام ٢٠٠٠م في دار ابن حزم ـ بيروت.

إلاّ أنّ الحقَّ خلافُ ذلك. فَرغم مخالفته لكثير من أقوال الفقهاء، واعتراضه على بعض آراء أئمَّة المذاهب الفقهيَّةِ، وخاصّةً الإمام أبو حنيفة. فقد كان يلتزم أحياناً بأقوالهم، حيث جاء أنّه كان يُصلِّي على طريقة الأحناف، فلا يرفع يديه في غير تكبيرة الإِحرام، وكان يُوتر بركعة واحدة، كما في المذهب الشافعي. وبالجُملة، ومن خلال اطّلاعنا على آرائه الفِقهيّة، كان غير ملتزم بمذهب.

ورجّح بعضهم؛ أنّه كان زيديَّ المذهب نظراً لاهتمامه بمؤلّفات الشوكانيّ، وأخذِه الكثير عن تلامذته، وشرحِه لكتب فقه المذهب الزّيْديّ، وخاصّةً «الدُّرَرُ البَهِيَّة» للإمام الشوكاني، حيث شرحه في كتابه «الرَّوْضَة النَّديّة» ولكنّ الناظر في آراء صِدِّيق حسن خان الفِقهيّة، والمتدبّرَ لأفكاره يجد أنّه كان يأخذ من مختلف المذاهب ما يراه موافقاً للسُّنَّة. فلم يكن ملتزماً بمذهب مُعَيَّن. وكان أحياناً يجتهد في بعض المسائل إذا لم يرُق له رأي أصحاب المذاهبِ الفِقهيّة، كما أشرنا إلى ذلك مُسبقاً.

علمه وثقافته:

كان نقيَّ الذهن، سريعَ الخاطر، محبّاً للعلم منذ نعومة أظفاره.

فقد قرأ مختصراتِ النحو والصّرف والبلاغة والمنطق، وبعضَ أجزاءٍ من القُرآن الكريم، ومبادىء الفارسيّة على أخيه أحمد حسن بن أولاد حسن قبل أن ينبت الشَّعرُ في وجهه، ثم أخذ يسعىٰ في مجال طلب العلم، فأخذ النحو والمنطقَ والفقهَ والحديثَ عن أساتذة (فرخ آباد) و (كانفور).

ولمّا نزل على السريّ الفاضلِ (نواب مصطفىٰ خان) في دَهْلي، وكان بيتُه مُلتقىٰ العلماء والشعراءِ والفُضلاءِ والوجهاءِ من مختلف الأصناف والطبقات، فاستفاد بصحبتهم الكثيرَ من المعارف والآداب، ثمّ راح يلتزم عند علماء زمانه يأخُذ عنهم؛ فقرأ «مختصر المعاني»، و «شرح الوقاية»، و «هداية الفقه»، و «التوضيح والتلويح»، و «سلّم العلوم وشروحه»، و «الشمس البازغة»، و «مير زاهد وحواشيه»، و «شرح المواقف»، و «أربعة أجزاء من الجامع الصحيح» للبخاري قراءةً والباقي سماعاً، و «تحرير الأقليدس»، و «ديوان المتنبي»، و «مقامات الحريري» وغيرَها من كتب اللّغة والأدب والفقه والعلوم العَقلية، ولم يكن قد تجاوز زمن عمره الحادية والعشرين.

ولمّا نزل «بَهُوبال»، وأشرف على تعليم أسباط الوزير جمال الدِّين الصِّدِّيقي الدَهْلَوي؛ قرأ في مدّة وجيزة «صحيح مسلم»، و «جامع الترمذي»، و «سنن ابن ماجه»، و «سنن النسائي»، وتلقّىٰ عن قاضي «بَهُوبَال» زين العابدين محسن الأنصاري، وعن الشيخ حسين بن مُحْسن السَبْعي، وغيرهما.

وكان رحمه الله شديدَ التعظيم لأهل العلم، كثيرَ الاعتناء بجمع الكتب النادرة، ونشرِ علوم السنةِ وكتبِ السلف. فكانت مكتبتُه تُعدُّ من أوسع مكتبات أهل زمانه.

وكان لكثرة شغفِه بالعلم ودأْبه على طلبه، يُمضي جُلّ أوقاته في المطالعة، والبحث، والكتابة، واستنساخِ الكتب، والتصانيف النادرة في مُختَلَف أبواب العلم.

وكان يُكثِر من مجالسة الأدباء والفقهاء والمحدِّثين وأرباب العلم؛

فيطارِحُهم المسائلَ، ويجاذِبُهم دقائقَ المباحثات. وجرت بينه وبين كبار علماء زمانه مباحثاتٌ ومناظراتٌ علميّة واسعةٌ، تبادل خلالها رسائل وكُتباً في الردّ على خصومه.

ولعلّ زواجَه من مَلِكة «بَهُوبَال» مكّنه من تحقيق كل ما يصبو إليه من الحصول على مُبتغاه من التآليف والكتب النادرة، وتفرّغِ إلى الاستنساخ والمطالعة والتأليف، ومجالسة أرباب العلم والأدب والحكمة.

ثم نزل به الحُمَام وغشيته منِيَّتُه وهو في انتظارِ على أحرّ من الجمر لطباعةِ آخر تصانيفِه، وهو كتاب «مقالات الإِحسان» في ترجمة كتاب «فتوح الغيب» للشيخ الربّانيّ عبدالقادر الجِيلي.

من خلال ما تقدَّم؛ يَبرُز لنا المؤلِّفُ ـ رحمه الله ـ كواحد من كبار أساطين العلم وزعماءِ الفكر، الذين زوَّدوا التراث الإِسلاميَّ الشرعيَّ واللّغويَّ برافدٍ علميٍّ زاخرٍ، لمس فيه العلماءُ والمفكّرون وتلامذَةُ المعرفة وسائرُ المتعلّمين مَنهلاً دَفاقاً يروي ظمأَ عقولهم وعطشَ أذهانهم ويحرِّك كوامنَ أفكارهم وبواعثَ خواطرهم، ويحقِّق لهم كثيراً ممّا يطمحون إلى معرفته من العلوم، وفهمه من المعارف في مختلف الفنون، وسائر ضُروب العلم.

وحيث أقول هذا؛ إنّما أبتغي إظهار الحقِّ البريء مِن شوائب الرَّيْب، ولكي نضع أصابعنا على جوهر الواقع الذي كان عليه المؤلِّف ـ رحمه الله ـ.

فمن لازم طلبَ العلم جميع دقائق حياته، وباتت مطالعةُ

التصانيف وتأليفُ الكتب أجملَ لحظات عمره، أجدرْ به أن يغدوَ العالم النِّحْرِير، والمعلِّمَ القَدير، والمفكِّر الخبيرَ، الذي لا يُسْبَرُ غورُ معارفه، ولا يُبْلغ شأوُ خواطره.

شيوخه وأساتذته:

أخذ العلم منذ نعومة أظفاره على أخيه أحمد حسن بن أولاد حسن، وقرأ على المفتي صدر الدِّين خان الدَّهْلَوِي قراءةً منتظمةً في مختلف فنون العلم، فأجازه المفتي إجازة خاصةً، ثمّ قرأ علىٰ القاضي زين العابدين بن محسن الأنصاريّ اليمانيّ قراءة واسعةً، وخاصةً مؤلفات القاضي الشوكانيّ. وكذلك أخذ الإجازة من الشيخ حسين بن محسن السَّبْعي الأنصاريّ، والشيخ المعمّر عبدالحق بن فضل الله العثماني النّيوتيني. وقرأ على الشيخ يعقوب بن محمّد أفضل العُمَريّ المهاجِري سِبْط الشيخ عبدالعزيز بن وَليّ الله الدَّهْلَويّ. وبايع العالم الربّانيّ الإِمامَ فضلَ الرّحمٰن أهلَ الله البَكْريَّ المُرَاد آباديّ.

هذا إضافة إلى عدد كبير من علماء زمانه وأساتذة دهره الذين نهل العلمَ من منابع معارفهم، ومن أوعية قرائحهم.

مؤلّفاتـه:

عرفنا من خلال حديثنا عن نشأة المؤلِّف وحياته أنّه كان شَغُوفاً بالمطالعة والتصنيف، حيث كان يغتنم معظمَ أوقاته في الدّرس والبحث، وكان سريعَ الكتابة، حسنَ الخطِّ، كثيرَ العُكوف على نسخ المطوّلات، والمبسوطات، حتى ذكروا: أنّه انتسخ «سنن الدّارمي» عند رجوعه من الحجِّ، وكان راكباً سفينةً وسط بحر هائج متلاطم الموج.

وطَرَق بتصانيفه مختلفَ مجالات العلم وأضْرُبه؛ فصنّف في التفسير والحديث والفقهِ والأصولِ والتاريخِ والأدب واللُّغةِ.

ولكنّ كثيراً من تآليفه كان يغلب عليه طابعُ الجَمْع والنَّقْل. وذكروا: أنّه كان يكثر النَّقل عن الإِمام الشوْكاني.

وكان لمعرفته بعديد من اللّغات الشرقيَّةِ أثرٌ كبير في نقْل كثيرٍ من المعلومات والنصوص التي تضمَّنَتْها مؤلّفات فارسيّة وهنديَّة وغيرُها مما أُلِّف بغير اللُّغة العربيّة.

وقد بلغ عدد مؤلَّفاته بالإِضافة إلى رسائله الصغيرة ثلاثَ مئة مؤلَّفٍ. وقد وردتْ أسماء تصانيفه في بعض كتبه، كما استقصى ذكر غالبها ولدُه الأكبرُ السيّد نور الحُسْن، واستوعبها ابنُه علي حسن في سيرة والده التي سمّاها «**بمآثر صِدّيقي**»، وكذلك أحصى معظمَها الدكتور جميل أحمد في كتابه «حركة التأليف باللّغة العربيّة في الإِقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد».

حرف الألف

١ ـ «أبجد العلوم»[١].

---

(١) يشتمل على ثلاثة أقسام؛ الأول: «الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم» من حيث الفلسفة والتوحيد واللغة والتاريخ، والثاني: «السحاب المركوم المُسَطَّر بأنواع الفنون وأصناف العلوم»، والثالث: «الرّحيق المختوم من تراجم أئمّة العلوم». جمعه المؤلِّف عام ١٢٩٠هـ. طبعة الصدّيقية ببهوبال ١٢٩٦هـ. في ٣ أجزاء وصحائفه ٩٧٠ .وطبع بثلاثة أجزاء وأربعة مجلدات بتحقيق عبدالجبار زكّار، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية. ثم طبع بدار الكتب العلمية ببيروت.

٢ ـ «إتحاف النُّبلاء المتّقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين»[١].

٣ ـ «الاحْتِوَاء على مسألة الاسْتِواء»[٢].

٤ ـ «الإدْرَاك لتخريج أحاديث ردّ الإِشْرَاك»[٣].

٥ ـ «الإِذاعَة لما كان وما يكون بين يديّ السَّاعة»[٤].

٦ ـ «أربعون حديثاً في فضائل الحجّ والعُمْرة»[٥].

٧ ـ «إفادة الشُّيوخ بمقدار النّاسِخ والمَنْسوخ»[٦].

---

(١) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدّمة «نيل المرام»، مطبع نظامي كانفور، ١٢٨٨هـ، وبتحقيق أحمد يوسف ـ المكتبة التجارية مصر ١٩٦٣م، وفي «إيضاح المكنون» ٢١/١.

(٢) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن المصدر السابق، وفي «إيضاح المكنون» ٣٢/١. طبع في مطبع كلشن أوده، لكهنو، ١٢٨٥هـ.

(٣) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن المصدر السابق، وفي «إيضاح المكنون» ٥١/١. طبع في مطبع نظامي، كانفور، الهند.

(٤) مطبوع ببهوبال ١٢٩٣هـ، والجوائب بالآستانة ١٢٩٣هـ، ومطبعة المدني بمصر ١٩٥٩م، في ١٩٦ صفحة؛ وطبع طبعات أخرى كثيرة.

ويذكر صاحب معجم المطبوعات صفحة ١٢٠٤ أنّ كتاب «الإذاعة. . .» هو نفسه كتاب «العِبْرة مما جاء. . .» إلّا أنّ الصواب خلاف ذلك فكتاب العبرة هو غير كتاب «الإذاعة». حيث ينوّه المؤلِّف في نهاية كتاب «الإذاعة» إلى تأليفه كتاب «العِبْرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة» ويقول ما نصّه: «هذا آخر القصيدة المُبْكِية علىٰ ذهاب شوكة الإسلام المُبِيْنة عن تغيُّر أحوال الشهور والأعوام. ولما كان فيها التحريض على الغزو وحماية الدِّين، ألّفنا في ذلك كتاباً مختصراً جامعاً لفضائله وأحكامه، وسمّيناه «بالعِبْرة مما جاء في الغزو والشهادة والهِجْرة»، وقضينا وطر الإبلاغ والتبليغ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ والجهاد باللسان أحد الأقسام». وهو هذا الكتاب الذي بين يديك.

(٥) مطبوع ببهوبال.

(٦) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ١٠٧/١.

٨ ـ «الإِكْسِير في أُصُول التَّفْسير»[١].

٩ ـ «إِكْليل الكَرَامة، في تِبْيان مَقَاصد الإِمَامَة»[٢].

١٠ ـ «الانتقاد الرَّجِيح في شَرْح الاعتقادِ الصَّحِيح»[٣].

حرف الباء الموحّدة

١١ ـ «بُغْيَة الرّائد في شرح العَقَائد»[٤].

١٢ ـ «البُلْغة في أُصُول اللّغة»[٥].

١٣ ـ «بُلُوغ السُّول من أَقْضية الرسول»[٦].

حرف التاء الفوقيّة

١٤ ـ «تَميمَة الصَّبِي في تَرْجمة الأَرْبَعين من أحاديث النَّبِيّ»[٧].

---

(١) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ١/١١٦.

(٢) مطبوع ببهوبال سنة ١٢٩٤هـ في ٢٤٨ صفحة. وأعيد طبعه عام ١٩٩٠م، بدون ذكر مكان أو ناشر.

(٣) مطبوع في لكهنو، مطبع علوي، سنة ١٢٨٤هـ.

(٤) ذكَرَهُ ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ١/١٨٧ .وطبع في مطبع علوي، لكهنو.

(٥) يشتمل علىٰ بيان اللغة وحدّها ووضعها ومبدئها. طبعة الشاهجهانية سنة ١٢٩٤هـ، والجوائب سنة ١٢٩٦هـ، في ١٨٩ صفحة. وأعيد طباعته محقّقاً ومفهرساً من قبل الأستاذ نذير محمد مكتبي لدى دار البشائر الإسلامية ببيروت عام ١٩٨٨م.

(٦) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ١/٩٦.

(٧) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدّمة «نيل المرام» تحقيق أحمد يوسف ـ طبع المكتبة التجارية مصر ١٩٦٣، وفي «إيضاح المكنون» ١/٣٢٢.

حرف الثاء المثلّثة

١٥ ـ «ثِمَار التَّنْكِيت في شَرْح أَبيات التَّثْبِيت»[١].

حرف الجيم

١٦ ـ «الجَنَّة في الأُسْوة الحسنة بالسُّنَّة»[٢].

حرف الحاء المهملة

١٧ ـ «حُجَج الكرامة في آثار القِيامة»[٣].

١٨ ـ «الحِرْزُ المكْنُون من لفظ المَعْصُوم المَأْمُون»[٤].

١٩ ـ «حُصُول المَأْمُول من علم الأُصول»[٥].

٢٠ ـ «الحِيطة بذكر الصِّحَاح السِّتَّة»[٦].

---

(١) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدّمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ٣٤٦/١، مطبع شاهجاني، بهوبال، ١٢٩٣هـ.

(٢) مطبوع ببهوبال سنة ١٢٩٠هـ.

(٣) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن المصدر السابق، وفي «إيضاح المكنون» ٣٩٢/١.

(٤) كتاب في الحديث، مطبوع ببهوبال.

(٥) هو تلخيص لكتاب «إرشاد الفحول» للقاضي محمّد علي الشوكاني في أصول الفقه مطبوع، طبعة الجوائب ١٢٩٦هـ، وطبعة مصر ١٣٣٨هـ، وطبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٥٧هـ، في ١٩٠ صفحة.

(٦) طبعة النّظامية بكانبور ١٢٨٣هـ. وهو كتاب في مصطلح الحديث ذكره صاحب معجم المطبوعات (١٢٠٣) باسم: «الخطّة بذكر. . .»، وذكره الدكتور جميل أحمد في كتابه «حركة التأليف باللغة العربية. . .» باسم: «الحِطّة في ذكر. . .». صفحة ٢٧٧، بينما ذكره ابنه باسم «الحيطة بذكر الصحاح الستة». وطبع باسم «الحِطَّة في ذكر الصحاح الستة» بتحقيق علي حسن عبدالحميد، بدار الجيل ببيروت، ودار عمار بعمان سنة ١٩٨٧م.

حرف الخاء المعجمة

٢١ ـ «خَبيئة الأكْوان في افتراق الأُمَم على المذاهب والأدْيان»[١].

حرف الدال المهملة

٢٢ ـ «دليل الطَّالب على أرْجَح المَطَالب»[٢].

حرف الذّال

٢٣ ـ «ذُخْر المُحْتي من آداب المُفْتِي»[٣].

حرف الرّاء المهملة

٢٤ ـ «رِحْلة الصِدّيق إلى البَيْت العَتِيق»[٤].

٢٥ ـ «الرَّوْضة النَّديّة في شرح الدُّرَر البَهِيّة»[٥].

٢٦ ـ «رياض الجَنَّة في تراجم أهل السُّنَّة»[٦].

---

(١) طبعة الجوائب ١٢٩٦هـ، في «آخر لقطة العجلان»، طبعة كانبور. وحديثاً في دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن المصدر السابق، وفي «إيضاح المكنون» ٤٧٩/١.

(٣) مطبوع ببهوبال ١٢٩٤هـ، وفي «معجم المطبوعات» ١٢٠٣ ذكره باسم «ذخر الحتي من آداب المفتي» ضمن مجموعة.

(٤) طبعة العلويّة بلكهنو ١٢٨٩هـ؛ وبتصحيح وتعليق عبدالحكيم شرف الدين، دار ابن القيم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

(٥) كتاب في الفقه، شرح فيه المؤلّف كتاب القاضي محمد علي الشوكاني «الدّرر البهيّة»، وهو (جزءان). مطبوع؛ المطبعة العلوية بلكهنو ١٢٩٠هـ، ومصر ١٢٩٦هـ، والمطبعة المنيرية بمصر مراجعة وتحقيق القاضي الشرعي أحمد محمّد شاكر ج١: ٢٨٣ صفحة، ج٢: ٣٧٥ صفحة، وطبع سنة ١٩٩٣ بتعليق وتخريج محمد صبحي حلاق، بالرياض.

(٦) مجهول.

حرف السين المهملة

٢٧ ـ «السَّحاب المَرْكُوم في بيان أنواع الفُنُون وأسماء العلوم»[١]. وهو القسم الثاني من كتاب «أَبْجَد العُلُوم».

٢٨ ـ «سِلْسِلة العسْجَد في ذكر مشايخ السَّنَد»[٢].

حرف الشين المُعْجَمة

٢٩ ـ «شمع أنجمن في ذكر شعراء الفرس وأشعارهم» (بالفارسية)[٣].

حرف الضاد المعجمة

٣٠ ـ «ضالّة النَّاشد الكَئيب في شرح المنظوم المسمّىٰ بتأْنيس الغريب»[٤].

حرف الظاء المعجمة

٣١ ـ «ظَفَر اللاّضي بما يجب في القضاء على القاضي»[٥].

حرف العين المهملة

٣٢ ـ «العِبْرة مِمّا جاء في الغَزوِ والشَّهادة والهِجْرة»[٦].

---

(١) الجزء الثاني من كتاب أبجد العلوم، وسبق ذكره في حرف الألف.

(٢) ذكره «إيضاح المكنون» ٢٢/٢.

(٣) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام» تحقيق أحمد يوسف، طبع المكتبة التجارية مصر ١٩٦٣م، وفي «إيضاح المكنون» ٥٧/٢.

(٤) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام»، وفي «إيضاح المكنون» ٧٣/٢.

(٥) مطبعة الصديقيّة بهوبال ١٢٩٤هـ، وطبع ١٩٨١ في المكتبة السلفية بلاهور.

(٦) مطبوع ببهوبال عام ١٢٩٤هـ، وطبع حديثاً بدار الكتب العلمية ببيروت.

٣٣ ـ «عَوْن الباري بحلّ أدلّةِ البُخَاري»[١].

٣٤ ـ «العَلَم الخفّاق من عِلْم الاشتقاق»[٢].

حرف الغين المعجمة

٣٥ ـ «غُصن البَان، المُورق بمُحسِّنات البيان»[٣].

٣٦ ـ «غُنْيَة القاري في ترجمة ثُلاثِيّات البُخَاري»[٤].

حرف الفاء

٣٧ ـ «فتحُ البيان في مقاصِدِ القُرْآن» (أربعة مجلدات)[٥].

٣٨ ـ «فتح المُغِيث بفقه الحديث»[٦].

٣٩ ـ «الفَرْع النَّامي من الأَصْل السَّامي»[٧].

---

(١) شرح كتاب «التجريد» مختصر البخاري للزبيدي؛ طبعة بولاق ١٢٩٧هـ، في (٨ أجزاء)؛ بهوبال ١٢٩٩هـ. (جزءان)، وطبع بهامش «نيل الأوطار» أيضاً. وطبع بحلب، دار الرشيد عام ١٩٨٤، في ٥ مجلدات.

(٢) طبع عام ١٢٩٤هـ. في المطبع الشاهجاني، بهوبال، وعام ١٢٩٦هـ. في مطبعة الجوائب بإستانبول، وفي مصر عام ١٣٤٦هـ. وأخيراً بتحقيق الأستاذ نذير محمد مكتبي لدى دار البصائر بدمشق عام ١٩٨٥م.

(٣) يشتمل على ثلاثة علوم: علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع؛ طبعة الجوائب، وبهوبال ١٢٩٤هـ.

(٤) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدمة «نيل المرام» تحقيق أحمد يوسف، وفي «إيضاح المكنون» ٢/١٥٠.

(٥) مطبوع ببهوبال، والمطبعة الكبرى الميريّة بالقاهرة ١٣٠٠ ـ ١٣٠٢هـ. في عشرة أجزاء. وكذلك في القاهرة سنة ١٩٦٥، مطبعة العاصمة.

(٦) ذكره ولده أبو الخير الطيب، نقلًا عن مقدّمة «نيل المرام» تحقيق أحمد يوسف، المكتبة التجارية مصر ١٩٦٣، وفي «إيضاح المكنون» ٢/١٧٣.

(٧) كتاب باللغة الفارسية. كما ذكره حسين بن محسن السبعي في مقدّمة «نيل الأوطار». مطبوع ببهوبال.

حرف القاف

٤٠ ـ «قَصْدُ السَّبيل إلى ذَمِّ الكلام والتَّأويل»[١].

٤١ ـ «قضاءُ الأَرَب من مَسْألةِ النَّسَب»[٢].

٤٢ ـ «قَطْفُ الثَّمَر من عَقَائِد أَهْل الأَثَر»[٣].

حرف الكاف

٤٣ ـ «كَشْفُ الالتِبَاس عما وَسْوَس بهِ الخَنَّاس» (باللغة الهندية).

حرف اللام

٤٤ ـ «لفُّ القِمَاط على تَصْحيح بعض ما استعمله العَامّة من المُوَلَّد والمُعَرَّب والأَغْلاط»[٤].

٤٥ ـ «لُقْطة العَجْلان مما تمسّ إلى معرفته حاجة الإِنسان»[٥].

حرف الميم

٤٦ ـ «مُثير ساكِن الغَرَام إلى رَوْضات دار السَّلام»[٦].

٤٧ ـ «مِسْك الختام شرح بُلُوغ المَرَام»، (في مجلدين)[٧].

---

(١) مطبوع ببهوبال ١٢٩٠هـ.

(٢) مطبوع بكانبور ١٢٨٣هـ.

(٣) مطبوع بكانبور، مطبع نظامي، ١٢٩٠هـ.

(٤) مطبوع ببهوبال سنة ١٢٩١هـ، وسنة ١٢٩٦هـ.

(٥) كتاب يتحدث عن تواريخ الأمم السالفة ويذكر الليالي، والأيام، والشهور، والأعوام، والساعات، والدقائق، وفصول العام: مطبعة الجوائب، ١٢٩٦هـ. وطبعته دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٥هـ.

(٦) كتاب يتحدّث عن الجَنّة وأهل الجنّة، مطبعة النظاميّة بكانبور، ١٢٨٩هـ.

(٧) ذكره ولده أبو الخير الطيب نور الحسن، نقلًا عن مقدّمة «نيل المرام» تحقيق أحمد يوسف، وفي «إيضاح المكنون» ٢/٤٧٩.

٤٨ ـ «مَنهج الوُصول إلى اصطلاح أحاديث الرَّسُول»[١].

٤٩ ـ «المَوْعظة الحَسَنة بما يخطب به في شُهُور السّنَة»[٢].

حرف النون

٥٠ ـ «نَشْوة السَّكْران من صَهْبَاء تذْكَار الغِزلان»[٣].

٥١ ـ «نَيْل المَرام من تفسير آيات الأحكام»[٤].

حرف الهاء

٥٢ ـ «هداية السَّائل إلى أدِلَّة المسائل»[٥].

حرف الواو

٥٣ ـ «الوشْي المَرْقوم في بيان أَحْوال العلوم، المنثُور منها والمَنْظوم»، وهو القسم الأول من كتاب «أبجد العلوم»[٦].

(١) ذكره ولده أبو الخير، نقلًا عن المصدر السابق، وفي «إيضاح المكنون» ٢/٢٩٣.

(٢) مطبوع ببهوبال ١٢٩٥هـ، مصر ١٣٠٧هـ، وفي المكتب الإسلامي ببيروت.

(٣) في ذكر أنواع العشق وأحوال العشاق والعشيقات من النسوان، وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهَيَمان: مطبوع ببهوبال سنة ١٢٩٤هـ، الجوائب ١٢٩٦هـ، والمطبعة الرحمانية عام ١٣٣٨هـ ١٩٢٠م. وقد طبع لدى الجفان والجابي للطباعة والنشر، ليماسول، قبرص، سنة ١٩٩٨م.

(٤) طبعة لكهنو ١٢٩٢هـ، مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢هـ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٣هـ، في ٤٠٧ صفحة.

(٥) مجهول.

(٦) القسم الأول من كتاب «أبجد العلوم». سبق ذكره في حرف الألف.

حرف الياء

٥٤ ـ «يقظة أُولي الاعتبار مما ورد في ذكر النّار وأصحاب النّار»[١].

هذا حاصل ما أورده ولدُ المؤلِّف نور الحسن خان.

وهناك مؤلّفات أخرى ذكر بعضَها الدكتور جميل أحمد الأستاذ في القسم العربي بجامعة كراتشي في كتابه «حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهِنْدي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»، ونوردها فيما يلي مع متابعة التَّرتيب الرَّقمي لما ذكرناه:

٥٥ ـ «إحياء المَيْت بذكر مَنَاقِب أهل البيت»[٢].

٥٦ ـ «الإِقْليد، لأدلَّةِ الاجتهاد والتَّقْليد»[٣].

٥٧ ـ «أربعون حَديثاً متواترةً»[٤].

٥٨ ـ «التَّاج المُكلَّل من جَوَاهر مَآثر الطِّراز الآخِرِ والأوَّل»[٥].

٥٩ ـ «تخْريج الوصايا من خبايا الزّوايا»[٦].

٦٠ ـ «التَّذْهِيب شرح التَّهْذِيب»[٧].

---

(١) مطبوع ببهوبال سنة ١٢٩٤هـ؛ وطبعه أسامة محمد عبدالعظيم حمزة، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، بالقاهرة.

(٢) مخطوط.

(٣) مطبعة الجوائب ١٢٩٥هـ، كتاب في (علوم الأصول).

(٤) مطبوع ببهوبال.

(٥) كتاب حافل مشحون بتراجم ٥٤٣ عالماً وعالمة من العالم الإسلامي؛ المطبعة الهنديّة العربية بمبي ١٣٨٣هـ، وأعيد تصويره في لبنان سنة ١٩٨٣م.

(٦) طبعة مصر.

(٧) في علم المنطق، مخطوط.

٦١ ـ «تكْحِيل العُيون، بتصاريف العلوم والفنون»[١].

٦٢ ـ «حُسْن الأُسْوَة بما ثبت من الله ورسوله في النِّسْوة»[٢].

٦٣ ـ «حضرات التجلّي، من نفحات التَّجلّي والتَّخلّي»[٣].

٦٤ ـ «خُلاصة الكشّاف»[٤].

٦٥ ـ «الدِّين الخالص»[٥].

٦٦ ـ «الرّحمة المُهْداة إلى من يريد زيادة القلم على أحاديث المِشْكاة»[٦].

٦٧ ـ «ربيع الأدب»[٧].

٦٨ ـ «الرَّوْض البَسَّام»[٨].

٦٩ ـ «السِّراج الوَهَّاج، من كشف مطالب صحيح مُسْلم بن

---

(١) مخطوط.

(٢) كتاب فريد في نوعه إذ لم يؤلَّف مثله قَطْ، حيث لم يترك المؤلِّف خَلَّة من خلال النساء إلّا أحصاها واستشهد لها بآية كريمة أو بحديث شريف. والكتاب ينقسم إلى مقدّمة وكتابين وخاتمة؛ طبعة الجوائب ١٣٠١هـ، طبعة مؤسّسة الرِّسالة ـ بيروت ١٩٧٩م.

(٣) مطبوع ببهوبال ١٢٩٨م.

(٤) مجهول. ذكر ذلك جميل أحمد في «حركة التأليف باللغة العربية...» وفي «معجم المطبوعات»: طبعة لكناهور ١٢٨٩هـ. وقال: هو مختصر «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري.

(٥) جمع فيه آيات التوحيد الواردة في القرآن الكريم وتوسّع في بيانها، ودقّق في المقارنة التحليلية بين الجاهليتين الأولىٰ والثانية مع التطبيق الواضح من الآيات والأحاديث؛ طبعة دَهْلي ١٣٠١هـ، مطبعة المدني بمصر ١٣٧٩هـ.

(٦) طبعة دهلي.

(٧) مخطوط.

(٨) مجهول.

الحَجّاج»[1].

٧٠ ـ «الطريقة المُثْلىٰ في الإِرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأَوْلى»[2].

٧١ ـ «طلب الأَدَب من أَدب الطَّلب»[3].

٧٢ ـ «الغُنَّة ببشارة أهل الجَنَّة»[4].

٧٣ ـ «الكلمة العَنْبَريَّة في مدح خير البَرّية»[5].

٧٤ ـ «اللِّواء المعقود لتوحيد الرّبّ المَعْبود»[6].

٧٥ ـ «الموائد العَوَائِد، من عيون الأخبار والفَوَائد»[7].

٧٦ ـ «مِلاك السَّعَادة في إفراد الله تعالى بالعبادة»[8].

٧٧ ـ «النَّذير العَرْيان، من دَرَكات المِيزان»[9].

---

(١) مطبوع ببهوبال ١٣٠٢هـ. وكذلك طبعه عبدالله إبراهيم الأنصاري، قطر.

(٢) طبعة الجوائب، الأستانة ١٢٩٦هـ.

(٣) منهُ نسخة مطبوعة في بيشاور (ضمن مجموعة).

(٤) كتاب في التصوّف: طبعة بولاق ١٣٠٢هـ.

(٥) قصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام أوردها ابنه النوّاب السيّد محمد علي حسن خان في «مآثر صديقي» صفحة ٣٨ ـ ٣٢. يقول في مطلعها:

اختـرتُ بيـن أمـاكـن الـغَـبْـراءِ ... دارَ الـكـرامَـةِ بُـقْـعَـة الـزَّوْراءِ
هـل لـي مكـانٌ فيـه أطْلُـبُ راحتـي ... مـن دونِهـا فـي البَـرِّ والـدَّأمـاءِ
مـا فضلُـهـا فـوق المواضِعِ كُلِّـهـا ... إلاّ لـعَـرفٍ فـاحَ فـي الأرجـاءِ
قـلـبـي يطيـرُ إلى طيـورِ مُرُوجِهـا ... وإلـى جِـوار رياضـهـا الـغَـنَّـاءِ

(٦) مجهول.

(٧) جمع فيه حوالي ٣٠٠ حديث نبوي. طبع مطبع صديقي ببهوبال ١٢٩٨هـ.

(٨) طبع ببهوبال.

(٩) مجهول.

وأورد صاحب «هدية العارفين» أسماء بعض مؤلّفات صدّيق حسن خان، منها.

٧٨ ـ «الصَّافية في شرح الشَّافية».

٧٩ ـ «مَراتِعُ الغِزْلان من تذكار أُدَباء الزّمان»[١].

انتهى ما نقلته عن الأستاذ نذير محمد مكتبي مع بعض تعديل وزيادة.

وقد وجدت بعض الكتب في مراجع كتاب اختر جمال لقمان، فرأيت من المفيد إضافتها، وهي:

٨٠ ـ «إبقاء المنن بإلقاء المحن»، طبع في المطبعة الشاهجهانية، بهوبال **١٣٠٥**هـ.

٨١ ـ «ترجمان القرآن بلطائف البيان» مطبع صديقي، رامفور، **١٣٢٣**هـ.

٨٢ ـ «ترجمان وهابية» مطبع سعيد المطابع، بنارس، **١٣١٥**هـ.

---

(١) ذكر الدكتور جميل أحمد في كتابه «حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي...» صفحة **٢٧٧**؛ من مؤلفات صديق حسن خان كتاب «فتح العلام في شرح بلوغ المرام».

وجدت نسخة من هذا الكتاب نشر محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العِلْميَّة بالمدينة المنوّرة تأليف أبي الخير نور الحسن الطيّب بن أبي الطيب صدِّيق حسن خان. ويقول نور الحسن في آخر الكتاب: وأقول عفا الله عني قد تمّ هذا المختصر الملخّص من سبل السَّلام بحمد الله تعالى وعونه في السابع عشر في شهر جمادىٰ الأولىٰ على يد مؤلِّفه أبي الخير نور الحسن خان بن السيد العلّامة أبي الطيّب محمد صدّيق حسن خان. اهـ.

وهذا يعني؛ أن الكتاب المذكور ليس من تأليف صدّيق حسن خان كما ذكر الدكتور جميل أحمد، وإنّما هو لولده نور الحسن الطيّب.

٨٣ ـ «تقوية الإيمان بشرح حديث حلاوة الإيمان» مطبع مفيد عام، آكرة، **١٣٠٢**هـ.

٨٤ ـ «جلب المنفعة في الذب عن الأئمة المجتهدين الأربعة» طبع في آكرة.

٨٥ ـ «حظيرة القدس وذخيرة الأنس» طبع في بهوبال.

٨٦ ـ «خلاصة المعتقد» مطبع سعيد المطابع، بنارس، **١٣٠٦**هـ.

٨٧ ـ «دعاية الإيمان» مطبع شاهجاني، بهوبال، **١٣٠٤**هـ.

٨٨ ـ «دعوة الداع إلى إيثار الاتباع على الابتداع» بهوبال، **١٣٠٥**هـ.

٨٩ ـ «دواء القلب القاسي بتذكير الموت الناسي» مطبع سعيد المطابع، بنارس، **١٣١٩**هـ.

٩٠ ـ «الروض الخضيب من تزكية القلب المنيب» طبع بآكرة.

٩١ ـ «زيادة الإيمان بأعمال الجنان» مطبع مفيد عام، آكرة، **١٣٠٢**.

٩٢ ـ «الشمامة العنبرية في مولد خير البرية» طبع في بهوبال.

٩٣ ـ «عقيدة سني» بهوبال، **١٣٠٥**هـ.

٩٤ ـ «عون الباري لحل أدلة البخاري» طبعة عبدالله إبراهيم الأنصاري، قطر. وراجع رقم: **٣٣**.

٩٥ ـ «المغنم البارد للصادر والوارد» بهوبال.

٩٦ ـ «المقالة الفصيحة في الوصية والنصيحة» مطبوع في الجزء الرابع من «مآثر صديق».

٩٧ ـ «نصب الذريعة إلى تعديد علوم الشريعة» مطبع مفيد عام، آكرة، ١٣٠٤هـ.

٩٨ ـ «هادي القلب السليم إلى درجات جنات النعيم» مطبع سعيد المطابع، بنارس، ١٣٢٣هـ.

٩٩ ـ «وصيت نامه أبو الوفاء».

ومن أراد الزيادة فله أن يراجع: «السيد صديق حسن القِنَّوْجي أراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف» للدكتور اختر جمال لقمان، طبع دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، عام ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

ومن مصادر ترجمته الهامة:

- «إراءة الطريق إلى مؤلفات أبي الطيب الصديق» لسيد سبط أحمد الشهواني.
- «الثقافة الإسلامية في الهند» لعبدالحي الحسني.
- «مآثر صديقي» لأبي نصر سيد محمد علي حسن، مطبع نول كشور، ١٣٤٣، لكهنو.
- «نواب صديق حسن خان» الدكتورة رضية حامد، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، الهند.



مصادر كتاب «الإذاعة»

هذه محاولة لجرد مصادر الكتاب مع ذكر مؤلفيها:

- «كتاب أخبار المهدي» لأبي نُعَيْم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأَصْبَهَاني (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م)، راجع «كتاب المهدي».
- «أدب الطلب ومنتهى الأرب» لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَّوْكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م).
- «كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» لإمام الحَرَمَيْن ركن الدين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ = ١٠٢٨ ـ ١٠٨٥م).
- «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» لعز الدين أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل الحَسَنِي الكَحْلاني ثم الصَّنْعاني المعروف كأسلافه بالأمير، ويلقب المُؤَيَّد بالله ابن المتوكل على الله (١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ = ١٦٨٨ ـ ١٧٦٨م).
- «الإشاعة لأشراط الساعة» لمحمد بن عبدالرسول بن عبدالسَّيِّد البَرْزَنْجي (١٠٤٠ ـ ١١٠٣هـ = ١٦٣٠ ـ ١٦٩١م).
- «الأفراد» لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدَّارَقُطْنِي الشافعي (٣٠٦ ـ ٣٨٥هـ = ٩١٩ ـ ٩٩٥م).
- «اقتضاء الصراط المستقيم إلى مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله النُّمَيْري الحَرَّاني الدِّمَشْقي الحَنْبَلي المشهور بابن تَيْمِيَّة (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م).

- «أعلام الموقعين عن رب العالمين» لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزُّرْعِي الدِّمَشْقي المشهور بابن الْقَيِّم أو ابن قَيِّم الجَوْزِيّة (٦٩١ - ٧٥١هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠م).
- «إغاثة اللهفان من مكايد [مصايد] الشيطان» لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزُّرْعِي الدِّمَشْقي المشهور بابن الْقَيِّم أو ابن قَيِّم الجَوْزِيّة (٦٩١ - ٧٥١هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠م).
- «أم العقائد» من كتب المهدوية.
- «إيثار العقل على النقل» لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله النُّمَيْري الحَرَّاني الدِّمَشْقي الحَنْبَلي المشهور بابن تَيْمِيَّة (٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م).
- «البحور الزاخرة من علوم الآخرة» لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّارِيني (١١١٤ - ١١٨٨هـ = ١٧٠٢ - ١٧٧٤م).
- «البعث والنشور» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الْبَيْهَقِي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦م).
- «بهجة الناظرين» لمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الْكَرْمِي المَقْدِسي الحنبلي (... - ١٠٣٣هـ =... - ١٦٢٤م).
- «بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها»، شرح مختصر صحيح الْبُخَارِيّ المسمى: «جمع النهاية في بدء الخير والغاية» عبدالله بن سعد ابن أبي جمرة (... - ...هـ =... - ...م) والْبُخَارِيّ هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الْمُغِيرَة الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦هـ = ٨١٠ - ٨٧٠م).
- «تاريخ الخلفاء» لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخُضَيْري السُّيُوطي أو الأَسْيُوطِي (٨٤٩ - ٩١١هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥م).
- «التجريد المفيد للتوحيد» لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر الحُسَيْنِي الْعُبَيْدِي الْمَقْرِيزي (٧٦٦ - ٨٤٥هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩م).

- «كتاب تحفة الإخوان في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان» لشهاب الدين أحمد بن حجازي بن بدير الفَشْنِي (... ـ بعد ٩٧٨هـ = ... ـ بعد ١٥٧٠م).
- «تحفة الأنام في العمل بأحاديث خير الأنام» لمحمد حَيَات بن إبراهيم السِّنْدِي المَدَنِي (... ـ ١١٦٣هـ = ... ـ ١٧٥٠م).
- «التذكرة في أحوال الموتى وأمورِ الآخرة» جزءان، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (... ـ ٦٧١هـ = ... ـ ١٢٧٣م) تخريج وتقديم محمود منصور البسطويسي، المدينة النبوية، دار الْبُخَارِيّ.
- «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» لعز الدين أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل الحَسَنِي الكَحْلاني ثم الصَّنْعاني المعروف كأسلافه بالأمير، ويلقب المُؤَيَّد بالله ابن المتوكل على الله (١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ = ١٦٨٨ ـ ١٧٦٨م).
- «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح» لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَّوْكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م).
- «الجامع الصغير» لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخُضَيْري السُّيُوطي أو الأَسْيُوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م).
- «الجمع بين الصحيحين» للحُمَيْدِي، أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فَتُّوح (٤٢٠ ـ ٤٨٨هـ = ١٠٢٩ ـ ١٠٩٥م) المؤرخ والمحدث الأندلسي.
- «الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة» للسيد الشريف أبي الطَّيِّب صدِّيق حسن خان بن أولاد حسن بن أولاد علي الحُسَيْنِي الْبُخَارِيّ القِنَّوْجِي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧هـ = ١٨٣٢ ـ ١٨٩٠م) طبع في بَهوبال، بالهند، سنة ١٢٩٠هـ.
- «حجج الكرامة في آثار القيامة» للسيد الشريف أبي الطَّيِّب صِدِّيق حسن خان بن أولاد حسن بن أولاد علي الحُسَيْنِي الْبُخَارِيّ القِنَّوْجِي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧هـ = ١٨٣٢ ـ ١٨٩٠م).
- «حسن المحاضرة في أخبار [تاريخ] مصر والقاهرة» لجلال الدين

عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخُضَيْري السُّيُوطي أو الأَسْيُوطِي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م).

- «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأَصْبَهَاني (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م).

- «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبدالله الخَزْرَجي الأنصاري اليمني (٩٠٠ ـ ٩٢٣هـ = ١٤٩٥ ـ ١٥١٧م) أعاد طبعة بولاق المطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٠١هـ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله عدة مرات، مع «إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة» للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين بن علي الْكَوْكَباني الصنعاني (١١٢٠ ـ ١١٩١هـ = ١٧٠٨ ـ ١٧٧٧م)؛ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الرابعة سنة ١٤١١هـ.

- «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين» أو «خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين» لأبي القاسم أحمد بن الحسين ابن قَسِيّ الأندلسي (. . . ـ ٥٤٦هـ = . . . ـ ١١٥١م).

- «الدُّرّ المنثور في التفسير بالمأثور» لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخُضَيْري السُّيُوطي أو الأَسْيُوطِي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م).

- «الدُّرّ النضيد في إخلاص [كلمة] التوحيد» لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَّوْكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م).

- «دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب» محمد أمين المغربي (. . . ـ. . .هـ =. . . ـ. . .م).

- «دلائل النبوة» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الْبَيْهَقِي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٦م).

- «رد الإشراك» لمحمد بن إسماعيل بن عبدالغني الدِّهْلَوِي (. . . ـ ١٢٤٧هـ = . . . ـ ١٨٣١م).

- «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله النُّمَيْري الحَرَّاني الدِّمَشْقي الحَنْبَلي

المشهور بابن تَيمِيَّة (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م).

- «سر الشهادتين» لسراج الهند عبدالعزيز بن ولي الله أحمد بن عبدالرحيم العُمَري الفارُوقِي الدِّهْلَوِي (١١٥٩ ـ ١٢٣٩هـ = ١٧٤٦ ـ ١٨٢٤م).
- «سراج المريدين» لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي (... ـ ...هـ = ... ـ ...م).
- «السنن» للترْمذِي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة السلمي البوغي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ = ٨٢٤ ـ ٨٩٢م).
- «السنن» للدَّارَقُطْنِي، أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (٣٠٦ ـ ٣٨٥هـ = ٩١٩ ـ ٩٩٥م).
- «السنن» لأبي داود، سليمان بن الأشعث الأَزْدِي السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ = ٨١٧ ـ ٨٨٩م).
- «السنن» لابن ماجه، أبي عبدالله محمد بن يزيد الربعي القزويني (٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ = ٧٢٤ ـ ٨٨٧م).
- «السنن» بما فيها «الكبرى» للنَّسَائِي، أبي عبدالرحمن أحمد بن علي بن شُعَيْب (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ = ٨٣٠ ـ ٩١٥م).
- «سكردان السلطان» لابن أبي حجلة (... ـ ...هـ = ... ـ ...م).
- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي (... ـ ...هـ = ... ـ ...م).
- «شرح الهمزية» لابن حجر المكي (... ـ ...هـ = ... ـ ...م) راجع «المنح المكية».
- «شرح السنة» للحسين بن مسعود البغوي (... ـ ...هـ = ... ـ ...م).
- «الشفا في حقوق المصطفى» للقاضي عِيَاض، أبي الفضل عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عمرون اليَحْصُبِي السَّبْتِي (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ ـ ١١٤٩م).
- «الشهاب الثاقب» لأحمد بن حسن البُخَارِيّ القنوجي (... ـ ...هـ = ... ـ ...م).
- «الصحيح» للبُخَارِي، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرَة

الجعفي (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ = ٨١٠ ـ ٨٧٠م).

- «الصحيح» لابن خُزَيْمَة، أبي بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة السُلَمِي النَّيسَابُورِي (٢٢٣ ـ ٣١١هـ = ٨٣٨ ـ ٩٢٤م).
- «الصحيح» لِمُسْلِم، أبي الحسين مُسْلِم بن الحجَّاج بن مُسْلِم القُشَيْرِي النَّيسَابُوري (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ = ٨٢٠ ـ ٨٧٥م).
- «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «عجائب المقدور في أخبار تيمور» لابن عربشاه (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «عنقاء مغرب» لمحيي الدين محمد بن علي بن عربي (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «فتح الباري بشرح صحيح الْبُخَارِيّ، هدي الساري مقدمة فتح الباري» لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن حَجَر الكِنَانِي العَسْقَلاني (٧٦٦ ـ ٨٥٢هـ = ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩م)، والْبُخَارِيّ هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغِيرَة الجعفي (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ = ٨١٠ ـ ٨٧٠م)، صاحب «الصحيح» الذي مرّ قبل.
- «الفتن» لنعيم بن حماد المروزي (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «الفرق بين الفرق» أو «الفرق في بيان عقيدة أهل السنة» لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله النُّمَيْري الحَرَّاني الدِّمَشْقي الحَنْبَلي المشهور بابن تَيْمِيَّة (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م).
- «فوائد الأخبار» لأبي بكر الإسكاف (. . . ـ . . . هـ = . . . ـ . . . م).
- «فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر» للمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الْكَرْمي المَقْدِسي الحنبلي (. . . ـ ١٠٣٣هـ = . . . ـ ١٦٢٤م).

- «القاموس المحيط» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (... ـ... هـ = ... ـ... م).
- «قصيدة يحيى القرطبي».
- «قطر الولي في معرفة الولي» لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَّوْكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م).
- «القناعة فيما تمس إليه الحاجة من أشراط الساعة» = «القناعة مما تحسن [يحسن] الإحاطة به من أشراط الساعة» «القناعة بما يحسن التعرف له من أشراط الساعة» «القناعة فيما تحسن [يحسن] إليه الحاجة من أشراط الساعة» لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٣هـ = ... ـ... م). قال في «مؤلفات السخاوي»: طبع بعناية وفهرسة عصام فارس الحرستاني وتخريج محمد الزغلي عن دار البيارق ودار عمار، سنة ١٤١٨هـ بعنوان: «أشراط الساعة». اهـ.
- «قوت القلوب في توحيد علام الغيوب» حسن بن خالد بن عز الدين الحازمي (... ـ... هـ = ... ـ... م).
- «القول المفيد لحكم التقليد» لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَّوْكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤م).
- «الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف» لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخُضَيْري السُّيُوطي أو الأَسْيُوطِي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م).
- «كنز العمال» للمتقي الهندي (... ـ... هـ = ... ـ... م).
- «اللامعة المنيرة» للبقاعي (... ـ... هـ = ... ـ... م).
- «كتاب لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية» لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّارِيني (١١١٤ ـ ١١٨٨هـ = ١٧٠٢ ـ ١٧٧٤م).
- «المتفق والمفترق» للخطيب البغدادي (... ـ... هـ = ... ـ... م).
- «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير الكاتب الجزري (... ـ... هـ = ... ـ... م).

- «مجمع الزوائد» للهيتمي (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م).
- «المستدرك على الصحيحين» للحاكم، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطّهماني النَّيْسَابُورِي، المعروف بابن البيِّع (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ = ٩٣٣ ـ ١٠١٤م).
- «المسند» لأحمد، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (١٦٤ ـ ٢٤١هـ = ٧٨٠ ـ ٨٥٥م).
- «المسند» للبَزَّار، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البَصْرِي (. . . ـ ٢٩٢هـ = . . . ـ ٩٠٥م).
- «المسند» للْحُمَيْدِي شيخ الْبُخَارِيّ صاحب «الصحيح»، أبي بكر عبدالله بن الزبير الحُمَيْدِي الأسدي (. . . ـ ٢١٩هـ = . . . ـ ٨٣٤م).
- «المسند» للدَّارِمي، أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي (١٨١ ـ ٢٥٥هـ = ٧٩٧ ـ ٨٦٩م).
- «مسند الفردوس».
- «مشكاة المصابيح [مصابيح السنة، للبغوي]» محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م) والحسين بن مسعود البغوي (. . . ـ. . . هـ= . . . ـ. . . م)، وشرحها للطيبي (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م) ولأبي عبدالله شهاب الدين فضل الله بن الحسن التُورْبُشْتِي الحنفي (. . . ـ ٦٦١هـ = . . . ـ ١٢٦٣م) واسم كتابه: «الميسر في شرح مصابيح السنة للبغوي».
- «مفردات ألفاظ القرآن» الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م).
- «المنح المكية في شرح الهمزية» أو «أفضل القرى لقراء أم القرى» لأحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المكي (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م).
- «المنهج السديد في الذب عن التقليد» (. . . ـ. . . هـ = . . . ـ. . . م).
- «كتاب المهدي» لأبي نُعَيْم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأَصْبَهَاني (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ = ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م)، راجع «كتاب أخبار المهدي».
- «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» لتقي الدين أبي العباس

أحمد بن علي بن القادر الحسيني العبيدي المَقْرِيزي (... ـ...هـ =... ـ...م).

- «الموطأ» لمالك، أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأَصْبَحِي الحِمْيَرِي (٩٣ ـ ١٧٩هـ = ٧١٢ ـ ٧٩٥م).
- «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (... ـ...هـ =... ـ...م).
- «الهدية المهدوية» لأبي الرجاء محمد الهندي الحيدرآبادي (... ـ...هـ =... ـ...م).
- «كتب ابن دحية» (... ـ...هـ =... ـ...م).
- «كتاب أبي بكر بن أبي خيثمة للأحاديث الواردة في المهدي» (... ـ...هـ =... ـ...م) حسب ما نقل عنه السهيلي ص١٥٧.
- «كتاب محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني الذي جمع فيه الأحاديث القاضية بخروج المهدي وأنه من آل محمد و...» لعز الدين أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل الحَسَنِي الكَحْلاني ثم الصَّنْعاني المعروف كأسلافه بالأمير، ويلقب المُؤَيَّد بالله ابن المتوكل على الله (١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ = ١٦٨٨ ـ ١٧٦٨م).
- «رسالة علي المتقي في المهدي» (... ـ...هـ =... ـ...م).

موضوع الكتاب:

ومن أفضل ما قرأت جمعاً وإفادة لموضوع الكتاب، تعليق للشيخ العلامة عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى كتبه في الصفحة ٦٦ وما بعدها في كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للشيخ محمد أنور شاه الكَشميري الهندي رحمه الله، يقول الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله:

قلت: قد استوفَتْ كتبُ السُّنَّةِ المشرَّفة الأحاديثَ الواردة في أَمَاراتِ الساعة وعلاماتها خيرَ استيفاء، وها أنا ذا أشيرُ إلى بعض تلك

الكتب تيسيراً على من أراد الرجوعَ إليها، فإنَّ قراءتها تُفَتِّحُ الإيمانَ في القلب وتُقَوِّيه، وتكسبُ المؤمنَ بالله خشيةً ورَهْبَةً، وتدعوه أن يعَمْلَ صالحاً، ويَدَّخِرَ طَيِّباً، وتكشفُ له مِن سِجْف الغَيْب عن جزءٍ من حياةٍ ما قبلَ يوم القيامة، ويَتبدَّى له من كلّ ذلك: علمُ اللَّهِ تعالى وقدرةُ اللَّهِ تعالى الذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، كما يَتَبدَّى له صِدقُ النبيِّ الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى صلاة وأطيبَ تحيَّة. فقد رواها البخاري في آخر «صحيحه» تحت عنوان (كتاب الفِتَن): ١٣: ٢ ـ ٩٨ .ورَوَى مسلمٌ بعضَها في أوَّلِ «صحيحه» في (كتاب الإيمان) في (باب رفعِ الأمانةِ والإيمانِ من بعض القلوب) حتى (باب ذكر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام والدجَّال) ٢: ١٦٧ ـ ٢٣٨، ورَوَى بعضَها أيضاً في آخِرِ «صحيحه» تحت عنوان (كتاب الفِتَن وأشراطِ الساعة) ١٨: ٢ ـ ٩٢ .ورواها أبو داود في «سُنَنه» في أواخِرِها تحت عنوان (كتاب الفِتَن والمَلاحم): ٤: ٩٤ ـ ١٢٥ .ورواها الترمذي في «سُنَنه» في أواسطها تحت عنوان (أبواب الفِتَن) ٩: ٢ ـ ١٢٢ .ورواها ابن ماجه في «سننه» في أواخرها تحت عنوان (أبواب الفِتَن) ٢: ١٢٩٥ ـ ١٣٧٢ .ورواها الحافظ نور الدين الهَيْثَمِي في «مجمع الزوائد» تحت عنوان (كتاب الفِتَن) ٧: ٢٢٠ ـ ٣٥١ و٨: ٢ ـ ١٤ .وهو أوسَعُ هذه الكتبِ استيفاءً لذكرِها.

وأفردَها بعضُ العلماء بتآليفَ خاصَّة، وطُبع منها كتاب «الإشاعة لأشراط الساعة» للعلامة محمد البَرْزَنْجِي، وهو كتاب كبيرٌ جداً في موضوعه، يبلغ ٣٠٠ صفحة. وطُبع منها أيضاً كتاب «الإذاعة لما كان و[ما] يكون بين يدي الساعة» للسيد صِدّيق حسن خان الهندي، ويبلغ

نحو ٢٠٠ صفحة. وقراءةُ تلك الأحاديث في مثل كتاب «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» أطيَبُ وأحبُّ.

ومما يلاحظ أنَّ بُعْدَ الناس عن قراءة هذه الأحاديث ومعرفتِها ـ على طول الزمن وامتداد الأيام ـ يُنسِيها من الأذْهان، ويُقَلِّصُها في النفوس، حتى قد يقَعُ الاستبعادُ لها، أو الاستخفافُ بها، أو الإنكارُ لوقوعها ممن لا علم عندهم، ولذلك كان السَّلَفُ يُداومون على تعليم هذه الأحاديث، ويَذْكرونها للنَّاس حتى الأولاد في الكُتَّاب ـ المدرسة ـ، ليتوارثوا معرفتَها، ولتكونَ لهم بها عقيدةٌ راسخةٌ، تَزِيدُ متانةً على مُرورِ الأيام. نَقَلَ العلاَّمةُ الأُبِّيُّ عن «العُتْبِيَّة»: «كان أبو هريرة يَلْقَىٰ الفتىٰ الشابَّ فيقول له: يا ابنَ أخي! إنَّكَ عَسَى أن تَلْقَى عيسىٰ ابنَ مريم، فاقْرَأْهُ مني السَّلام. تحقيقاً لنزوله».

وقد عقَدَ العلامة السَّفَّارينيُّ المتوفَّى سنة ١١٨٨ رحمه الله تعالى في شرح منظومته في العقيدة المسمَّى «لوامع الأسرار البهية» ٢: ١٠٦ تنبيهاتٍ، وقال: التنبيهُ الثالثُ: مما ينبغي لكلِّ عالِمٍ: أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجَّال بين الأولاد والنساء والرجال، وقد قال الإمامُ ابن ماجه: سمعتُ الطَّنافِسِيَّ يقول: سمعتُ المُحاربِيَّ يقول: ينبغي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ ـ يعني حديث الدجَّال ـ إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيانَ في الكُتَّاب. وقد وَرَدَ أنَّ من علامات خروجه نسيانَ ذكره على المنابر. وقد أخرج الإمام أحمد وابن خُزيمة وأبو يَعْلَى والحاكم عن جابر بن عبدالله مرفوعاً: «**يَخرجُ الدجَّالُ في خِفَّةٍ من الدين، وإدبارٍ من العلم**». فينبغي لكلِّ عالم التذكيرُ به ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرَأَبَّتْ فيه الفِتَنُ، وكثُرَتْ فيه المِحَنُ، وانْدَرَسَتْ فيه معالمُ

السُّنَن، وصارت السُّنَّةُ فيه كالبِدَع، والبِدعَةُ شَرْعٌ يُتَّبعَ!». اهـ.

هذه الطبعة:

هي إعادة طبع للكتاب، بالاعتماد على ما طبعه محمد سلطان النمنكاني المدني في مكتبته بالمدينة المنورة، وكذلك ما طبع في مطبعة الجوائب في القسطنطينية عام ١٢٩٣هـ؛ مع تصحيح لبعض الكلمات أو الأسماء بالرجوع إلى المصادر التي نقل عنها، وقد خرّجتُ الآيات والأحاديث ضمن متن الكتاب، وبذلتُ جهدي في تصحيح النص وضبطه وإخراجه بصورة تفيد القارىء.

وفي الختام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ييسرنا للخير ويستعملنا صالحاً ويرحمنا ويغفر لنا ولوالدينا ولكل من له حق علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق ٢٧/٤/٢٠٠٠

بسّام عبدالوهّاب الجابي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْضحَ سبيلَ الهُدىٰ وهَدَىٰ الصراطَ المستقيم ونَصَبَ عليه في كلِّ شيء دليلاً، وبيَّن منهجَ الحقّ ووَعَدَ عليه وَعْدَ الصِّدْقِ لِمَنْ سلكه واستطاع إليه سبيلاً؛ والصلاةُ والسلام على محمد المصطفى وأحمد المُجْتبىٰ الذي بعثه إلى الْخَلْقِ كافَّةً نبياً ورسولاً، وأرسله رحمةً للعالمين تطبيقاً للصورة على المعنى وتنويهاً بالمجاز إلى الحقيقة، ومَن أَصْدقُ مِنَ الله قِيلاً؟ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وحِزْبِهِ الذين قضوا بِالْحَقِّ وبه كانوا يَعْدلون وما بَدَّلوا تبديلاً، فهم أكرمُ الخلق عِلْماً وأَفْضَلُ الناسِ عَمَلاً وأشرفهم قبيلاً وجيلاً.

وبَعْدُ؛ فيقولُ الُوجودُ بين العَدَمَيْن والعَلاوَةُ بَيْنَ العِدْلَيْن أبو الطَّيِّب ابن أبي أحمد بن أبي الحسن الحُسَيْني الْقَنُّوجِيّ البُخَاريّ، ألحقَهُ اللّهُ بِسَلَفِهِ الصّالحين، وجَعَلَ له لسانَ صِدْقٍ في الآخِرِين:

إِنَّ المرادَ مِنْ تأليفِ هذا الكتاب في هذا الزمان المَمْلوء من الآفات والأكدار بالشيء الكثير؛ حِفْظُ جملةٍ صالحةٍ من الأحاديث الوارِدَةِ في أبواب الفِتَنِ وأسْبابها على المسلمين على طريق الاختصار،

وضبطُ أشْرَاطِ السَّاعة التي وَرَدَتْ في الآثارِ، وذَكَرَها عصابةُ أهْلِ الحديثِ في دواوينِهِم الْكِبارِ، تذكرةً لأهْلِ الغَفْلة والاغْتِرارِ، وتبصرةً لأُولي البصائر والأبْصار، الَّذِين أخْلَصَهُمُ الله تَعَالى بخالِصةِ ذِكرىٰ الدّار.

فَعَسَى أَنْ يَنْتَهوا عن بعْضِ الذُّنوبِ، ويَنْتَبِهُوا عن سَنَةِ الْغَفْلَةِ وتلين منهم قاسِياتُ القلوب، ويَغْتَنِموا المُهْلة قَبْلَ الوَهْلة؛ كيف لا؟ والدنيا قد وَلَّتْ جِدّاً وأَذِنتَ بِالانْصِرام، ومَرَّتْ بأَهْلِها مرَّ السَّحابِ وهُمْ نيام!!

كما دلَّت على ذلك أَدِلَّةُ الكِتاب، وأفصَحَتْ به نصوصُ الحديث المسْتَطاب.

أَلَّفْتُه بين يَدَيّ الساعَةِ حين اشْتَعَلَتْ نيرانُ المُلِمَّات، وعمَّت البلايا والفتنُ وتواترت الآفاتُ والنوازِلُ في كلِّ قِطْرٍ من أقطار الأرْضِ على أهْلِ الزَّمن، وعادَ الإسلامُ فيه غَرِيباً كما كان بَدَأَ، لِمَا توالىٰ عليه وعلى أهْلِه مِنَ الحوادِثِ والمِحَن.

والدُّنْيَا لم تُخْلَقْ لِلْبقاء، ولم تَكُنْ دارَ إقامة؛ وإنَّما هي منزلٌ من منازِلِ الآخِرَةِ، ومزرعةٌ للتزوُّدِ منها إلى دِيارِ الأفْراحِ التي نِعَمُها فاخرةٌ ذاخِرَة.

لَعَمْرُكَ مَا الْدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ ... وَلَكِنَّهَا دَارُ انْتِقَالٍ لِمَنْ عَقَلْ
إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وَإِنْ هِي أَقْبَلَتْ ... تَوَلَّتْ وَإِنْ أَعْطَتْ فَأَيَّامُهَا دُوَلْ

وما أحسن قول القائل:

نَزَلْنَاهَا هُنَا ثُمَّ ارْتَحَلْنَا ... كَذَا الدُّنْيَا نُزُولٌ وَارْتِحَالٌ

يَظُنُّ الْمَرْءُ فِي الْدُّنْيَا خُلُوداً　　خُلُودُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ

وَلَنِعْمَ ما قيل:

إنَّمَا الدُّنيا فَنَاءٌ　　لَيْسَ لِلْدُنْيَا ثُبُوتُ
إِنَّمَا الْدُّنْيَا كَبَيْتٍ　　نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ[1]

ولله دَرُّ القائل:

هِي الدُّنْيَا تَقُولُ لِصَاحِبِيْهَا　　حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَلا يَغْرَرْكُمْ مِنِّي ابْتِسَامٌ　　فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

ولِبَعْضِهم ولله دَرُّه:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَىٰ　　وَلَمْ تَرَ بِالْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الْدَّهْرُ
فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ　　عَفَاهَا فَحَالَتْ بَعْدَكَ الرِّيحُ وَالْقَطْرُ
وَهَلْ بَصَرَتْ عَيْنَاك حَيّاً بِمَنْزِلٍ　　عَلَىٰ الدَّهْرِ إِلاّ بِالْعَرَاءِ لَهُ قَبْرُ
فَلاَ تَحْسَبَنَّ الْوَفْرَ مَالاً جَمَعْتَهُ　　وَلٰكِنْ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفْرُ
مَضَىٰ جَامِعُو الأَمْوَالِ لَمْ يَتَزَوَّدُوا　　سِوَىٰ الْفَقْرَ يَا بُوسِي[2] لِمَنْ زَادَهُ الفَقْرُ
فَحَتَّامَ لا تَصْحُو وَقَدْ قَرُبَ الْمَدَىٰ　　وَحَتَّامَ لاَ يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السِّرُّ
بَلْ سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا　　وَتَذْكُرُ قَوْلِي حِينَ لا يَنْفَعِ الذِّكْرُ
فَصَبْراً عَلىٰ الأَيَّامِ حَتَّى تَجُوزَهَا　　فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدُهَا يُحْمَدُ الصَّبْرُ

وسيأتي الكلامُ الحقُّ، والقولُ الصِّدْقِ؛ في أنَّه لا سلامةَ من الخَلْقِ.

---

(١) ينسبان للإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه.
(٢) قوله: بوسي، مخفَّفة مِنْ «بُؤسي» يقال: بئس بؤساً وبئيساً وبؤوساً وبؤسي، وبئس: اشتدَّت حاجَتُه وافْتَقَر، فهو بائِسٌ، كما في «القاموس».

هذا، وأَمْرُ السَّاعَةِ شَديدٌ، وهولُها مَزيدٌ، وأَمَدُها بعيدٌ.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٢].

وأنّ اللَّهَ تَعالى في ذلك اليوْمِ يَحكمُ بين الأولين والآخرين، مِنَ الأحْرارِ والعبيد ويَقْضي لِلمؤمنينَ على الكافرين، ويَميزُ المُخْلِصين له الدِّينَ عن المنافقين.

كما قال سُبْحانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [١١ سورة هود/ الآية: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآية: ٤٦].

وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [٥٥ سورة الرحمن/ الآية: ٣١].

وقال: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [٣٦ سورة يس/ الآية: ٥٩].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٩٧].

وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [١٠ سورة يونس/ الآية: ٤٥].

وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [٢٠ سورة طه/ الآية: ١٠٢].

وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ٢٤].

وقال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [٨٠ سورة عبس/ الآية: ٣٧].

وعن ابن عُمَر رَضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى يَوْم القيامة [كأنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ]، فَلْيَقْرَأْ** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [٨١ سورة التكوير]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [٨٢ سورة الانفطار]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [٨٤ سورة الانشقاق]» أخرجه الترْمذي [رقم: ٣٢٥٦]، وقال: هذا حديث حسن.

فهي السّاعَةُ الموعودُ أمرُها، ولِعِظَمِها أكْثَرَ الناسُ السؤال عنها رسولَ الله ﷺ حتى أنْزلَ اللّهُ عليه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨٧] وَكُلُّ ما عَظُمَ شأنُه تعدَّدَت صفاتُه وكَثُرَت أسماؤه، وهذا مَهْيَعُ[1] كلامِ العَرَبِ، فالقِيامةُ لَمَّا عَظُمَ أمرُها وكَثُرَتْ أهوالُها؛ سَمَّاها اللّهُ في كتابه بأسماء عديدة، وَوَصَفَها بأوصافٍ كثيرة، ذَكَرَها [محمد بن أحمد] القُرْطُبيُّ في «التذكرة» والفشني [أحمد بن حجازي] في «تُحْفَةِ الإخوان [في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان]».

ومِمّا قيل في معنى ما ذَكَرْنا هذا النظم:

مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أيُّها المَغْرُورُ   يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماءُ تَمُورُ
إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهارِ وَأُدْنِيَتْ   حَتَّى عَلَىٰ رُؤُسِ[2] الْعِبَادِ تَسِيرُ

---

(١) قوله: وَهَذَا مَهْيَعُ كلامِ العرب، من هاعَ الشيء: انْبَسَط، فهو مهيع، أي: مبسوط.

(٢) أصله: رؤوس، حذفت واو المد لضرورةِ الشِّعْرِ.

وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
وَإِذَا الْبِحَارُ تَفَجَّرَتْ مِنْ خَوْفِهَا وَرَأَيْتَهَا مِثْلَ الْحَمِيمِ تَفُورُ
وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأُصُولِهَا وَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ وَتَخَرَّبَتْ خَلَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ
وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَىٰ الْقِيَامَةِ حُشِرَتْ وَتَقُولُ لِلأَمْلاكِ: أَيْنَ تَسِيرُ؟
وَإِذَا تُقَاةُ الْمُسْلِمِينَ تَزَوَّجُوا مِنْ حُورِ عِينٍ زَانَهُنَّ شُعُورُ
وَإِذَا الْمَؤُدَةُ[1] سُئِلَتْ عَنْ شَأْنِهَا وَبِأَيِّ ذَنْبٍ قَتْلُهَا مَيْسُورُ؟
وَإِذَا الْجَلِيلُ طَوَىٰ السَّما بِيَمِينِهِ طَيَّ السِّجِلِّ كِتَابُهُ الْمَنْشُورُ
وَإِذَا الصَّحائِفُ عِنْدَ ذَاكَ تَسَاقَطَتْ تَبْدُو لَنَا يَوْمَ الْقِصَاصِ أُمُورُ
وَإِذَا الصَّحَائِفُ نُشِرَتْ فَتَطَايَرَتْ هُتِكَتْ إِذاً لِلْمُذْنِبِينَ سُتُورُ
وَإِذَا السَّماءُ تَكَشَّطَتْ عَنْ أَهْلِهَا وَرَأَيْتَ أَفْلاكَ السَّماءِ تَدُورُ
وَإِذَا الْجَحِيمُ تَسَعَّرَتْ نِيرَانُهَا، فَلَهَا عَلَىٰ أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِيرُ
وَإِذَا الْجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ وتَطَيَّبَتْ لِفَتىً عَلَىٰ طُولِ البَلاءِ صَبُورُ
وَإِذَا الْجَنِينُ مُعَلَّقٌ مَعَ أُمِّهِ يَخْشَى القِصَاصَ وَقَلْبُهُ مَذْعُورُ
هَـذَا بِلاَ ذَنْبٍ يَخَافُ جِنَايَةً كَيْفَ الْمُصِرُّ عَلَى الذُّنوبِ دُهورُ؟

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٤٦].

(١) قوله: المؤدة، أي: المؤودة، مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [٨١ سورة التكوير/ الآيتان: ٨ و ٩] والعلَّةُ في ذلك ضرورةُ الشِّعْرِ، وقصة وأدْ البَنَاتِ لدى العَرَبِ الجاهلية معروفةٌ مشهورةٌ.

وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [٣٠ سورة الروم/ الآية: ١٤].

وهو في القرآن كثير طيِّب.

والسَّاعَةُ: كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بها في العربيَّة عن جُزء من الزَّمان غير محدودٍ.

وفي العُرْفِ: على جُزءٍ من أربعة وعشرين جُزْء من يَوْمٍ وليلة، اللَّذَيْن هما أَصْلُ الأزْمِنَة.

وتقول العربُ: أفعل كذا السَّاعة، وأنا السَّاعة في أمْرِ كذا؛ تريدُ الوقتَ الَّذي أنتَ فيه، والذي يليه تقريباً له.

وحقيقة الإطلاق فيها أنَّ الساعةَ ـ بالألف واللام ـ عبارةٌ ـ في الحقيقة ـ عن الوقت الذي أنتَ فيه، وهو المسمى بـ«الآن».

وسُمِّيَتِ القيامةُ ساعةً، إمّا لِقُرْبِها، فإنّ كلَّ آتٍ قريبٌ؛ وإمّا تَنْبِيهاً على ما فيها من الكائناتِ العِظام، التي تَصْهَرُ الجلودَ وتَكْسِرُ العظامَ.

وقيل: لأنَّها تأتي بَغْتَةً في ساعَةٍ.

وقيل: غير ذلك.

وأمَرُ السَّاعَةِ أقربُ من لَمْحِ البصر، ومِقْدارُ هذا اليوم خمسون ألف سنة، وإنَّ بَيْنَ يديّ الساعة فِتَناً كثيرةً، ومِحَناً أثيرةً؛ أَخْبَرَ عنها النبيُّ ﷺ وبيَّن أَمَاراتِها وعلاماتِها، وأوْضَحَ أشراطَها وآفاتِها؛ ولم يغادِرْ صغيرةً منها ولا كبيرة، ليكونَ أهْلُ كلِّ قرنٍ على حَذَرٍ منها، متهيِّئينَ لها بالأعمالِ الصَّالحة الباقِيَة، غير مُنْهَمِكين في الشَّهوات العادِيَة،

واللذَّات الفانِيَة؛ فأردْتُ أنْ أذْكُرَ أخْبارَ تِلْكَ الفِتَن، وآثارَ هذه المِحَن، في كتابي هذا، في بابٍ بابٍ على حِدَة؛ وأُضَمِّنَهُ فرائدَ شريفة وفوائدَ أثيرة وفاءً للعِدَة.

وَسَمَّيْتُهُ: **«الإذاعة لما كانَ وما يكونُ بين يَدَيّ السَّاعة»** وطَوَيْتُ هذا المؤلَّف على:

مقدِّمةٍ في معنى الفتنة.

وأبوابٍ في ذكْرِ ما جاء من الفِتَن والمِحَن وأشراط القيامة إلى نَفْخِ الصُّور.

وخاتمةٍ في بيان مدّة الدُّنيا وما يناسبها.

وإلى الله ترجع الأمور.

واللَّهَ سبحانه أسألُ أنّ يُخْلِصَ نَيَّتي، ويُحْسِن طَويَّتي؛ فإنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئات؛ وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَى، وَلِلَّهِ سبحانَهُ ما بَقِيَ وما مَضىٰ.



المقدمـة
فـي معنىٰ الفتنة

قالَ أَهْلُ العلْم: الفِتْنَةُ هي المِحْنَةُ والعَذَابُ والشِّدَّةُ وكلُّ مكروه و [كلُّ شيء] آيل إليه، كالكُفْر والإِثْم والفَضِيحَة والفُجُورِ والمُصيبةِ وغيرها من المكارِه، فإنْ كانَتْ من الله فهي على وَجْهِ الحِكْمَة، وإن كانت من الإنسان بغيرِ أمْرِهِ سبحانه فهي مَذْمُومَة.

وقد ذَمَّ اللَّهُ تعالى الإنسانَ بإيقاع الفتنة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ١٩١].

وقــولِــهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [٨٥ سورة البروج/ الآية: ١٠].

قال الرَّاغب [الأصفهاني] [صفحة: ٦٢٣، مادة: فتن]: أَصْلُ الفَتْنِ: إدْخَالُ الذَّهَبِ النَّارَ لتظهر جودتُهُ من رداءتِهِ، ويُسْتَعْمَل في إدخال الإنسانِ النار. انتهى.

قال في «فتح الباري» [٣/١٣] نقلًا عن الراغب الأصفهاني: ويُطْلَقُ على العَذابِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٤٩]، وعلى الاخْتِبار، كقولِهِ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [٢٠ سورة طه/

الآية: ٤٠]؛ وفيما يُدفَعُ إليه الإنسانُ من شِدَّة ورخاءٍ، وفي الشِّدَّة أظهر معنىً وأكثرُ استعمالًا. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٣٥] ومنه قوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٧٣] أي: يوقعونك في بليّة وشدَّة في صَرْفِكَ عن العمل. اهـ.

[ثم قال:] وقال غيرُه: أصَلُ الفِتْنة الاختبارُ، ثُمَّ استُعْمِلَت فيما أخْرَجَتْهُ المحنةُ والاختبارُ إلى المكروهِ.

[وقال ابن حجر في «هدي الساري»: أَصْلُ الفِتْنةِ الاختبارُ والامتحانُ، ثم اسْتُعْمِلَ فيما أخْرَجَهُ الاختبار للمكْرُوهِ؛ ومنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [٣٨ سورة ص/ الآية: ٢٤] وَفَتَنَه، كذا وأفْتَنَه؛ والأوَّلُ أشْهَرُ؛ وجاءَتْ بمعنى الكُفْرِ، وبمعْنىٰ الضلالةِ، وبمعنى الإثْمِ، وبمعْنىٰ العَذاب، وبمعنى ذهاب العقل، وبمعنى الاعتذار؛ فممَّا وَرَدَ بمعنى الاختبار قوله ﷺ: **«الفِتْنَةُ الَّتي تَمُوجُ»** [البخاري، رقم: ٥٢٥؛ مسلم، رقم: ١٤٤] و **«الفتن»** و **«تُفْتَنُونَ في قُبُورِكُمْ»** [البخاري، رقم: ٨٦، مسلم، رقم: ٩٠٥]؛ وبمعنى الكفر، قوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٢١٧]؛ وبمعنى الضلال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٦٢]، قال مجاهد: بضالِّين؛ وبمعنى الإثم، قوله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية: ٤٩]؛ وبمعنى العذاب، قوله: **«فتنة النار»**، ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [٥١ سورة الذاريات/ الآية: ١٤] ونحوه؛ وبمعنى ذهاب العقل **«كدنا أن نفتتن في صلاتنا»** [البخاري، رقم: ٧٥٤]؛ وبمعنى الاعتذار، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [٦ سورة الأنعام/ الآية: ٢٣]، قال ابن عباس:

مَعْذِرَتهم؛ وبمعنى التوبيخ، قوله: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [٩ سوره التوبة/ الآية: ٤٩]، قال: أي: لا توبّخني، وقال غيره: لا تُضلّني. ووردَتْ بمعنى الالتهاء بالشيء عن أَوْلىٰ منه، ومنه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [٦٤ سورة التغابن/ الآية: ١٥]، وبمعنى الدلالةِ علىٰ الشيء، ومنْهُ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية: ٧٣] [عن «هدي الباري» لابن حجر، صفحة: ١٦٥].

قال تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية: ١٦٢] وقال: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ [٦٨ سورة القلم/ الآية: ٦]، وقال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٩]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: ٢٥] أي: اتّقُوا ذَنْباً يَعمُّكم أَثَره، كإقرارِ المُنْكَرِ بَيْنَ أظْهُركم، والمداهنةِ في الأمْرِ بالمعروف، وافتراقِ الكَلِمَةِ، وظهورِ البِدَعِ والتكاسُلِ في الجهاد.

قال القُرْطُبِيّ [«التذكرة» ٢/٣٣٧]: وفي هذا تنبيهٌ بالِغٌ على التَّحذْيرِ مِنَ الفِتَن.



بـاب
فـي اقتراب الساعة ومجيئها

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [٥٤ سورة القمر/ الآية: ١].

وقـــــال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ١٨] أي: أماراتها وعلاماتها.

قال البَغَوِيّ: وكان النبيُّ ﷺ من أشْرَاطِ السَّاعة.

وقـال تـعـالـى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [٣٣ سـورة الأحزاب/ الآية: ٦٣].

وقـال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٦٦﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية: ٦٦].

وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ١].

وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [١٦ سورة النحل/ الآية: ١].

والآيات في ذلك كثيرة.

وعن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَمَا أَجَلُكُمْ فِيمَنْ مَضىٰ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ» رَواه الشَّيْخان [بل فقط البخاري رقم: **٣٤٥٩**].

وفي روايةٍ: **«إِنَّمَا بَقاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلىٰ غُروبِ الشَّمْسِ»**.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بُعِثْتُ أنا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»** أخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: **٦٥٠٤**] ومُسْلِم [رقم: **٢٩٥١**].

وعن المُسْتَوْرِدِ بنِ شَدَّادٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«بُعِثْتُ في نَفَسِ السَّاعَةِ، فَسَبَقْتُهَا كَما سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»** وَأشَارَ بأُصْبُعَيْهِ السَّبابَةِ وَالوُسْطَىٰ. رواه الترمذي [رقم: **٢٢١٣**].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلىٰ آخِرِهِ، فَبَقِيَ مُتَعَلِّقاً بِخَيْطٍ مِنْ آخِرِهِ، يُوشِكُ ذَلِكَ الخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ»** رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ في «شُعَبِ الإيمانِ» [«مشكاة المصابيح»، رقم: **٥٥١٥**].

قَالَ القُرْطُبِيُّ [«التذكرة» **٤٧٣/٢**]: معنى كُلِّها على اخْتِلافِ أَلْفاظِها: تقريبُ أمْرِ السَّاعَةِ التي هي القِيامَة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [**١٦** سورة النحل/ الآية: **٧٧**].

وَعَنْ عَلِيٍّ كرَّمَ اللَّهُ وجْهَهُ: «إِنَّ مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعةِ: ظُهُورُ البوَاسِيرُ، ومَوْتُ الْفُجَاءةِ». انْتهىٰ.

وَالأَحَادِيثُ في البَابِ لا تَكادُ تُحصَى.

ولا يقالُ: كَيْفَ يوصَفُ بالاقْتِرابِ ما قَدْ مَضَى قبلَ وقوعِهِ ألْفٌ ومئتان وأرْبَعٌ وتسعون عاماً؟ لأنَّ الأَجَلَ إذا مَضَى أكثرُه وبَقِيَ أقلُّه فهو قَريبٌ.

وفي «المَثَلِ السَّائِرِ»: ما أقربَ ما هُوَ آتٍ، وما أبْعَدَ ما هُوَ فات.

ولِقُرْبِ قيامِها عنْدَهُ تعالى جَعَلَها اللَّهُ تعالى كَغَدٍ الذي بعد يومِك، فقال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [٥٩ سورة الحشر/ الآية: ١٨] وقـــال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [٧٠ ســـورة المعارج/ الآيتان: ٦ و٧].

ولـمَّا كانَ أمرُ الساعةِ شديداً، كان الاهتمامُ بشأنها أكثرَ من غيرها، ولذلك أكثرَ النبيُّ ﷺ من بيانِ أشْراطِها وأمارَاتِها، وأَخْبَرَ عمَّا بين يدَيْها من الفِتَنِ البعيدةِ والقريبَةِ، ونَبَّه أمَّتَه وحذَّرَها ليتهيَّأوا لتلك العَقَبَةِ الشديدةِ.

ووقتُ مجيئها مِمَا انْفَرَدَ اللَّهُ بِعِلَمِه، وقد ثَبَتَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عن السَّاعَةِ، فقال: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» الحديث، وهو في الصَّحِيحِ [البخاري، رقم: ٥٠؛ مسلم، رقم: ٨] يعرف بحديثِ جبريل.

وهذا يدلُّ على أنَّه لم يكنْ عندَه عِلمٌ به، وقد نَطَقَ به القرآنُ الـكـريـمُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [٧ ســورة الأعراف/ الآية: ١٨٧] فلم يكن يَعْلَمُها هو ولا غيرهُ، وإنَّما أخْفاهُ لأنَّه أصْلَحُ للعبادِ لئلّا يتباطَأوا عن التأهُّبِ والاستعدادِ لَهُ، كما أنَّ خفاءَ وقتِ المَوْتِ أصلحُ لهم وأَنْفَعُ، وقد انتدبَتْ جماعةٌ من أهْلِ العلمِ على

تَعْيين قُرْبِها وزَمَنِ كَوْنها ومجيئِها، واستَدَلُّوا بأحاديث غير صحيحةٍ، وما صحَّ منها فدلالتُها غيرُ صَريحةٍ.

قال السيّدُ العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير اليَماني رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّما ثَبَتَ عنه ﷺ قربُ بِعثَتِهِ منْ قيامِ السَّاعَةِ.

كما أخْرَجَ ابْنِ جَرير [الطَبَريّ]، عَنْه ﷺ: **«مَا مَثَلي ومَثَلُ السَّاعَةِ إلَا كَفَرَسَي رِهَانٍ»** [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٣٣٢**].

ونحْوهُ في حَدِيثِ بُرَيْدَة [بن الحُصَيب]: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعةُ [جَميعاً]، إنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»** أخرجه أحمد [٣٤٨/٥] والطَّبَرَاني [«مجمع الزوائد» ٣١١/١٠].

فهذه الأحاديثُ دالّةٌ على قُرْبِ قيامِ الساعَةِ من مبْعَثِهِ ﷺ.

والإخبارُ عن قُرْبِها من مَبْعَثِه ﷺ، يحتمل أنّه: إخبارٌ عن قُرْبِها عِنْدَ اللَّهِ تعالى، وإنْ كانَتْ بعيدةً، فهي ردٌّ لقَوْلِ المشْرِكين بأنَّه لا قيامَ لها.

وإليه أشارَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [٧٠ سورة المعارج/ الآيتان: ٦ و٧].

ويحتمل أنَّ المُرادَ: قربُ أشراطِها من بعْثَتِهِ ﷺ، وقد ظَهَرَ كثيرٌ من الأشراطِ، وأنَّها ظَهَرَتْ من بَعْدِ وفاتِهِ بقليلٍ، بل قَدْ جَعَل ﷺ موتَهُ من أشراطِها.

وهذا يدلُّ على أنه ﷺ بُعِثَ وقد قَرُبَتْ أشراطُ الساعة، وتقديرُ المضافِ بالقرائنِ ثابتٌ لغةً وكِتاباً وسُنَّةً، ولا نكيرَ فيه.

ويدلّ له ما أخرجَهُ عبدالرزاق [عن عبدالله بن زينب الجُنُدي؛ راجع «كنز العمال»، رقم: ٣٨٦٠٨؛ وليس] عن عُبَادَة بن الصَّامِت رضي الله عنه، أنَّهُ ﷺ قالَ له بَعْد عَدِّهِ لِبَعْضِ أشْراطِهَا: «**إِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ وَالسَّاعَةُ كَهاتَيْن**» أي: انتظر قيامَها.

ثم يدلُّ لِتَقْديرِ المضافِ أمرٌ آخرُ، وهو أنَّه قد مضى بَعْدَ وفاتِهِ ﷺ قريبٌ من اثنتي عشرة مئة ولم تَقُم الساعَةُ، فلا قُرْبَ لقيامِها ببعْثَتِهِ، بل لأشْرَاطِها، ويكونُ حَدِيثُ: «**إِنَّ علامَاتِ السَّاعَةِ كَخَرَزَاتٍ، إِذَا وَقَعَ مِنْهَا شَيءٌ تَبِعَ بَعْضُها بَعْضاً**» [راجع «مسند أحمد»، رقم: ٧٠٠٠] خاصّاً بالعلاماتِ العِظامِ، كخُروجِ الدَّجَّال، ونزولِ عيسى، وطُلوعِ الشَّمْسِ من مَغْرِبها.

وأَمّا تعيينُ زمانِ السَّاعة والقَرْنِ الذي تَقَعُ فيه، فهو غَيْبٌ، لم يأتِ عليه دليلٌ يَنْهَضُ إلاّ أنَّ إتيان أشراطها مُؤْذِنٌ بِقُرْبِها، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ١٨]. انتهى كلامُهُ رحمه الله.



بـاب
فـي فِتَنٍ تكونُ في هٰذهِ الأُمَّةِ

وهي أنواعٌ، سَرَدْتُ أحاديثَها سَرْداً واحِداً:

عن عَدِيّ بن عَمِيرَة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الخَاصَّةِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ على أَنْ يُنْكِرُوهُ [فَلا يُنْكِرُوهُ]، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَةَ وَالْعَامَّةَ**» رواه أحمد [رقم: **١٧٢٦٧**] بسَنَدٍ حَسَنٍ.

وعن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما، قال: «أَمَرَ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ أَنْ لا يُقِرُّوا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِم، فَيَعُمُّهُمُ العَذَابُ» رواه الطبري مَوْقوفاً [في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: **٢٥**].

وَقَدْ حذَّر النبيُّ ﷺ من الفِتنِ في أحاديث كثيرةٍ متضمِّنَة للوَعيدِ عَلى التَّبْدِيلِ وَالإِحْداثِ، لأَنَّ الفِتَنَ غالباً تَنْشأُ عَنْ ذَلِكَ.

وعن أَسْمَاء بنتِ أبي بَكْرٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِي ﷺ، قَالَ: «**أَنَا عَلَىٰ حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي، فَأَقولُ: أُمَّتِي، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَشَوْا عَلَىٰ القَهْقَرَىٰ**» رواه البخاري [رقم: **٧٠٤٨**].

وعن أبي وَائِلٍ، قالَ: قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، قالَ النبيُّ ﷺ: **«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّىٰ إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُم اخْتُلِجُوا دُونِي. فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي؟ يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»** أَخْرَجَه الْبُخَارِي [رقم: **٧٠٤٩**].

أي: ما أَحْدَثُوا مِنَ الارْتِدَادِ عَنِ الإسلام، أو مِنَ المَعاصي الكبيرَةِ البَدَنيَّةِ، أو البِدَعِ الاعْتِقادِيّة؛ قاله القَسْطلاني.

وعن زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنها، أنها قالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرّاً وجْهُهُ، يقول: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هٰذِهِ»** وعَقَدَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة، الرَّاوِي لِهَذَا الْحَدِيثِ؛ تِسْعِينَ، أوْ عَقَدَ مئة؛ قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ! إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»** رواه البخاري [رقم: **٧٠٥٩**].

أي: الزِّنَا وَأَوْلادُ الزِّنَا، أو الفسوقُ وَالْفُجُورُ.

وَفي «الفَتْح» ترجيحُ الأَخير، قَالَ [**١٠٩/١٣**]: لأَنَّهُ قابَلَهُ بِالصَّلاحِ، وإِنَّما خَصَّ العَرَبَ بالذِّكْرِ لأَنَّهُم أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ في الإِسْلامِ.

وَأَوْرَدَهُ القُرْطُبِيُّ في «تَذْكَرتِهِ» في بابِ إقبالِ الْفِتَنِ ونُزُولِها.

وقال: أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بما يَكونُ بعدَهُ مِنَ العَرَبِ وما اسْتَقْبَلَهُم مِنَ الوَيْلِ والْحَرْبِ، وقَدْ وُجِدَ ذَلِكَ بما اسْتُؤْثِرَ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ المُلْكِ والدَّوْلَةِ والأَعْمالِ والإِمَارَةِ، وَصَارَ ذلك في غَيْرِهم من التُّرْكِ والعَجَم، وتشتَّتُوا في الْبَوَادِي بَعْدَ أنْ كَانَ العِزُّ والمُلْكُ والدُّنْيا لَهُم ببَرَكَتِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وما جاءَهُمْ بِهِ مِنَ الدِّين وَالإِسْلامِ، فلمَّا

لَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ وكَفَرُوهَا قَتَلَ بَعْضُهم بَعْضاً، وسَلَبَ بَعْضُهم أموالَ بَعْضِهِم، سَلَبَها اللّهُ مِنهُم وَنَقَلَها إلى غَيْرِهِم، كما قَالَ تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ٣٨]، ولِهَذا قال عُلَماؤنا قَوْلُها: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ! إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»، دَلِيلٌ على أَنَّ الْبَلاءَ قَدْ يُرْفَعُ عَنْ غَيْرِ الصَّالحينِ إِذَا كَثُرَ الصَّالحون، فَأَمَّا إذا كَثُرَ المُفْسِدونَ وقَلَّ الصَّالحون، هَلَكَ المُفْسِدُونَ، والصَّالِحُون مَعَهُم إِذَا لَمْ يَأْمُرُوا أَوْ يَكْرَهُوا، وهو مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحانَه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: ٢٥]، بَلْ يَعمُّ شُؤْمُها مَنْ تَعاطاها وَمَنْ رَضِيَها، هذا بِفَسادِهِ وهَذا بِرِضاه. انتهى.

ومنها حديثُ أَسامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضيَ اللّهُ عَنهُما، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ على أُطُم[1] مِنْ آطامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ ما أَرَىٰ؟**» قالُوا: «لا!» قَالَ: «**فَإِنِّي لأَرَىٰ الْفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيوتِكُمْ كَوَقْعِ القَطْرِ**» أخرجه الشيخان [البخاري، رقم: ٧٠٦؛ مسلم، رقم: ٢٨٨٥].

وحَسُنَ التشبيهُ بالقَطْرِ لإرادَةِ التَّعمْيم. لأَنَّهُ إِذَا وَقَعَ في أَرْضٍ مُعَيَّنَةٍ عَمَّها، ولَوْ وَقَعَ في بَعْضِ جِهاتِها.

وعن كُرْزِ بن عَلْقَمَة الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قال: سَأَلَ رَجُلٌ النبيَّ ﷺ: هَلْ لِلإسْلام مِنْ مُنْتَهَىٰ؟ فقالَ رَسولُ اللّهِ ﷺ: «**نَعَم، أَيُّما أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ العَرَبِ وَالْعَجَم أَرادَ اللّهُ بِهِمْ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلامَ**». فَقالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَالظُّلَلِ**». فقالَ الرَّجُلُ: كلا وَاللّهِ إِنْ شَاءَ اللّهُ. قال: «**بَلىٰ! والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتَعَوُدُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبّاً**

---

(١) الأُطُم: الحصن.

يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ» أخرجه البيهقي [«مسند أحمد»، رقم: **٥٣٥٢**؛ وراجع «كنز العمال»، رقم: **٣١٣٥٢**].

قال الزُّهْرِيِّ: أَسَاوِدَ صُبّاً: الحيَّة السَّوْدَاءُ إِذا أَرادَتْ أَنْ تَنْهَشَ ارْتَفَعَتْ هَكَذَا ثُمَّ انْصَبَّتْ.

وخَرَّجَهُ أَبُو دَاود الطَّيالِسِيّ أيضاً [رقم: **١٢٩٠**].

قال أبو الخَطَّابُ ابن دِحْيَةَ الحافِظ [«تذكرة القرطبي» **٢/٣٣٨**]: هذا حَدِيثٌ لا مَطْعَنَ في صِحَّةِ إِسْنادِهِ.

ورواه القرطبي [«التذكرة» **٢/٣٤٠**] بإسْنادِهِ، وَقَالَ: صُبًّا: جَمْعُ صَابٍ، كغازٍ وغُزّى، وهو الذي يَميلُ ويَلْتَوِي وقْتَ النَّهْشِ ليكون أنْكى في اللَّدْغِ وأشدَّ صَبّاً للِسُّمِّ.

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **«يَتَقَارَبُ الزَّمانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَىٰ الشُّحُّ وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّمَ هُوَ؟[1] قَالَ: **«القَتْلُ الْقَتْلُ»** رواه البُخَارِيُّ [رقم: **٧٠٦١**] ومسلم [رقم: **١٥٧**] والترمذي [بل أبو داود، رقم: **٢٥٥**؛ وابن ماجه، رقم: **٤٠٥٢**].

قال ابن بَطَّال: وجميعُ ما تَضَمَّنَهُ هذا الحديثُ مِنَ الأَشْرَاطِ قد رأَيْنَاهَا عَياناً [«فتح الباري» **١٣/١٦**].

قال في «الفَتْحِ» [**١٣/١٦**]: الَّذي يَظْهَرُ أَنَّ الَّذي شَاهَدَهُ، كانَ مِنْهُ الكَثِيرُ مَعَ وجودِ مقابِلِهِ.

---

(١) قولُهُ: «أَيُّم» هو أصْلُها: أَيُّما حذفت الألف، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟.

وَالمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْتِحْكامُ ذَلِكَ، حتَّىٰ لا يَبْقىٰ مِمّا يقابِلُهُ إلا النَّادِرُ، وَإِلَيْهِ الإِشارَةُ بِالتَّعْبيرِ بقَبْضِ الْعِلْم، فلا يَبْقَىٰ إلا الْجَهْلُ الصِّرْفُ، ولا يَمْنَعُ من ذٰلِكَ وجودُ طائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، لأَنَّهُم يكونُونَ حِينَئِذٍ مغمورِينَ في أُوْلٰئِكَ. . .

والواقِعُ أَنَّ الصِّفَاتِ المذكورةَ وَجَدَتْ مَبَادِيها مِنْ عَهْدِ الصَّحابَةِ، ثُمَّ صَارَتْ تَكْثُرُ في بَعْضِ الأمَاكِنِ دُونَ بَعْضٍ، وَالَّذِي يَعْقِبُهُ قيامَ السَّاعَةِ اسْتِحْكامُ ذَلِكَ، وقَدْ مَضى مِنَ الوَقْتِ الذي قال فيه ابن بَطَّال ما قال نحو ثلاث مئة وخمسين سنة، والصِّفاتُ المذكورَةُ في ازْدِيادٍ في جميعِ البلادِ، ولكنْ يقلُّ بعْضُها في بَعْضٍ ويكثرُ بعْضُها في بَعْضٍ، وكلَّما مضَتْ طبقَةٌ ظَهَرَ النَّقْصُ الكثيرُ في الَّتي تَليها. . . والمرادُ بكَثْرَةِ القَتْلِ ما لا يكونُ على وَجْهِ الحقِّ، كإقامَةِ الحَدِّ والقصَاصِ. انتهى.

قلتُ: وقَدْ مَضَىٰ من الوَقْتِ الَّذِي قالَ فيه الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ ما قَالَ نحو خمس مئة سنة، والآفاتُ المذكورَةُ والفِتَنُ المسطورَةُ في زيادَةٍ وفُشُوٍّ في جميع أقطارِ الدُّنيا حتى مُلِئَتِ الآنَ جُوراً وظُلْماً، ومِنْ زَمانِ النبوَّةِ نحو ألف وأربع وتسعين ومئتين إلى يومنا هذا، وفي كَثْرَةِ الهَرْجِ أحاديثُ بألفاظِ الصَّحيحَيْن وغَيْرِهما.

وعن أبي هُرَيْرَة رَضي اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَادِرُوا بالأَعْمَالِ فِتَناً، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسي كافِراً، وَيُمسْي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»** أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ [رقم: ١١٨] ورواه القُرْطبيُّ في «تَذْكِرَتِهِ» في باب إقبال الفِتَنِ ونزولِها [٢/٣٣٧].

قلتُ: وهذا الحديثُ مِنْ أعْلامِ النبوَّةِ، وقد وَقَعَ بَيْعُ الدِّيْنِ

بِعَرَضٍ من الدُّنيا في غالِبِ أقطارِ الأرْضِ إلا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

وعن أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ، قالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبيُّ ﷺ فَزِعاً مَرْعُوباً يَقُولُ: **«سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا فُتِحَ اللَّيلَةَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ»** - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - **«لِكَيْ يُصَلِّينَ؟ رُبَّ كاسِيَةٍ في الدُّنْيا عَارِيَةٍ في الآخِرَةِ»** أخرجه مسلم [بل البخاري، رقم: ١١٥].

وعن عُبَيْد بن عُمَيْر رضي الله عنه، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: **«يا أَصْحابَ الحُجُراتِ! سُعِّرَتِ النَّارُ، وَجاءَتِ ٱلْفِتَنُ كَأَنَّها قِطَعُ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً»** [«كنز العمال» رقم: ٣١٤٤٦].

قال أبو الحسن القابِسِي [«تذكرة القرطبي» ٢/٣٤١]: هذا وإن كانَ مُرْسَلًا، فإنَّهُ مِنْ جَيِّدِ المَراسِيلِ، وابْنُ عُمَيْر مِنْ أئمَّةِ السَّلَفِ.

وعن ابن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: **«مِنْ شِرارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْياءٌ»** رَواهُ البُخَارِيُّ. [رقم: ٧٠٦٧].

وعِنْدَ مُسْلِمٍ [رقم: ٢٩٤٩] من حَدِيثِهِ أَيْضاً مَرْفوعاً: **«لا تَقومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلىٰ شِرارِ النَّاس»**.

وعنده [رقم: ١٩٢٤] عن ابْنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: **«إِلَّا عَلىٰ شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ»**.

وعَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ،

يقولُ: **«لَا يأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ»** رواه البخاري [رقم: ٧٠٦٨] والترمذي [رقم: ٢٢٠٦] وحسَّنَهُ.

وعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ، قال: **«أَمْسِ خَيْرٌ مِنَ اليَوْمِ، وَالْيَوْمُ خَيْرٌ مِنْ غَدٍ، وكَذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»** أَخرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ [«مجمع الزوائد»، رقم: ١٢٢٣٦] بسَنَدٍ صَحيحٍ.

قَال ابْنُ بَطَّالٍ [«فتح الباري» ٢١/١٣]: هذا الخَبَرُ مِنْ أعْلامِ النُّبُوَّةِ، لإِخْبارِهِ بفَسادِ الأحْوالِ، وذَلِكَ مِنَ الغَيْبِ الَّذي لا يُعْلَمُ بالرَّأْيِ، وإِنَّما يُعْلَمُ بالوَحْيِ. انْتَهىٰ.

ومنها حَديثُ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«سَتَكُونَ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ تَشَرَّفَ لَها تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ»**، رواه البُخَارِيُّ [رقم: ٧٠٨١] ومُسْلِم [رقم: ٢٨٨٦].

وفي روايةٍ لمسلم [رقم: ٢٨٨٦]: **«تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ اليَقْظَانِ، وَاليَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي؛ فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَسْتَعِذْ بِهِ»**.

[قال ابن حجر في «فتح الباري» ٣١/١٣]: وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الفِتَنِ، [وَالحثُّ على اجتناب الدخول فيها]، وَأَنَّ شَرَّهَا يَكُونُ بِحَسْبِ الدُّخُولِ فِيها، والمرادُ بالفِتَنِ جَمِيعُهَا، أوْ ما يَنْشَأُ عَنِ الاخْتِلافِ في طَلَبِ المُلْكِ حَيْثُ لا يُعْلَمُ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ؛ وَعَلَىٰ الأَوَّلِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ بِلُزُومِ البَيْتِ، وقالَ آخَرونَ بالتَّحَوُّلِ من بَلَدِ الفِتْنَةِ؛ ثم اخْتَلَفُوا،

فمِنْهُم مَنْ قال: إذَا هَجَمَ عَلَيْهِ شَيْءٌ من ذلك يَكفُّ يَدَهُ، ولو قُتِلَ؛ ومِنْهُمْ من قَالَ: يُدافِعُ عن نَفْسِهِ ومالِهِ وأهْلِهِ، وهو مَعْذُورٌ إنْ قَتَلَ أوْ قُتِلَ.

وقالَ آخَرونَ: إذَا بَغَتْ طائِفَةٌ على الإمام، فامْتَنَعَتْ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْها، وَنُصِبَتِ الحُرُوبُ؛ وَجبَ قتالُها؛ وَكَذَلِكَ لو تحارَبَتْ طائِفتانِ، وَجَبَ على كُلِّ قادِرٍ الأخْذُ عَلَىٰ يَدِ المُخْطِىءِ، وَنَصْرُ المُصِيبِ. وهذا قَوْلُ الجُمْهورُ.

وفَصَّلَ آخَرُونَ، فقالُوا: كُلُّ قِتالٍ وَقَعَ بَيْنَ طائِفَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمينَ حَيْثُ لا إمامَ للجماعَةِ، فالقِتَالُ حِينَئِذٍ مَمْنُوعٌ، وتُنَزَّلُ الأحاديثُ التي في هذا البابِ وَغَيْرِهِ على ذَلِكَ، وهو قَوْلُ الأوْزاعِيِّ.

قال الطَّبرِيُّ: والصوابُ أنْ يُقالَ: إنَّ الفِتْنَةَ أصْلُها الابْتِلاء، وإنكارُ المُنْكَر واجِبٌ على مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَمَنْ أعَانَ المُحِقَّ أصَابَ، وَمَنْ أَعَانَ المُخْطِىءَ أخْطَأَ، وَإِنْ أَشْكَلَ الأَمْرُ فَهِيَ الحَالَةُ الَّتي وَرَدَ النَّهْيُ فِيهَا عَنِ القِتالِ، وَقِيلَ: إنَّ أَحادِيثَ النَّهْيِ مَخْصُوصَةٌ بآخِرِ الزَّمانِ، حَيْثُ يَحْصلُ التَّحْقّقُ بأنَّ المُقَاتَلَةَ إنَّما هِيَ في طَلَبِ المُلْكِ؛ وَاللَّهُ أعْلَمُ.

ومِنْها حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ! إنَّا كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجاءَنَا اللَّهُ بِهَذا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْد هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **«نعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»**، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدَىٰ، تَعْرِفُ مِنهُمْ وَتُنْكِرُ»**، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ

ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قال: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ منها**» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا! قال: «**نَعَمْ! قَوْمٌ من جِلْدَتِنا، ويُتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقِ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**» أخرجه البخاري [رقم: **٣٦٠٦**] ومسلم [رقم: **١٨٤٧**] وابن ماجه [رقم: **٣٩٧٩**].

قال في «الفَتْحِ» [**٣٦/١٣**]: وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ لُزُومِ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وطَاعَةِ سلاطِينِهِمْ ولَوْ عَصَوْا.

قال البَيْضَاوِي [«الفتح» **٣٦/١٣**]: المَعْنَىٰ: إِذَا لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ خَلِيفَةٌ، فَعَلَيْكَ بالعُزْلَةِ والصَّبْرِ على عَمَلِ شِدَّةِ الزَّمانِ. وعَضُّ أَصْلِ الشَّجَرَةِ: كِنَايَةٌ عن مُكابَدَةِ المَشَقَّةِ، أو المُرَادُ اللُّزُومُ. اهـ.

قال ابنُ بَطَّالٍ [«الفتح» **٣٧/١٣**]: فيه حجَّةٌ لجماعَةِ الفُقَهاءِ في وُجوبِ لُزُوم جماعَةِ المُسْلِمين، وتَرْكِ الخُروجِ على أَئِمَّةِ الجَوْرِ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ الطائِفَةَ الأُخْرَىٰ بأَنَّهُمْ «**دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ**»، وَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ: «**تَعْرِفُ وتُنْكِرُ**» كما قالَ في الأوَّلِين، وَهُمْ لا يَكونُونَ كَذَلِكَ إِلَّا وَهُمْ على غَيْرِ حَقٍّ، وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِلُزُومِ الجماعَةِ.

[قال الطبري] [«الفتح» **٣٧/١٣**]: واخْتُلِفَ في هذا الأَمْرِ وفي الجماعَةِ، فقال قَوْمٌ: هو لِلْوُجُوبِ، والجماعَةُ: السَّوَادُ الأَعْظَمُ، وقالَ قَوْمٌ: المرادُ بالجماعَةِ: الصَّحَابةُ دون مَنْ بَعْدَهُم، وقال قَوْمٌ: المرادُ بِهِمْ أهْلُ العِلْمِ؛ لأَنَّ اللَّهَ تعالى جَعَلَهُم حُجَّةً على الخَلْقِ، والنَّاسُ تَبَعٌ لَهُمْ في أَمْرِ الدِّين.

قال الطَّبرِي [«الفتح» ١٣/٣٧]: والصَّوابُ أنَّ المرادَ مِنَ الخَبَرِ لُزُومُ الجماعَةِ الَّذين في طاعَةِ مَنِ اجْتَمَعُوا على تَأْمِيرِهِ، فَمَنْ نَكَثَ بَيْعَتَهُ خَرَجَ عن الجماعَةِ.

قالَ: وَفي الحَدِيثِ أنَّهُ مَتَىٰ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ إمامٌ، فافْتَرَقَ النَّاسُ أحْزَاباً، فلا يَتَّبعْ أحَداً في الفِرْقَةِ، ويَعْتَزِلُ الجَميعَ إنِ اسْتَطاعَ ذلك، خَشْيَةَ مِنَ الوُقوعِ في الشَّرِّ، وعلى ذَلِكَ يُنَزَّلُ مَا جَاءَ في جَمِيعِ الأحاديثِ، وَبِهِ يُجْمَعُ بين ما ظَاهِرُهُ الاخْتِلافُ. اهـ.

قال الحافِظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ [«الفتح» ١٣/٣٧]: ويؤخَذُ مِنْهُ ـ أي: مِنْ هذا الحَدِيثِ ـ ذَمُّ مَنْ جَعَلَ لِلدِّينِ أصْلًا خِلافَ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وجَعَلَهُما فَرْعاً لذلك الأصْلِ الَّذِي ابْتَدَعُوهُ، وفِيهِ وُجوبُ رَدِّ الباطِلِ وكُلِّ ما خَالَفَ الهَدْيَ النَّبَوِيَّ، ولو قالَهُ مَنْ قالَهُ مِنْ رَفِيعٍ أو وَضِيعٍ. انتهى.

وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّهَا سَتكُون فِتَنٌ، ألَا ثُمَّ تَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي فِيهَا، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إلَيْهَا، ألَا فَإِذَا وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإبِلِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»**. فقال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرْضٌ؟ قَالَ: **«يَعْمِدُ إلَىٰ سَيفِهِ فَيَدُقُّ عَلَىٰ حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟»** ثَلاثاً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إلَىٰ أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: **«يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**، أخرجه مسلم [رقم: ٢٨٨٧]، وأورَدَهُ القُرْطُبيُّ في

«تَذْكرته» [٣٦٥/٢]، في باب ما جاء في الفرار من الفتن.

وعن أبي بُرْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ على مُحمَّدِ بن مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إنَّهَا ستَكُونُ فِتْنَةٌ وفِرْقَةٌ وَاخْتِلافٌ، فَإذَا كَانَ ذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أَحداً، فَاضْرِبْ بِهِ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»** وَقَدْ وَقَعَتْ، وَقَدْ فَعَلْتُ مَا قَالَ ﷺ. أخرجهُ ابن ماجه [رقم: ٣٩٦٢]، وأوْرَدَهُ القُرْطُبيُّ في «تَذْكِرَتِهِ» [٣٦٦/٢]، في باب الأمر بلزوم البَيْتِ في الفِتَنِ.

قال علماؤنا [«التذكرة» ٣٦٧/٢]: كانَ محمد بنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه مِمَّنِ اجْتَنَبَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الخِلافِ وَالقِتَالِ، [وأنّ النبيَّ ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفاً من خشب، فَفَعَلَ] وَأقَامَ بالرَّبَذَةِ، وَمِمَّنِ اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ: أَبو بَكْر، وعبدالله بْنُ عُمَرَ، وَأُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأبو ذَرٍّ، وحُذَيْفَةُ، وعِمْرَانُ بْنُ حَصَيْنٍ، وَأبُو مُوسَىٰ، وأُهْبَان بن صَيْفِي، وسَعْدُ ابْنُ أبي وَقَّاص، وغَيْرُهم، وَمِنَ التَّابِعِينَ: شُرَيْحٌ، والنَّخْعِيُّ، وغَيْرُهما رضي الله عنهم.

قال القُرطُبيُّ [«التذكرة» ٣٦٧/٢]: وكانَتْ تلك الفِتْنَةُ والقِتَالُ بَيْنَهُم على اجْتهادٍ مِنْهُم، وكانَ المُصِيبُ منْهُم لَهُ أجْرانِ، والمُخْطِىءُ لَهُ أجْرٌ، وَلَمْ يَكُنْ قِتالٌ على الدُّنْيا، فَكَيْفَ اليومَ الَّذِي تُسْفَكُ فيه الدِّمَاءُ باتِّباعِ الهَوَىٰ طَلَباً لِلْمُلْكِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنَ الدُّنْيَا؟ فَوَاجِبٌ عَلَىٰ الإنسانِ كَفُّ اليَدِ وَاللِّسانِ عِنْدَ ظُهورِ الفِتَنِ وَنُزُولِ البَلايا وَالمِحَنِ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلاَمَةَ وَالفَوْزَ بِدَارِ الكَرَامَةِ، بِحَقِّ محمدٍ نَبِيِّهِ وآلِهِ وأتْبَاعِهِ وَأصحابِهِ. انتهى.

أقولُ: وَقَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ في زَمَنِ الفَسَادِ الَّذي وَقَعَ في إقْلِيمِ الهِنْدِ بَيْنَ عَساكِرِ الفِرَنْجِ وَحُكَّامِهِم في سنة ١٢٧٣ الهجرية [١٨٥٧

ميلادية]، وابْتُلِيَ ناسٌ كَثِيرٌ بِهِ، وَسَمُّوهُ الجِهادَ، وَلَمْ تُوجَدْ شُرُوطُهُ، وَلَمْ يَكُنْ على مِنْهاجِ الشَّرِيعَةِ الحَقَّةِ، وَانْتُدِبَ لِطَلَبِ المُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ، فأَصْبَحُوا خاسِرِين، وَلِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

وفي الصحيح [البخاري، كتاب الفتن]: باب مَنْ كَرِهَ أَنْ يُكَثِّرَ سَوَادَ الفِتَنِ والظُّلْمِ؛ وبابُ التعرُّبِ في الفِتْنَةِ؛ أي: الإقامة بالبادية، وفيه [رقم: **٧٠٨٧**] حديث سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لي في البَدْوِ. أَخْرَجَهُ مُسْلِم [رقم: **١٨٦٢**] والنسائي [رقم: **٤١٨٦**] أيضاً، ويُسْتَفادُ مِنَ «الفتح» [**٤١/١٣**] أَنَّ مُدَّةَ سُكْنَى سَلَمةَ بالبادِيَةِ نحو أَرْبَعين سَنَة.

ومنها حَديثُ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»، أَخْرَجَهُ الشَّيْخان [البخاري، رقم: **٧٠٨٨**؛ مسلم لم أجده] والنَّسائي [رقم: **٥٠٣٦**] ومالِك [رقم: **١١٨١**] وأبو دَاود [رقم: **٤٢٦٧**].

والشَّعَفُ: جَمْع شَعَفَةَ، كَأَكَم وأَكَمَة: رُؤوسُ الجِبالِ. قال في «الفتح» [**٤٢/١٣**]: والخَبَرُ دَالٌّ على فَضِيلَةِ العُزْلَةِ لِمَنْ خافَ على دِينِهِ، ولا يَتَأَتَّى له الجهادُ في سَبِيلِ اللَّهِ.

وقيلَ: يَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الأشخاص والأحْوالِ، واختارَ النوويُّ الخُلْطَةَ. لِمَنْ لا يَغْلِبُ على ظَنِّهِ الوقوعُ في المعْصِيَةِ، فإنْ أَشْكَلَ الأَمْرُ فالعُزْلَةُ.

وعن عَبْدِاللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَامَ

إلى جَنْبِ المِنْبَرِ، فقالَ: «**الْفِتْنَةُ هَاهُنَا، الفِتْنَةُ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» أو قال: «**قَرْنُ الشَّمْسِ**»، رواه البخاري [رقم: **١٠٣٧**] [ومسلم، رقم: **٢٩٠٥**] والترْمذي [رقم: **٢٢٦٨**].

أشارَ ﷺ إلى المَشْرِقِ لأنَّ أهلَهُ يومئذٍ أهل كُفْرٍ، فأخْبَرَ أنَّ الفتْنَةَ تكونُ من تلك النَّاحِيَةِ، وكذا وَقَعَ، فكانَ وَقْعَةُ الجمل، ووقعةُ صِفِّين، ثم ظهورُ الخَوَارِجِ في أرْضِ نَجْدِ والعِراق وما وراءَها من المَشْرِقِ، وكان أصْلُ ذَلِكَ كلُّه وسَبَبُهُ قَتْلَ عثمان بن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه. وهذا عَلَمٌ من أعْلامِ نُبُوَّتِهِ ﷺ.

قال في «الفتح» [**١٣/٤٧**]: وأوَّلُ الفِتَنِ كانَ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، فكانَ ذلك سَبَباً للفِرْقَةِ بين المُسْلِمِينَ، وذلك مما يحبُّهُ الشيطانُ ويَفْرَحُ بِهِ، وكذلك البِدَعُ نشأتْ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ.

وقال الخَطَّابيُّ: نَجْد من جِهَةِ المَشْرِقِ، ومن كان بالمَدِينَةِ نَجْدُهُ بادِيَةَ العِرَاق ونواحِيها، وهي مَشْرِقُ أهْلِ المدينةِ، وأصْلُ النَّجْدِ: ما ارْتَفَعَ من الأرْضِ، وهو خِلافُ الغَوْرِ، فإنَّهُ ما انْخَفَضَ منها، وتِهامَةُ كلُّها من الغَوْرِ، ومكة من تِهامَة. انتهى.

وعرف بهذا، وهاء ما قالَهُ الدَّاودي: إنَّ نَجداً من ناحِيَةِ العِراقِ، فإنَّهُ يوهِمُ أنَّ نَجداً مَوْضِعٌ مَخْصوصٌ وليس كذلك، بل كُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ بالنسْبَةِ إلى ما يَلِيه يُسَمَّى المُرْتَفِعُ نَجداً، والمُنْخَفِضُ غَوْراً. انتهى ما في «فتح الباري» [**١٣/٤٧**].

وفي «الصَّحيح» [في كتاب الدعوات وكتاب الفتن] بابُ التعوُّذ مِن الفِتَنِ، وكان ابنُ عمر رَضِيَ الله عنهما يَرَىٰ تَرْكَ القِتالِ في الفِتْنَةِ،

ولو ظَهَرَ أنَّ إحدىٰ الطائفتين محقَّةٌ والأخرى مُبْطِلَةٌ.

وعن خَلَفِ بن حَوْشَبٍ: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ [قَالَ امْرُؤ الْقَيْسِ]:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَىٰ بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّىٰ إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... وَلَّتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

رَوَاه البُخارِي [في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر]، قال في الفتح [١٣/٥٠]: المرادُ بالتمثُّل بهذه الأبيات استحضارُ ما شاهَدوه وسَمِعوهُ من رجال الفِتْنةِ، فإنَّهم يتذكَّرُون بإنشادِها ذلك، فيصدُّهُم عن الدُّخولِ فيها حتى لا يغْتَرُّوا بظاهِرِ أمْرِها أوّلًا. انتهىٰ.

ومِنْهَا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ**»، رواه البخاري [رقم: ٧١٠٨] ومسلم [رقم: ٢٨٧٩].

قال الحافظ ابن حَجَرٍ رحمه الله [«الفتح» ١٣/٦٠]: أَيْ: بُعِثَ كُلُّ وَاحِدٍ منهم على حسْبِ عَمَلِهِ، إنْ كان صالحاً فعُقْباهُ صالِحةٌ، وإلا فسَيِّئةٌ، فيكون ذلك العذابُ طُهْرةً للصّالحين، ونَقمةً على الفاسِقين.

وفي صحيح ابن حبان [رقم: ٧٣١٤] عن عائشة مرفوعاً: «**إِنَّ اللَّهَ تعالى إِذَا أَنْزَلَ سَطْوَتَهُ عَلىٰ أَهْلِ نِقْمَتِهِ، وَفِيهِمُ الصَّالِحونَ، فيُصِيبُوا مَعَهُم، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ نِيّاتِهِمْ وَأَعْمالِهِمْ**»، وقد أَخْرَجَه البيهقي

في «الشُّعَبِ» [«فيض القدير»، رقم: ١٦٦٧].

وهذا يناسِبُ حديثَ أبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنه، أنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إنَّ النَّاسَ إذَا رَأَوا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ**» أخرجه الأربعة [الترمذي، رقم ٢١٦٨؛ أبو داود، رقم: ٤٣٣٨؛ ابن ماجه، رقم: ٤٠٠٥؛ مسند أحمد، رقم: ٣٠]، وصححه ابن حبان [رقم: ٣٠٤].

والحاصِلُ أنَّهُ لا يلزمُ من الاشْتِراكِ في المَوْتِ الاشتراكُ في الثَّوابِ أو العِقاب، بل يُجازَىٰ كلُّ أحدٍ بعَمَلِهِ على حسب نِيَّتِهِ، وجَنَحَ ابنُ أبي جَمْرَة إلى أَنَّ الذين يَقَعُ لهم ذلك إنَّما يَقَعُ بِسَبَبِ سكوتِهِم عن الأمْرِ بالمعروف، والنَّهْي عن المنْكَر. وأمَّا مَنْ أمَرَ ونَهَى فَهُمُ المؤمِنُون حَقّاً، لا يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهم العذابَ، بل يَدْفَعُ اللَّهُ بهم العذابَ، ويُؤَيِّده قولُه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية: ٥٩]، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٨ سورة الأنفال/ الآية: ٣٣]. ويدلُّ على تعميم العذابِ لِمَنْ لم يَنْهَ عن المُنْكَر، وإنْ لم يَتَعاطاه؛ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: ١٤] ويُسْتفادُ من هذا مشْروعِيَّةُ الهَرَبِ من الكُفَّار ومِنَ الظَّلَمة، لأنَّ الإقامَةَ مَعَهُم مِنْ إلقاءِ النَّفْس إلى التَّهْلُكة.

هذا إذا لم يُعنْهُم ولم يَرْضَ بأفعالِهِم، فإنْ أعانَ أوْ رَضِيَ، فهو مِنْهُمْ؛ ويؤيِّدُهُ أمْرُ النبيِّ ﷺ بالإسْراع في الخروج من دِيار ثمود؛ وَأَمَّا بَعْثُهم على أعْمالِهِم فَحُكْمٌ عَدْلٌ، لأنَّ أعمالَهُم الصالحة إنَّما يُجازون بها في الآخِرَةِ، وأما في الدُّنْيا، فمَهْما أصابَهُم من بلاءٍ كانَ تكفيراً لما

قَدَّموه من عَمَلٍ سَيِّءٍ، فكانَ العذابُ المُرْسَلُ في الدُّنيا علىٰ الَّذين ظَلَموا يتناولُ مَنْ كان مَعَهُم ولم يُنْكِرْ عَلَيْهم، فكان ذَلِكَ جزاءً لهم على مُداهَنَتِهِم، ثُمَّ يوم القيامة يُبْعَثُ كلٌّ منهم فيُجازَى بِعَمَلِهِ. قاله في «بهجة النفوس» [«الفتح» ١٣/٦١].

قال الحافظ ابن حَجَرٍ رَحِمه الله [«الفتح» ١٣/٦١]: وفي الحديث تحذيرٌ وتخويفٌ عَظيمٌ لِمَنْ سَكَتَ عن النَّهي، فكيفَ بِمَنْ داهَنَ؟ فَكَيْف بِمَنْ رَضِيَ؟ فكيفَ بِمَنْ أعانَ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ العافِيةَ والسلامة. انتهى.

قال القرطبيّ في «تَذْكِرَتِهِ»: إنَّ الناسَ إذا تظاهَرُوا بالمُنْكَرِ فَمِنَ الفرض على مَنْ رآهُ أنْ يُغَيِّرُهُ إما بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يقدِرْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لم يَقْدِر فبِقَلْبِهِ، ليس عَلَيْهِ أكثر من ذلك، فإذا أنْكَرَ بقلبه، فقد أدَّىٰ ما عليه إذا لم يَسْتَطِعْ سوى ذلك. [البخاري، رقم: ٩٥٦؛ مسلم، رقم: ٤٩؛ الترمذي، رقم: ٢١٧٢، النسائي، رقم: ٥٠٠٨؛ أبو داود، رقم: ١١٤٠ و ٤٣٢٠؛ ابن ماجه، رقم: ٤٠١٣].

وفي حديثِ أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ يَرْفَعُهُ: «**وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».

ورُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحابة أنَّهُ قال: «إذا رَأَى مُنْكَراً لا يَسْتَطيعُ النَّكِيرَ عَلَيْهِ، فَلْيَقُلْ ثلاثَ مرّات: اللَّهُمَّ هذا مُنْكَرٌ لا أرْضاهُ؛ فَإذَا قالَ ذَلِكَ فَقَد أدَّى ما عَلَيْهِ، فَأمَّا إذا سَكَتَ عَلَيْهِ فَكُلُّهُم عاصٍ، هذا بِفِعْلِهِ، وَهذا برضاه». وقَدْ جَعَلَ اللَّهُ في حُكْمِهِ وحِكْمَتِهِ الراضي بمنزلة العامل، فانْتَظَم في العُقوبَةِ، دليلُهُ قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [سورة النساء/ الآية: ١٤٠]، ورَوَىٰ أبو داود [رقم: ٤٣٤٥] عن العُرْسِ بْنِ عَميرَةَ الْكِنْدِيِّ، عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا عُمِلَتِ الخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا ـ وَقال مَرَّةً: فَأَنْكَرَهَا كَانَ ـ كَمَنْ غَابَ**

عَنهَا، **وَمَنْ غَابَ عَنهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»**. وهذا نَصٌّ في العرض، وحَسَّنَ رَجُلٌ عند الشَّعْبِيِّ قَتْلَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال الشَّعْبِيُّ: قَدْ شَرِكْتَ فِي دَمِهِ.

وفي صحيح الترمذِيِّ [رقم: ٢١٦٨]: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»** فالفِتْنَةُ إذا عَمِلَتْ هَلَكَ الكُلُّ. انتهىٰ.

وعن عَبْدِالله بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَدُورُ رَحَىٰ الإِسْلامِ لِخَمْسٍ وَثَلاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثلاثين، أَوْ سَبْعٍ وثَلاثِينَ سَنَةً، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَاماً»** قال: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَىٰ؟ قَالَ: **«مِمَّا مَضَىٰ»** أخرجه أبو داود [رقم: ٤٢٥٤].

قال الهَرَوِيُّ: [قال الحَرْبيّ]: ويروى «تَزُولُ»، وكأن «تَزُولُ» أَقْرَبُ، لأنَّها تَزُولُ عن ثُبُوتِها واسْتِقْرارِها، و «تَدُورُ» تكونُ بما يُحِبُّونَ ويَكْرَهُون، فإنْ كانَ الصَّحِيحُ سنة خَمْسٍ فإنَّ فيها قَامَ أَهْلُ مِصْرَ وَحَصَرُوا عثمانَ رضي الله عنه، وإن كانَتْ سَنة ست ففيها خرج طَلْحَةُ والزُّبَيْر إلى الجَمَلِ، وإن كانت سنة سَبْعٍ ففيها كانت صِفِّينَ؛ [غفر الله لَهُم أجمعين].

وقال الخَطَّابي: يريدُ عليه الصَّلاةُ والسلامُ أنَّ هذه المُدَّةَ إذا انْقَضَتْ حَدَثَ في الإسلام أَمْرٌ عظيمٌ يخاف على أَهْلِهِ لِذَلِكَ الهلاك؛ يقال للأمر إذا تغيَّرَ واسْتحال: دارَتْ رَحَاهُ، وهذا ـ واللَّهُ أعلم ـ إشارَةٌ إلى انْقِضاءِ مدَّة الخلافة، وقوله: **«لَمْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُم»** أي: مُلْكُهُم وسُلطانُهُم، وذلك من لَدُنْ بايَعَ الحَسَنُ معاوِيَةَ إلى انْقِضاءِ بَنِي أُمَيَّةَ من

المَشْرِقِ نحو من سَبْعِين سنة، وانتقاله إلى بني العباس. والدين: المِلَّةُ والسُّلطان، ومنه قولُه تعالى: ﴿لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [**١٢** سورة يوسف/ الآية: ٧٦]، أي: في سلطانه، وقوله: «**تَدُورُ رَحَى الإسلامِ**» دَوَرَانُ الرَّحَىٰ كنايَةٌ عن الحَرْبِ والقِتالِ، شَبَّهَها بالرَّحى الدائِرَةِ التي تَطْحَنُ، لما يكونُ فيها من قَبْضِ الأرْوَاحِ، وهلاكِ الأنفس، والله أعلم، ذكر ذلك القرطبيّ في «تَذْكِرَتِهِ» [**٣٤٧/٢**] في باب ما جاءَ في رَحَىٰ الإسلام وما تَدورُ.

وعن أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، قالَ: بَيْنا النَّبيُّ ﷺ يخطُبُ جاءَ الحَسَنُ، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ [أَنْ] يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ [عَظِيمَتينِ] مِنَ المُسْلِمِينَ**» رواه البُخارِيُّ [رقم: **٢٧٠٤**] والمرادُ فِئَةُ الحَسَنِ وفِئَةُ مُعاوِيَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُما، وفيه أنَّ السَّيادَةَ إنما يَسْتَحِقُّها من يَنْتَفِعُ بِهُ الناسُ، لكَوْنِهِ عَلَّقَ السِّيادَةَ بالإصْلاحِ، وفيه عَلَمٌ من أعْلامِ نبيّنا ﷺ، فقد تَرَكَ الحَسَنُ المُلْكَ وَرَعاً ورغْبَةً فيما عِنْدَ اللَّهِ، ولم يَكُنْ ذلك لِعلَّةٍ ولا لِقِلَّةٍ ولا لِذِلَّةٍ، بل صَالَحَ معاوِيَةَ رعايَةً لِلدِّين وتَسْكِيناً للفِتْنَةِ وحَقْنِ دِماءِ المسْلِمِين.

وفي الحديث أيضاً دلالَةٌ على رأْفَةِ معاوية بالرَّعِيَةِ وشَفَقَتِهِ على المسلمين، وقُوَّةِ نَظَرِهِ في تدْبيرِ المُلْك، ونَظَرِهِ في العَواقِبِ، قاله القسطلاني [«إرشاد الساري» **١٩٨/١٠**].

قال ابن بَطّال: سَلَّمَ الحَسَنُ لمُعاوِيَةَ الأمْرَ وبايَعَهُ على إقامَةِ كتابِ اللَّهِ وسُنّةِ رسولِهِ ﷺ، ودَخَلَ معاوِيَةُ الكُوفَةَ فبايَعَهُ النَّاسُ، فَسُمِّيَتْ سَنَةُ الجماعَةِ، لاجتماعِ النَّاسِ وانقطاع الحَرْبِ. كذا في «الفتح» [**٦٣/١٣**].

وقال [٦٦/١٣]: وفي الحديث مَنْقَبَةٌ للحَسَن بن علي. وفيه رَدٌّ على الخوارِجِ الَّذِينَ كانوا يُكَفِّرونَ عَلِيّاً ومَنْ مَعَهُ، ومعاوية ومَنْ معه بشهادة النبيِّ ﷺ للطائِفَتَيْن بأَنَّهُمْ من المُسْلِمِين، وفيه فَضِيلَةُ الإِصْلاح بين الناس، ولا سِيَّما في حَقْنِ دِماءِ المُسْلمين.

وفيه وِلايَةُ المَفْضُولِ الخلافة مع وجود الأَفْضَلِ، لأَنَّ الحَسَنَ ومعاوية وَلِيَ كُلٌّ منهما الخلافة وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة، وهما بَدْرِيَان. قاله ابن التِّين.

وفيهِ جوازُ خَلْعِ الخليفة نَفْسَهُ إذا رأىٰ في ذلك صلاحاً للمُسْلِمين، والنزولِ عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمالِ، وجوازُ أخذِ المالِ على ذلك وإعطائه بعد استيفاء شرائِطِه بأن يكون المنزولَ لَهُ أَوْلى من النازِلِ، وأنْ يكونَ المَبْذُول من مال الباذِلِ، وإن كانَ في ولايَةٍ عامَّةٍ، وكانَ المَبْذولُ من بيت المالِ اشْتُرِطَ أن تكونَ المصْلَحَةُ في ذلك عامَّةً. أشار إلى ذلك ابن بَطَّال.

وفيه اطلاقُ الابنِ على ابْنِ البِنْت. وقد انْعَقَدَ الإجماعُ على أَنَّ امرأة الجَدِّ والِد الأم محرَّمَةٌ على ابْنِ بِنَتِهِ، وأَنَّ امرأةَ ابن البنْتِ محرَّمَةٌ على جَدِّه، وإنِ اخْتَلَفُوا في التَّوارُثِ، واسْتُدِلَّ به على تصويبِ رأي من قَعَدَ عن القتالِ مع معاوية وعلي، وإنْ كانَ عليٌّ أَحَقَّ بالخلافَةِ وأَقْرَبَ إلى الحَقِّ، وهو قول سعد ابن أبي وقّاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة وسائر من اعْتَزَلَ تلك الحروب.

وذهب جمهورُ أهْل السُّنَّةِ إلى تصويب مَنْ قاتَلَ مع علي لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآبِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ . . .﴾ الآية [٤٩ سورة الحجرات/ الآية: ٩]، ففيها الأَمْرُ بقتالِ الفِئَةِ الباغية، وقد ثَبَتَ أَنَّ من

قاتَلَ عليّاً كانوا بُغاةً، وهؤلاء مع هذا التصويب متَّفِقون على أنَّهُ لا يُذَمُّ أحَدٌ من هؤلاء، بل يقولون: اجْتَهدوا وأخْطأوا. انتهى [عن «فتح الباري» ٦٧/١٣].

ومنْها حَدِيثُ أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكانَهُ»** رواه الشَّيْخانُ [البخاري، رقم: ٧١١٥؛ مسلم، رقم: ١٥٧]، أي: كُنْتُ مَيْتاً، قال ابنُ بَطَّال: يَغْبِطُ أهْلَ القُبورِ ويَتَمَنَّىٰ الموتَ، وذلك عنْد ظهور الفِتَنِ، وخوفِ ذهاب الدِّين لغَلَبَةِ الباطل وأهله، وظهورِ المعاصي والمُنْكَر. انتهى.

وليس هذا عامّاً في حَقِّ كُلِّ أحد، إنَّما هو خاصٌّ بأهل الخير، وأما غَيْرُهم، فقد يكونُ لما يَقَعُ لبَعْضِهم من المُصيبة في نَفْسِهِ أو أهْلِهِ أو دُنياه، وإنْ لم يَكُنْ في ذلك شَيْءٌ يتعلَّقُ بِدِينِهِ.

ويؤيِّدُهُ حَدِيثُ أبي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ: **«لا تَذْهَبُ الدُّنْيا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَىٰ الْقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيسَ بِهِ الدِّينُ إلَّا الْبَلاءُ»** رواه مسلم [رقم: ١٥٧]، وفيه إيماءٌ إلى أنَّهُ لو فَعَلَ ذلكَ بِسَبَبِ الدِّين لكانَ ذلك مَحموداً، ويُؤَيِّدُهُ ثبوتُ تَمَنِّي الموت عنْدَ فسادِ أمورِ الدِّين عن جماعَةٍ من السَّلَفِ، قال النَّوَوِيُّ: لا كراهَةَ في ذلك، بل فَعَلَهُ خلائِق، منهم عمر بن الخطاب، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرُهما.

قال القُرْطُبيُّ [«التذكرة» ٤٠٨/٢]: كأنَّ في الحَديثِ إشارةً إلى أنَّ الفِتَنَ والمشقَّةَ البالِغَةَ سَتَقَعُ حتى يخفَّ أمْرُ الدِّين ويقلَّ الاعتناءُ به، ولا يبقى لأحَدٍ اعتناءٌ إلا بأمْرِ دُنْياه ومعاشِهِ ونَفْسِهِ وما يتعلَّقُ به، ومِنْ ثَمَّ

عَظُمَ قَدْرُ العبادَةِ أيّامَ الفِتْنَة، كما أخرج مسلم [رقم: **٢٩٤٨**] والترْمذي [رقم: **٢٢٠١**] من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ يَرْفَعُهُ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**».

وقد أخرج الحاكم [**٤/٤٧٢**] عن أبي سَلَمَة، قال: عُدْتُ أبا هُرَيْرَةَ، فقلتُ: اللَّهُمَ اشْفِ أبا هُرَيْرَة، فقال: اللَّهُمَّ لا تُرْجِعْها، إنِ اسْتَطَعْتَ يا أبا سَلَمة فَمُت، وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لِيَأْتِيَنَّ على العلماءِ زَمانٌ المَوْتُ أحبُّ إلىٰ أَحَدِهِم من الذَّهَبِ الأحمرِ. وذِكْرُ الرَّجُلِ في الحديثِ للغالِبِ، وإلّا فالمرأةُ يُمْكِنُ أن تَتَمَنَّىٰ الموتَ لذلك أيضاً.

وفي الصحيح [راجع الدارمي، المقدمة] باب تغير الزمان، أي: عن حالِهِ الأوَّلِ حتى يَعْبُدُوا الأوثان.

ومنها حديثُ حارِثَةَ بنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ، قالَ: سمعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ: «**تَصَدَّقُوا، فَسَيأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَمْشِي بِصَدَقَتِهِ فَلا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا**»، رواه البخاري [رقم: **٧١٢**].

وهذا إنَّما يكونُ في الوقْتِ الَّذي يسْتَغْني الناسُ فيه عن المالِ لاشْتِغالِهِم بأنْفُسِهم عنْدَ الفِتْنَةِ.

وعَنْ أَبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قال: قُلْتُ: يا أَبَا ثَعْلَبَةَ! كَيْفَ تَقُولُ في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [**٥** سورة المائدة/ الآية: **١٠٥**]؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْها خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**[بَلِ] ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطاعاً، وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْراً لا يَدَانَ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ، وَدَعْ عَنْكَ**

أَمْرَ الْعَوَامِّ، **فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَىٰ الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**»، أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: ٤٣٤١] والترمذي [رقم: ٣٠٥٨].

وعن ابن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما، قالَ: شَبَّكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أصابِعَهُ، وقال: «**كَيفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ وإِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَصَارُوا هَكَذا؟**»، قال: فكيف يا رسول الله؟ قال: «**تَأْخُذُ مَا تَعرِفُ وَتَدَعَ مَا تُنْكِرُ، وَتُقْبِلُ عَلَى خَاصَّتِكَ وَتَدَعُهُمْ وَعَوَامُّهُمْ**»، أخرجه البخاري [رقم: ٤٨٠].

قال الحُمَيْدي: وَلَيْسَ هُوَ في أَكْثَرِ النُّسَخِ.

وَالحُثالَةُ: ما يَسْقُطُ من قشر الشَّعِير ونحوه إذا نُقِّي، وكأنه الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيء.

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ!**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْك! قَالَ: «**كَيفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟ قُلْتُ**: **مَا خَارَ لِي اللَّهُ وَرَسُولُه، قَالَ**: «**عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ**»، أَوْ قَالَ: «**تَصْبِرُ**» ثُمَّ قَالَ لي: «**يَا أَبَا ذَرٍّ!**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**كَيفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟**» قُلْتُ: مَا خَارَ لِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ عَلَىٰ عَاتِقِي؟ قَالَ: «**شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذاً**» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ بَيْتَكَ**» قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «**إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَىٰ وَجْهِكَ، يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ**» أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: ٤٣٦١؛ وابن ماجه، رقم: ٣٩٥٨].

والمعنى: أَنَّ القَتْلَى تَكْثُرُ لِكَثْرَةِ الفِتَنِ، حتى يُشْتَرىٰ موضِعُ قَبْرٍ يُدْفَنُ فيه المَيْتُ بِعَبْدٍ لِضِيقِ المكانِ عَنْهُم.

قال التُّوْرِبُشْتِي: هي الحَرَّةُ التي كانَتْ بها الوَقْعَةُ مِنْ يَزيد، والأميرُ على تلك الجيوش العامَّة مُسْلم بن عُقْبَة المُزَني، المسْتَبِيحُ لِحُرَمِ رَسُول الله ﷺ. انتهى.

والقِصَّة أَشْهَرُ من أنْ تُذْكَر.

قال القُرْطُبيُّ في «التَّذْكِرَة» [٤٠٣/٢]: وأمَّا أَمْرُهُ ﷺ أبا ذُرٍّ بلُزومِ البَيْتِ وتَسْلِيمِ النَّفْسِ للقَتْل، فقالت طائِفَةٌ: ذلك عِنْدَ جميع الفِتَنِ، وغير جائِزٍ لمُسْلِمِ النهوض في شيءٍ منها، قالوا: وعَلَيْه أن يَسْتَسْلِم للقَتْل إن أُرِيدَتْ نفْسُه ولا يَدْفَعُ عنها، وحَمَلُوا الأحاديث على ظاهِرِها، ورُبَّما احتَجُّوا من جِهَةِ النَّظَرِ بأنَّ قالُوا: إنَّ كُلَّ فريْقٍ من المقْتَتِلين في الفتنة فإنَّهُ يقاتِلُ على تأويلٍ، وإنْ كانَ في الحقيقةِ خَطأً، فهو عنْدَ نَفْسِهِ مُحِقٌّ، وغيرُ جائِزٍ لأحدٍ قَتْلُه، وسبيلُهُ سَبيلُ حاكِمٍ من المسْلِمين يَقْضي بقَضاءٍ ممَّا اخْتَلَفَ فيه العلماءُ على ما يراه صَواباً، فَغَيْرُ جائزٍ لِغَيْرِهِ من الحكّامِ نقْضُهُ إذا لم يخالِفْ بقضائِهِ ذلك كتاباً ولا سُنَّةً ولا جماعةً، وكذلك المقْتَتِلون في الفتْنَةِ كلُّ حزْبٍ منهم عنْدَ نفسه مُحِقٌّ دون غَيْرِهِ بما يدَّعون من التأويل، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ قتالُهم، وإنْ هم قَصَدوا لِقَتْلِهِ فغيرُ جائزٌ دَفْعُهم، وهذا هو الصَّحيحُ من القَوْلَيْن إنْ شاءَ اللَّهَ تعالى. انتهى.

وعن أبي مُوسَىٰ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيها مُؤْمِناً وَيُمْسِي كافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ**

الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ» أخْرَجَهُ أبو داود [رقم: **٤٢٥٩**] والترمذي [رقم: **٢٢٠٤**؛ وابن ماجه، رقم: **٣٩٦١**].

وزاد أبو داود [رقم: **٤٢٦٢**] بعد السَّاعِي: قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنا؟ قَالَ: «**كُونُوا أَحْلاسَ بُيُوتِكُمْ**».

قال القرطبي في «التذكرة» [**٢/٣٦٧**]: حَضَّ على ملازَمَةِ البُيوتِ، والقُعودِ فيها حَتَّىٰ يَسْلَمَ من النَّاسِ، ويَسْلَمُوا منْهُ.

ومِنْ مراسِيلِ الحَسَنِ وغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قالَ: «**نِعمَ صَوَامِعِ المُؤْمِنِينَ بُيوتُهُمْ**» وقد تَكونُ العِزْلَةُ في غَيْرِ البيوتِ، كالبَادِيَةِ والْكُهوفِ.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [**١٨** سورة الكهف/ الآية: **١٠**].

ودخل سَلَمَةُ ابن الأكْوَعِ إلى الرَّبَذَةِ، وتزوَّجَ امرأةً هُناكَ، وَوَلَدَتْ له أَوْلاداً، فلم يزلْ بها حَتَّى إذا كانَ قَبْلَ أن يموتَ بليالٍ نَزَل المَدِينَةَ، وما زالَ الناسُ يَعْتَزِلونَ ويُخَالِطون كلَّ واحِدٍ مِنْهُم على ما يَعلَمُ من نَفْسِهِ ويَتَأَتَّىٰ لَهُ من أمْرِهِ.

وقد كان العُمَرِيّ بالمدينة مَعْتَزِلاً، وكان مالِكٌ مُخالِطاً للنّاسِ، ثم اعْتَزَلَ آخِرَ عُمُرِهِ، فَيُرَوَىٰ أَنَّهُ أَقَامَ ثمان عشرة سَنَةً لم يَخْرُجْ إلى المسْجِدِ، فَقِيلَ له في ذلك، فقال: لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُهُ أنْ يُخْبِرَ بِعُذْرِهِ.

واخْتُلِفَ في عُذْرِه [على ثلاثة أقوالٍ]، فَقِيلَ: لِئلا يَرَىٰ المُنْكَرَ،

وقيل: لئلا يَمْشي إلى السُّلْطان، وقيل: كانَتْ به أبْردة فكان يرىٰ تنزيهَ المسْجِدِ عنها، ذكره القاضي أبو بكر ابن العَرَبي في كتاب «سراج المريدين» له. انتهى.

وعن ابن عَمْرِو بن العاصِ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**كَيفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ في حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمانَاتُهم، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا**» وشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه، قَالَ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**عَلَيْكَ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهِمْ**» وفي روايةٍ [أبو داود، رقم: **٤٣٤٣**]: «**الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ**» رواه الترمذي [بل أبو داود، رقم: **٤٣٤٢**] وصَحَّحَهُ [وراجع البخاري رقم: **٤٨٠**].

وَعَنِ المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ**» أخرجه أبو داود [رقم: **٤٢٦٣**].

وَعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ**»، أَخْرَجَهُ أبو داود [عن أبي هُرَيرة، رقم: **٤٢٤٩**].

وهذه الأحاديثُ يُسْتَفادُ منها حُكْمُ الفِتَنِ، وماذا يَفْعَلُ المسْلِمُ فِيها؟

وعن ابْنِ مَسْعودٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَرْبَعُ فِتَنٍ، آخِرُهَا الْقَتْلُ**»[1] أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: **٢٤١**].

---

(١) عند أبي داود، «في آخِرِها الفَنَاءُ» بدلًا من: «آخِرُها القتل».

وعَنْ عَرْفَجَةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِناً مَنْ كَانَ»** وفي رِوايةٍ: **«فَاقْتُلُوهُ»** أخرجه مُسْلم [رقم: ١٨٥٢] وأبو داود [رقم: ٤٧٦٢] والنسائي [رقم: ٤٠٢٠، و ٤٠٢١، و ٤٠٢٢].

والهَنَاتُ، جمع هَنَة، وهي: الخصْلَةُ مِنَ الشَّرِّ دون الخَيْرِ.

وعن معاوية رضي الله عنه، قال: قَامَ فِينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **«أَلا إِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةِ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ في الْجَنَّةِ، وهي الجماعَةَ»** أخرجه أبو داود [رقم: ٤٥٩٧]. وفي رِوَايَةٍ: **«سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقوامٌ تَتَجارَىٰ بِهِمُ الأَهْوَاءُ كما يَتَجارَىٰ الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ»**.

والتَّجاري: تفاعُلٌ من الجَرْي، وهو: الوُقوعُ في الأهْواء الفاسِدَةِ والبِدَعِ المُضِلَّة، والتَّداعي فيها تشبيهاً بِجَرْيِ الفَرَسِ وَالكَلَب ـ بتحريك اللام ـ: داءٌ معروفٌ يَعْرِض للكَلْبِ، إذا عَضَّ إنساناً عَرَضَتْ له أعراضٌ رَدِيّة وأمراضٌ فاسِدَةٌ قاتِلَة، فإذا تجارَىٰ بالإنسانِ وتمادَى هَلَكَ.

وعن ابْنِ عَمْرو بن العاص رَضِيَ الله عنهما، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَيَأْتِيَنَّ عَلىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ على بَني إِسْرائيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إذا كانَ مِنهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً لَيَكونَنَّ في أُمَّتي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِك»** أخْرجَه التِرْمذيُّ بطُولِهِ [رقم: ٢٦٤١].

وعن ثَوْبان رَضِيَ اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّما أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّين، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنها إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَلْتَحِقَ قَبائلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثانَ، وَإِنَّهُ سَيَكونُ في أُمَّتِي ثلاثونَ كَذَّاباً كُلُّهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبيَّ بَعْدِي، وَلا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»** قال علي ابن المَدِيني: هُمْ أَصْحابُ الحَدِيث. أخرجه مسلم [رقم: ١٩٢] وأبو داود [رقم: ٤٢٥٢] والتِّرْمذي [رقم: ٢٢٢٩] مُفَرَّقاً، وأخرجه رَزِين بهذا اللَّفْظِ، وقد وَقَع كما أَخْبَرَ، فهذا عَلَمٌ من أعلامِ النبوَّةِ.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَيَأْتِينَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمانٌ لا يَدْرِي الْقَاتِلُ في أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلا المَقْتُولُ في أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»**. قيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قال: **«الْهَرْجُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»** أخرجه مسلم [رقم: ٢٩٠٨].

وعن أبي سَعِيدٍ رَضِي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ يَقْتُلُها أَوْلَىٰ الطائِفَتَيْنِ بالْحَقِّ»** أخرجه أبو داود [رقم: ٤٦٦٧].

وعن ابن عُمَرَ رَضِي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذَا مَشَتْ أُمَّتِي بِالمُطَيْطِيَاءِ، وَخَدَمَتْها أَبْناءُ المُلُوكِ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سُلِّطَ شِرَارُها عَلَىٰ خِيارِهَا»** أَخْرَجَهُ الترمذي [رقم: ٢٢٦١]، وقال: حديث غريب، والمُطَيْطياء: المَشْي بتَبَخْتُرٍ، وهي مِشْيَةُ المُتكَبِّرين المُتَجَبِّرين.

وعن أسامَةَ بن زَيْد رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**مَا أَدَعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجالِ مِنَ النِّسَاءِ**» أخْرَجَهُ البخاري [رقم: ٥٠٩٦] ومسلم [رقم: ٢٧٤٠، والترمذي، رقم: ٢٧٨] وابن ماجه [رقم: ٣٩٩٨].

وفي البابِ أحاديثُ صحيحةٌ في الصَّحيح وغيرِهِ.

وعن كَعْبِ بنِ عِياضٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي المالُ**» رواه التّرمذي [رقم: ٢٣٣٦]، وقال: هذا حَديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ سَكَنَ البادِيَةَ فَقَدْ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَىٰ أَبْوابَ السُّلْطانِ افْتَتَنَ**» أخرجه التّرمذي [رقم: ٢٢٥٦]، وقال: وفي الباب عَنْ أبي هُرَيْرَةَ؛ وَهذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ.

قال القُرْطُبيُّ [٢/٤١٣]: حذَّر الله سبحانه عبادَهُ فِتْنَةَ المال والنِّساء في كتابه، وعلى لسانِ نبيّه، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [٦٤ سورة التغابن/ الآية: ١٤] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [٦٤ سورة التغابن/ الآية: ١٥] ومَا كانَ عاصِماً من فتنة المال والوَلَدِ فهو عاصِمٌ مِنْ كُلِّ الفِتَنِ والأهواء، وهو الوقَايةُ من شحِّ النَّفْسِ والإقْراضِ لِلَّه تعالى. انتهى.

وعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَتْ أُمَراؤُكُمْ خِيارَكُمْ، وَأَغْنِياؤُكُمْ سُمَحاءَكُم، وَأُمورُكُمْ شُورَىٰ بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِها؛ وَإِذَا كانَتْ أُمَراؤُكُمْ شِرارُكُم، وَأَغْنِياؤُكُم بُخَلاءَكُمْ، وَأُمورُكُم إلى نِسائِكُم، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِها**» أخرجه الترْمذي [رقم: ٢٢٦٦].

وعَنْ عليّ رَضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: **«كَيفَ بِكُمْ إِذَا فَسَقَ فِتْيانُكُمْ وَطَغَىٰ نِساؤُكُمْ؟»** قالوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! وَإِنَّ ذَلِكَ لَكائِنٌ؟ قال: **«نعَم، وَأَشَدُّ؛ كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؟»** قالوا: يَا رَسولَ الله! وَإِنَّ ذَلِكَ لَكائِنٌ؟ قال: **«نعَم، وَأَشَدُّ؛ كَيفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ المَعْرُوفِ؟»** قالوا: يَا رَسولَ الله! وَإِنَّ ذلك لَكائِنٌ؟ قالَ: **«نَعَم، وَأَشَدُّ؛ كَيفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمَ المَعْرُوفَ مِنْكَراً أَوِ المُنْكَرَ مَعْرُوفاً؟»** قالوا: يَا رَسولَ اللّهِ! وَإِنَّ ذَلِكَ لَكائِنٌ؟ قال: **«نَعَم»** أخْرَجَه رَزِين.

وعن عَبْدِالله بن عَمْرو بن العاص رَضِي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قالَ: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلي إِلَّا كَانَ عَلَيهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُها فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَها بَلاءٌ وَأُمورٌ تُنْكِرُونَها، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ وَهَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلىٰ النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِماماً، فَأَعْطاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»** أخرجه مسلم [رقم: ١٨٤٤] والنسائي [رقم: ٤١٩١] والحديث طويل.

وعن حُذَيْفَةَ رَضِي الله عنه، قالَ: كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رسولَ اللّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الخَيْرَ لَنْ يَسْبِقَنِي، قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! بَعْدَ هذا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قالَ: **«يا حُذَيْفَةُ! تَعَلَّمْ كِتابَ اللّهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ»** ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ، وَجماعَةٌ عَلَىٰ أَقْذَاءٍ فِيهِمْ أَوْ فِيهَا»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الهُدْنَةُ على الدَّخَنِ مَا هِيَ؟ قَالَ: **«لا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَام عَلَىٰ الَّذِي كانَتْ عَلَيْهِ»** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: **«فِتْنَةٌ عَمْياءُ صَمَّاءُ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ، وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جِذْلٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَداً مِنْهُمْ»** رواه أبو داود [رقم: **٤٢٤٤**] وأَوْرَدَهُ القُرْطُبي في باب الأمر بتَعَلُّمِ كتاب الله واتباع ما فيه عند غَلَبَةِ الفِتَنِ وظهورها.

أقولُ: ويَدْخُلُ في تعلُّم الكتاب السُّنْةُ واتِّباعُ ما فيها، لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [**٥٩** سورة الحشر/ الآية: **٧**].

وَعَن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: **«خُذُوا العَطَاءَ ما دَامَ عطاءً، فَإِذَا صَارَ رَشْوَةً عَلَىٰ الدِّينِ فَلا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتارِكِيهِ يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ الفَقْرُ وَالْحاجَةُ، أَلا إِنَّ رَحَىٰ الإِسْلام دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلا إِنَّ الكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقانِ، فَلا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لأَنْفُسِهِم مَا لا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُم قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قالَ: **«كَما صَنَعَ أَصْحابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَحُمِلُوا عَلَىٰ الخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»** أَخْرَجه أَبُو نُعَيْم في بابِ يزيد بن مرثد، وهو غريبٌ، لم يَرْوِه عن معاذ إلا يزيد المذكور [«مجمع الزوائد» **٤٢٨/٥**].
وهو عَلَمٌ من أعلامِ النبوَّة، أَخْبَرَ بما يكُونُ فكانَ كما أَخْبَرَ. وفي الباب أحاديث عن حذيفة، عند الشَّيْخَيْن وأبي داود.

وعن يحيى بن سعيد أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَدْعُو فَيَقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَساكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِي النَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيرَ مَفْتُونٍ**» أخرجه مالك [٢١٨/١] [كتاب النداء للصلاة]، قال ابن وَهْب: قال مالك: كانَ أبو هُرَيْرة يَلْقىٰ الرَّجُلَ فيقولُ لَهُ: مُتْ إِنِ اسْتَطَعْتَ، فيقول له: لِمَ؟ قال: تَمُوتُ وَأَنْتَ تَدْرِي عَلَىٰ مَا تَمُوتُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ لا تَدْرِي عَلَىٰ ما تَمُوتُ عَلَيْهِ. قالَ مَالِك: ولا أرىٰ عُمَرَ دَعا ما دَعا بِهِ من الشَّهادَةِ إلا خافَ التَّحَوُّلَ مِنَ الفِتَنِ [«التذكرة» **٤٠٧/٢**].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! مُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**» [راجع أبي داود، رقم: **٤٢٤٩**] أوردَهُ القُرْطُبيُّ [«التذكرة» **٤٠٧/٢**] في بابِ جواز الدُّعاء بالمَوْتِ عِنْدَ الفِتَنِ، قال: وهذا غايَةٌ في التَّحْذِير من الفِتَنِ والخَوْضِ فيها، حيث جَعَلَ المَوْتَ خيراً من مُباشَرتِها.

وعن أبي البَخْتَرِيِّ، قال: حَدَّثَني مَنْ سَمِعَ النبيَّ ﷺ قَالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَنْ يَهْلَكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا أَوْ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِم**» أخرجه أبو داود [رقم: **٤٣٤٧**].

وعن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيفَ فَلَيْسَ مِنّا**» أخرجه مسلم [رقم: **٩٩**].

وعن ابن الزُّبَيْر رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ شَهَرَ سَيْفَهُ، ثُمَّ وَضَعَهُ، فَدَمُهُ هَدْرٌ**» أخرجه النَّسَائيُّ [رقم: **٤٠٩٧**].

الهَدْرُ: الَّذي لا يُطْلَبُ بِثأْرِهِ.

وعن سُرَاقَةَ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ المُدَافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ**» أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: **٥١٢٠**].

وعن واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قال: قُلْتُ: يا رسول الله! مَا العَصَبِيَّةُ؟ قالَ: «**أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ**» أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: **٥١١٩**].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ أَخِيهِ بالسِّلاحِ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**» أخرجه الشيخان [البخاري، رقم: **٧٠٧٢**؛ مسلم، رقم: **٢٦١٧**] والترمذي [رقم: **٢١٦٢**].

والنَزْغُ: الفَسَاد.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» أَخْرجه الخمسة إلا أبا داود [البخاري، رقم: **٤٨**؛ مسلم، رقم: **٦٤**؛ الترمذي، رقم: **١٩٨٣**؛ النسائي، رقم: **٤١٠٥**؛ ابن ماجه، رقم: **٦٩**].

وعن ابنِ عَبْاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَرْجِعُوا بعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» أَخْرَجَهُ التِرْمذي [رقم: **٢١٩٣**] ورواه أبو داود [رقم: **٤٦٨٦**]، والنسائي [رقم: **٤١٢٥**]، والبُخاري [رقم: **٦١٦٦**] عن ابن عمر.

ومنها حديثُ ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّما النَّاسُ كَالإِبِلِ المِئَةِ، لا تَكادُ تَجِدُ فِيها رَاحِلَةً**»

مُتَّفَقٌ عَلَيْه [البخاري، رقم: ٤٦٩٨؛ مسلم، رقم: ٢٥٤٧].

وعَنْ أبي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِراعاً بِذِراعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اليَهُودُ وَالنَّصارَى؟ قال: **«فَمَنْ؟!»** أخرجه الشيخان [البخاري، رقم: ٣٤٥٦؛ مسلم، رقم: ٢٦٦٩].

وعن مِرْداسٍ الأَسْلَمِيِّ، قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: **«يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَو التَّمْرِ، لا يُبالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً»** رَواه البخاري [رقم: ٦٤٣٤؛ قال البخاري: يقال: حُفَالَةُ وحُثَالَة].

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنْياكُمْ شِرَارُكُمْ»** رواه الترمذي [رقم: ٢١٧٠].

وقَدْ وَقَعَ من قَتْلِ الأَئِمَّةِ فِيمَا مَضَىٰ ما وَقَعَ، ووَقَع في هذا الزَّمانِ قَتْلُ السُّلْطانِ عبدالعزيز خان بالسُّمِّ بعد العَزْلِ والحَبْس، وهو أَصَحُّ الروايات عند النقّاد، والله أعلم.

وعَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيا لُكَعُ بنُ لُكَعٍ»** رواه الترمذي [رقم: ٢٢٠٩] والبيهقي في «دلائل النبوة».

وعن ثَوْبانَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَداعَىٰ عَلَيْكُم كَما تَداعَىٰ الأَكَلَةُ إِلىٰ قَصْعَتِها»** فَقالَ قائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **«بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ**

السَّيلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمُهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ» قالَ قائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الوَهْنُ؟ قال: «**الوَهْنُ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**» رواه أبو داود [رقم: **٤٢٩٧**] والبَيْهقي في «الدلائل».

قُلْتُ: وقد كادَتْ ماجْرِيات الإسْتَنْبول التي وَقَعَتْ في هذا العامِ تَكونُ مِنْ جِنْسِ ما يَصْدُقُ عليه هذا الحديثُ، فإنَّ جُموعَ النَّصارى وأُمَمَهُم على اختلافِ أقطارِهم وأحوالِهم قد تَداعَتِ اليومَ على أرْضِ الرُّوم، واسْتَعَدُّوا على حَرْبِ السلطان عَبدالحَميد خان من جميع الجهاتِ، وَاللَّهُ سُبْحانه مُؤَيِّدُ الإسلام والمسلمين، ومُبَدِّدُ شَمْل الفِئة الكافرين.

وعن أبي مُوسى رضي الله عنه، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمَّتي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحومَةٌ لَيسَ عَلَيْها عَذابٌ في الآخِرَةِ، عَذَابُها في الدُّنْيا الفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالقَتْلُ**» رواه أبو داود [رقم: **٤٢٧٨**].

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَىٰ القُلوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَها نُكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضاءُ، حَتَّىٰ تَصيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ: عَلَىٰ أَبْيضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دَامَتِ السَّمَواتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلا يُنْكِرُ مُنْكراً، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**» رواه مسلم [رقم: **١٤٤**].

قال [ولي الله الدَّهْلَوي] في «الحجَّةِ» [**٢/٢١٢**]: الهواجِسُ النفْسانِيّة والشَّيْطانية تَنْبَعِثُ في القلوب، والأعمالُ الفاسِدَةُ تَكْتَنِفها، ولا

تكونُ حينئذٍ دعوةٌ حَثيثةٌ إلى الحَقِّ، فلا ينكرُها إلا مَنْ جَهِلَ في قلبه هيئةً مضادة للفتن، وتعمّ مَنْ سوى ذلك وتأْخُذُ بتلابيبه. انتهى.

وعنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجالٌ قُلُوبُهُم قُلُوبُ الشَّياطِينِ في جُثْمانِ إِنْسٍ**»، قالَ حُذَيْفَةُ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إن أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**» رواه مسلم [رقم: **١٨٤٧**].

وعنه، قال: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلىٰ أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً؛ إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ. رواه أبو داود [رقم: **٤٢٤٣**].

هذا عَلَمٌ من أعْلامِ النبوَّةِ، حَيْثُ أَخْبَرَ بما سَيكونُ فَوقَعَ كما أَخْبَرَ، ويَقَعُ فِيما يُسْتَقْبَلُ ما بَقِيَ مِنْ ذلك.

وعن أمِّ مالكٍ البَهْزِيَّةِ رضي الله عنها، قالت: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا؟ قالَ: «**رَجُلٌ في ماشِيَتِهِ يُؤَدِّي حقَّهَا وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَرَجُلٌ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ يُخِيفُ العَدُوَّ وَيُخِيفُونَهُ**» رواه الترْمذي [رقم: **٢١٧٧**].

وعن عَبْدالله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْطِفُ**[1] **الْعَرَبَ، قَتْلاهَا في النارِ، اللِّسَانُ فِيها أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**» رواه الترْمذي [رقم: **٢١٧٨**؛ أبو

(١) كذا الأصل بالطاء، وفي بعض المصادر بالظاء المعجمة.

داود، رقم: ٤٢٦٥] وابن ماجه [رقم: ٣٩٦٧].

قال القرطبيُّ في «التذكرة» [٢/٣٩٩]: قوله: «**تَسْتَنْطِفُ**»، أي: تَرْمِي، مأخوذٌ من نَطَفَ الماءُ، أي: قَطَر، أي: إنَّ هذه الفتنة تَقْطُر قتلاها في النار، أي: ترميهم فيها لاقْتِتالهم على الدُّنيا واتِّباعِ الشَّيطان والهوىٰ. «قتلاها» بدلٌ من قوله: «العَرب».

هذا المعنى الذي ظَهَر لي في هذا، ولم أقفْ فيه على شيء لغيري، وقوله: «**اللسان**» أي: بالكذب عند أئمة الجُورِ، ونَقْلِ الأخبار إليهم، وفرُبَّما يَنشأُ عن ذلك من النَّهْبِ والقَتْلِ الجَلْدِ والمفاسد العظيمة أكثر ممّا يَنْشَأُ من وقوعِ الفِتْنةِ نفسها؛ والله أعلم بالصواب. انتهى.

وعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**سَتكُونُ فِتْنَةٌ صَمّاءُ بَكْماءُ عَمْياءُ مَنْ أَشْرَفَ لها اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسانِ فِيهَا كَوُقوعِ السَّيْفِ**» رواه أبو داود [رقم: ٤٢٦٤].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، قال: كُنَّا قُعوداً عندَ النبيِّ ﷺ، فذَكَرَ الفِتَنَ، فأكْثَرَ في ذِكْرِها، حتى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأحْلاسِ، فَقالَ قائلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَما فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قال: «**هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ الْسَّرَّاءِ دَخَنُها مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّما أَوْليائي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَىٰ رَجُلٍ كَوَرِكٍ علىٰ ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيماءِ لا تَدَعُ أَحداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تمادَتْ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيها مُؤْمِناً وَيُمْسِي كافِراً، حَتَّىٰ يَصِيرَ النَّاسُ إِلىٰ فُسْطاطَيْنِ: فُسطاطُ إِيمانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطاطُ نِفاقٍ لا إِيمانَ فِيهِ، فَإِذَا كانَ ذَٰلِكَ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ**» رواه أبو داود [رقم: ٤٢٤٢].

قال [ولي الله الدهلوي] في «الحجة» [٢/٢١٣]: أقولُ: يشْبهُ - واللَّهُ أعلم - أنْ تكونَ «فتْنةُ الأحْلاسِ» قتالَ أهْل الشام عبدالله بن الزبير بَعْدَ هَرَبِهِ من المدينة، و«فتْنةُ السَّرّاءِ» إما تغلُّبُ المخْتارِ وإفراطُهُ في القتل والنَّهب يَدْعُو ثَأْرَ أهْلِ البيت، فقولُه: «يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي» معناه: من حزْبِ أهْل البَيْتِ وناصريهم، ثُمَّ اصْطَلَحُوا على مروان وأولاده، أو خروجُ أبي مُسْلِمِ الخُراساني لِبَني العَبّاس يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعى في خلافَةِ أهْلِ البَيْتِ، ثُمَّ اصْطلحوا على السّفّاح، وَ«الفتْنَة الدُّهَيْماء»: تغلّب الجنكيزية[1] على المسْلِمين ونَهْبهم بلاد الإسلام. انتهى.

وقال الخَطّابي: إنَّما أُضِيفَتِ الفتْنَةُ إلى الأحلاس لِدَوامِها وطُول لبثْها، أو لِسَوادها وظلمتها، و«الحَرَب»: ذَهابُ الأهْلِ والمال، الدَّخَن: الدُّخان، وقوله: «وَرِك على ضِلَع» مَثَلٌ، معناه: الأمر الذي لا يَثْبتُ ولا يَسْتَقِيم، يريدُ أنَّ هذا الرجلَ غيرُ خَلِقٍ للمُلْك.

قال القُرْطُبيُّ في «التَّذْكرة» [٢/٣٨٣]: دلَّتْ أحاديثُ هذا الباب على أنَّ الصَّحابة رَضِي الله عنهم كانَ عِنْدَهم من علم الكوائن إلى يَوْمِ القيامةِ العلم الكثير، لكنْ لَمْ يُشِيعوها، إذْ لَيْسَتْ من أحاديث الأحكام، وما كانَ فِيهِ شيءٌ من ذلك حَدّثوا به. انتهى.

والفُسْطاط: الخيمة الكبيرة. والمراد به هنا: الفِرْقة المجْتَمِعة المنحازَة عن الفرق الأخرى، وتسمى مدينة مصر: الفُسْطاط.

وعن حُذَيْفة رَضي الله تعالى عنه، قالَ: قامَ فينا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً ما تَرَكَ شَيْئاً يكونُ في مَقامِهِ ذَلِكَ إلى قيامِ السَّاعَةِ إلاّ حَدَّثَ بِهِ،

(١) فيه أنه مضى من فتنة الجنكيزية إلى الآن زمن كثير، ولم يخرج الدجال، وفي الحديث أنه يخرج من يوم هذه الفتنة، أو من غدها، فليعلم.

حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحابي هَؤُلاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَما يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذا غابَ عَنْه، ثُمَّ إِذا رَآهُ عَرَفَهُ. أخرجه البخاري [رقم: **٦٦٠٤**] ومسلم [رقم: **٢٨٩١**].

هذَا آخِرُ الأحاديثِ الوارِدَةِ في أبوابِ الفِتَنِ، وستأتي الإشارَةُ إلى ما جاءَ مِنَ الملاحِمِ وأشْراطِ السَّاعَةِ.

قال الشَّيْخُ العارِفُ أحمد وَليّ اللَّهِ المحدِّثُ الدِّهْلَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتابِهِ «حجة الله البالغة» [**٢/٢١١**]:

اعْلَمْ أنَّ الفِتَنَ على أقْسَامٍ:

١ - فتنة الرَّجُلِ في نَفْسِهِ، بأنْ يَقْسُوَ قلْبُهُ، فلا يَجِدُ حلاوةَ الطَّاعَةِ، ولا لَذَّةَ المُناجَاةِ، وَإِنَّما الإنسانُ ثلاث شُعَبٍ:

(أ) قَلْبٌ: هو مبدأُ الأحوالِ، كالغَضَبِ والْجُرْأةِ والحياءِ والمحبَّةِ والخَوْفِ والقَبْضِ والبَسْطِ ونحوِها.

(ب) وعَقْلٌ: هو مَبْدأُ العلومِ التي يَنْتَهي إليه الحواسُ، كالأحْكامِ البديهِيَّةِ من التجربة والحَدْسِ ونحوِهما، والنظريَّةِ من البُرهان والخطابِيّة ونحوِهما.

(ج) وطَبْعٌ: وهو مَبْدأُ اقْتِضاءِ النَّفْسِ ما لا بُدَّ منه، أو لا بُدَّ من جِنْسِهِ في بَقاءِ البُنْيَةِ، كالدَّاعِيَةِ المنْبَجِسَةِ في شهْوةِ الطَّعامِ والشرابِ والنَّوْمِ والجِماعِ ونحوِها.

ثم فَصَّلَ هذه الثلاث، قال:

هذا ما عِنْدي من معْرِفة لطائف الإنسان.

٢ ـ وفتنة الرَّجُلِ في أَهْلِهِ: وهي فسادُ تَدْبيرِ المنْزِلِ، وإلَيْها الإشَارَةُ في قولِهِ ﷺ: «**إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَاياهُ، فَأَدْناهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شيئاً**» قال: «**ثُمَّ يَجيءُ أَحَدُهُم، فَيَقولُ: مَا تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، ويقولُ: نِعْمَ أَنْتَ**» أَخْرَجَهُ مسلم [رقم: ٢٨١٣] عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣ ـ وفتنةَ تَموجُ كَمَوْجِ البَحْرِ: وهي فسادُ تدبيرِ المدينَةِ، وطَمَعُ النَّاسِ في الخلافَةِ مِن غَيْرِ حَقٍّ، وهو قولُهُ ﷺ: «**إنَّ الشَّيطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ**[1] **بَيْنَهُمْ**» [مسلم، رقم: ٢٨١٢].

٤ ـ وفتنة مِلِّيَّةٍ: وهي أن يموت الحواريّون من أصحاب النبي ﷺ، ويُسْنَدُ الأمْرُ إلى غَيْرِ أهْلِه، فيتعمَّقُ رهبانُهم وأحْبارُهم، ويتهاوَنُ ملوكُهم وجُهَّالُهم، ولا يأمُرونَ بِمَعْروفٍ، ولا يَنْهونَ عن منْكَرٍ، فيصيرُ الزمان زمان الجاهلية، وهو قوله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إلا كانَ لَهُ حَوَارِيُّون. . .**» الحديث [مسلم، رقم: ٥٠].

٥ ـ وفتْنة مستَطِيرة: وهي تغيُّرُ النَّاس من الإنسانِيّة ومقتضاها، فأزْكاهُم وأزْهَدُهم إلى الانْسِلاخِ مِنْ مُقْتَضَياتِ الطَّبْعِ رَأْساً دون إصْلاحِها والتشبُّهِ بالمجرَّداتِ، والتحنُّنِ إليهم بوَجْهٍ من الوُجوهِ، ونحو ذلك؛ وعامَّتُهم إلى الْبَهيمِيّة الخالِصَة، ويكون ناسٌ بَيْنَ الفريقَيْن، لا إلَىٰ هؤلاء ولا إلَىٰ هؤلاء.

---

(١) التحريش: الإفسادُ وتغييرُ قلوبهم وتقاطُعُهم. النووي، «رياض الصالحين».

٦ ـ وفتْنَة الوقائع الجوِّيَّة المنْذِرَةِ بالإهْلاكِ العام: كالطُّوفانات العظيمَةِ من الوَبَاءِ والخَسْف، والنّارِ المنْتَشِرَةِ في الأقطار، ونحو ذلك...

وقد بَيَّن النبيُّ ﷺ: «**إنَّ هذا الأمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً ورَحْمَةً، ثم يكون خِلافَةً ورَحْمَةً، ثم مُلْكاً عَضُوضاً، ثُمَّ كائِنٌ جَبْرِيَّةً وَعُتُوّاً وَفَسَاداً في الأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالفُرُوجَ وَالْخُمورَ، يُرْزَقُونَ على ذَلِكَ ويُنْصَرُونَ، حتَّى يَلْقُوا اللَّهَ**» رواه البيهقي في «شُعَبِ الإيمان» عن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما [«كنز العمال»، رقم: ١٥١١١].

أقولُ [والقول للدِّهْلَوي]: فالنبوَّةُ انْقَضَتْ بوَفاةِ النبيِّ ﷺ، والخلافَةُ التي لا سَيْفَ فيها بمَقْتَلِ عثْمان، والخلافَةُ بشَهادَةِ عَلي كرَّمَ اللَّهُ وجْهَهُ وخَلْعِ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ والمِلْكُ العَضوضُ مشاجراتُ الصَّحابة بني أُميَّة ومظالمهم إلى أنِ استقَرَّ أمْرُ معاوية؛ والجَبْرِيّة والعُتُوّ خلافَةُ بني العباس، فإنَّهمُ مهَّدُوهَا على رُسومِ كِسْرَى وقَيْصَر...

وقال حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أيَكونُ بَعْدَ هذا الخَيْرِ شَرٌّ كما كانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قال: «**نعم**»، قلتُ: فما العِصْمَةُ؟ قال: «**السَّيْفُ**». قلتُ: وَهَل بَعْد السَّيْفِ بَقِيّة؟ قال: «**نَعم! يَكُونُ أَمَارَةٌ عَلَىٰ إقْذاءٍ، وهِدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ**»، قلتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: «**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعاةُ الضَّلالِ، فَإنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مالَكَ فَأَطِعْهُ، وَإلّا فَمُتْ وَأَنْتَ عَارِضٌ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ**» رواهُ أبو داود [رقم: ٤٢٤٤] بطُولِهِ.

أَقُولُ: الْفِتْنَةُ التي تَكونُ الْعِصْمَةُ فيها السَّيْف: ارْتِدَادُ العَرَبِ في أَيَّام أبي بَكْرٍ رضي الله عنه، وأمَّا **«أَمارَة على إقْذَاءٍ»** فالمُشَاجراتُ التي وَقَعَتْ في أَيَّامِ عثمان وعلي رضي الله عَنْهُما، وَ**«هِدْنة على دَخَنٍ»** الصَّلْحُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ مُعاوِية وَالْحَسَن بن علي رَضِي الله عنهم، **«وَدُعاة الضَّلال»** يَزيدُ بِالشَّامِ، ومُخْتارُ[1] بِالْعِرَاقِ، ونحو ذلك؛ حتى استقرَّ الأمْرُ عَلَىٰ عَبْدِالمَلِك...

وبَيَّنَ النبيُّ ﷺ أَشْراطَ السَّاعَةِ، وَهِيَ تَرْجِعُ إِلىٰ أنواعِ الفِتَنِ التي مَرَّ ذِكْرُهَا وشُيوعِها وكَثْرَتِها، فَإِنَّ التَّلَفَ مِنَ القَرَفِ، وَإِنَّما يَجيءُ النَّقصانُ مِنْ حَيْثُ يجيءُ الهَلاكُ، وشَرْحُ هَذا يَطولُ...

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَدُورُ رَحَىٰ الإسْلام لِخَمْسٍ وَثلاثِين، أَوْ سِتٍّ وثلاثين، أَوْ سَبْعٍ وَثلاثين؛ فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَاماً»** قلتُ: أَمِمَّا بَقِيَ، أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قال: **«ممَّا مَضَىٰ»** أخرجه أبو داود [رقم: **٤٢٥٤**] عن ابْنِ مَسْعودٍ.

فمعنى قوله: **«تدور رَحَىٰ الإسْلام»** أي: يَقُومُ أَمْرُ الإسلام بِإِقَامَةِ الحدودِ وَالجهادِ في هَذِه الأُمَّةِ، وذَلِكَ صَادِقٌ مِنِ ابْتِداءِ وَقْتِ ٱلْجِهادِ وأَوائل الهِجْرَةِ إلى مَقْتَلِ سيِّدنا عثمان رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وَالشَّكُّ في خَمْسَةٍ وثلاثين وأَخْوَاتِها، لأنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ مُجْملًا. وقوله: **«فَإِنْ يَهْلَكُوا»** بَيَانٌ لِصُعوبَةِ الأَمْرِ، وَأَنَّ الأَمْرَ يَصيرُ إِلَىٰ حَالَةٍ لَوْ نَظَرَ فيها النَّاظِرُ يَشكُّ في هَلاكِ الأُمَّةِ وَبُطْلانِ أُمُورِهِم. وقولُه: **«سَبْعين عاماً»** ابْتِدَاؤُها مِنَ الْبِعْثَةِ، وَتَمامُها مَوْتُ مُعاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَهُ قامَتْ

---

(١) أي: المختار ابن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، قتل عام ٦٧هـ، له ترجمة في «الإصابة» لابن حجر.

فِتْنَةُ دُعاةِ الضَّلالِ. وقولَهُ: «**سَبْعِينَ عاماً**» معْنَاهُ: تَهْويلُ الأَمْرِ، وَأَنَّهُ يكونُ تَحْتَ بَطْنِ الْباطِنِ فِيهِ، وَأَنَّهُ لا يكونُ بَعْدَ هَذا اسْتِقَامَةُ الأَمْرِ، واللَّهُ أَعْلَم.

وقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الأَعْيُنِ**» يَعْني: التُّرْكُ، «**تَسُوقُونَهُم ثلاثَ مَرَّاتٍ**» الحديث [رواه أبو داود، رقم: **٤٣٠٥**].

معْنَاهُ: أنَّ العَرَبَ يجاهِدُونَهُم وَيَغْلبونَهُم، فَيَصِيرُ ذلك سَبَباً لأحْقاد وضَغَائن حتى يَؤُولَ الأَمْرُ إلىٰ أن يَذُبُّوا العَرَبَ مِنْ بلادِهِم، ثُمَّ لا يَقْتَصِرون على ذَلِكَ، بل يدْخلونَ بِلادَ العَرَبِ؛ وهذا هو المراد من قولِهِ: «**حتَّى تُلْحِقُوهُم بِجَزِيرَةِ العَرَبِ**».

أَمَّا في السِّياقَةِ الأُولى، فَيَنْجُو مِنَ العَرَبِ مَنْ هَرَبَ مِنْ قِتالِهِم، بأَنَّ يَفِرَّ مِنْ بين أَيْدِيهم، وذَلِكَ صادِقٌ بِقِتالِ الجَنْكِيزِيّة، فَهَلَكَ العبّاسِيّة الذين كانوا بِبَغْداد، وَنَجا العبَّاسِيّة الذين فَرُّوا إلى مِصْرَ.

وأَمَّا في السِّيَاقَةِ الثانية، فَيَنْجُو بَعْضٌ ويَهْلَكُ بَعْضٌ، وذَلِكَ صَادِقٌ بِوَطْءِ تِيمُور دِيارَ الشَّامِ وَإِهْلاكِ أَمْرِ العَبَّاسِيَّةِ.

وأمّا في الثالثة فَيَصْطَلَمُونَ، أي: يُسْتَأْصَلُون، وذلك صَادِقٌ بغَلَبَةِ العُثْمانِيَة على جَمِيعِ العَمَلِ، والله أعلم. انتهى كلام «حجة الله البالغة».

وَجُمْلَةُ القَوْلِ الحَقِّ في الباب أَنَّهُ لا سَلامَةَ في الخَلْقِ مِنَ الآفَاتِ، وأَنَّ الإنْسَانَ قطْبُ رَحىٰ الشُّرورِ، ومَرْكَزُ دَوائِرِها التي تَدُورُ، قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ عَدُوٍّ وحَاسِدٍ، وَخَؤُونٍ ومُعَانِدٍ، وحَصَرَهُ بين الْجِهاتِ السِّتِّ، وَهُوَ عَلَى مَا فيهِ مِنْ إِبْداعِ الخِلْقَةِ، وَحُسْنِ التَّصْوير؛ لَيْسَ لَهُ غَيْرُ وَجْهٍ وَاحِدٍ، وَيمينٍ وَساعِدٍ، إِنِ اتَّجَهَ إِلىٰ الْبَعْضِ فَاتَهُ الْكُلُّ، وَإِنْ

اكْتَرَثَ بِالأَكْثَرِ أَضَرَّ بِهِ الأَقَلُّ، فَلا يَزَالُ بَيْنَ سَهْمِ مُخْطِىءٍ وَمُصيبٍ، ومَوْرِدٍ آجِنٍ[1] وشَرِيبٍ؛ يَتَجَرَّعُ المَصَائِبَ تَجَرُّعَ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدوحَةً، ويتَنَاسَى ما قَدَّمَ وَإِنْ أَزْهِقَتْ رُوحُهُ:

عَلىٰ أَنَّهَا تَعْفُو الكُلُومُ وَإِنَّما نُوكَلُ بِالأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ ما يَمْضي

فَإِذَا تَأَمَّلْتَ ـ أَعَزَّكَ اللَّهُ ـ فِيمَا اتَّضَحَ مِنْ هَذِهِ الدَّلائِلِ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ العالَمَ أَضْدَادٌ، وَكُلٌّ بِأُحْبُولَتِهِ صَيَّادٌ.

أَمَّا أَحْوَالُ الآدَمِيّينَ، فَحَيْثُ كَانَ عَنْصُرُهُم مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ، كَانُوا إِلَىٰ التَّكْدِيرِ أَقْرَبُ، وَإِلىٰ دَاعِي الْفِتَنِ أَجْوَبُ، وَقَدْ قِيلَ: النَّاسُ ذِئابٌ في ثِيابِ نَعَمٍ، وَأَعداءٌ في زَيِّ الأَصْحابِ، شِعَارُهُم التَّمَلُّقُ، وَدِثارُهُم الْمَكْرُ.

وَمَنْ تَطَلَّبَ مِنْهُم ضِدَّ مَا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الدَّسائِسِ الْخَبيثَةِ، فَكَأَنَّما تَطَلَّبَ مِنَ الْمَاءِ جذْوَةَ نَارٍ.

ونَاهِيكَ بِما قِيلَ: إِنَّ الظُّلْمَ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ، وَإِنَّ مَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَم.

فإِنَّ كانَ لا سَلامَةَ مِنَ الْخَلْقِ إلاَّ بِالظُّلْم، وَلا نَجاةَ مِنْهُم إلا بِالْقَهْرِ وَالْهَضْم، فَمِنْ أَيْنَ جاءَتِ السَّلامَةُ؟ وَكُلٌّ يُطَالِبُهَا أَمامَهُ؛ فَتَرَىٰ العَاقِلَ يُعْمِلُ عَقْلَهُ في الْحِيَلِ، وَالْجاهِلَ لا يَأْلُو جُهْداً في إِدْرَاكِ الأَمَلِ؛ فَإِنْ قَصَّرَ أَحَدُهُمَا عَنْ غَايَةِ مَرَامِهِ اسْتَعانَ بِمَا يُحاكِيهِ في الْمَقَاصِدِ، وَيُشَابِهُهُ في عَمَلِ المكايِدِ، وحَسبُ مُعينِهِ خِلاً وَفِيّاً، وَحَميماً حَفِيّاً؛ وَمَا

(١) قوله: «آجن» أي: متغيِّر في طَعْمِهِ ولَوْنِهِ، من أَجَن الماءُ، إذا تَغَيَّرَ.

عَلِمَ أَنَّ الخِلَّ قَرِينُ الغُولِ، وَأَنَّ العِلَّةَ يُشْبِهُها المعْلُول؛ وَلَكِنَّ عَلَىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَرَدَّى بِالْفَضَائِلِ، فَيَجْعَلُ الْحُكْمَ أَنِيسَهُ، وَالنَّظَرَ في العَوَاقِبِ جَلِيسَهُ؛ وَلا يَغْتَر بِالْكَذُوبِ الْمُخْتَالِ، وَلا العَدُوِّ المتَضَرِّعِ الْمحتالِ:

وَاجْعَلِ النَّاسَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ ثُمَّ كُنْ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ حَذِر

فَمَنِ اتَّصَفَ بهذِهِ الصِّفَاتِ، هانَتْ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِهِ تِلْكَ الآفاتِ؛ فَيَرَىٰ الظُّلْمَةَ سِراجاً، وَالمَضائِقَ سُبُلاً فِجاجاً؛ فَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ صِفَةَ الكَمال؛ وكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ السَّلامَةِ يكونُ، وَالمَرْءُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْن: مسْجون، وهو ما بين غابِن ومَغْبُون؛ وكِلاهُما إِمَّا عَلَىٰ الدُّنْيا مُزَاحِمٌ أو مُقَادِح[1]، وإِمَّا عَنِ الأُخْرَى مُنْعَزِلٌ أو مكافِح؛ فالحِرْصُ على الجمْعِ بَيْنَهُما لا يُسْتَطاع، بل لا يَكونُ صاحِبُهُ بين الجميع بِمُطاع؛ والجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْن الضَّرَّتَيْن، كالتَّوْفِيقِ بَيْنَ الضِّدَّيْن؛ وَالصَّبْرُ علىٰ مُزاحَمَةِ أَبْناء الأُولى وشَرِّ أَضْدادِ الأُخْرَى مِنَ المِنَحِ الإلهية، والمَواهِبِ الرَّبَّانِيّة؛ فأَيّانَ تَكونُ السَّلامَة، مع فَقْدِ المسالمة؟فابْنُ الدُّنْيا يطلبُ جَمْعَ كُلِّها إِلَيْهِ، وابْنُ الأُخْرَى يُحِبُّ أَنْ لا يكونَ غيره من أمْثالِهِ مقدَّماً عليه؛ فإِنَّ تمسَّكَ المَرْءُ بِدينِهِ، سَلَقُوهُ أبناءُ الدُّنيا بِأَلْسِنَتِهِم، وطَعَنُوا في يَقينِهِ؛ وإِنْ مَالَ مَعَهُم إلى الدُّنْيا، أَوْ آثَرَها عَنِ الأُخْرَى؛ لَقِيَ زِحاماً وازْدِحاماً، وَتهاوُشاً وَتَناوُشاً وَانْتِقاماً؛ فالمتأَخِّرُ يَرِدُّهُ إلى الخَلْقِ لِيَتَقَدَّم عليه، والمتقدِّمُ يطلبُ ما بِيَدِهِ ليوصِله إليه؛ وكلاهُما يتَجَنَّبُهُ إنْ سَقَطَ، ويقولُ: ذَا مَجْنونٌ خَلَط؛ يَدورُونَ مع الدَّهْرِ كَيْفَما دارَ، ويَطْلبونَ من الشَّجَرِ الثمارَ؛ ذو النِّعْمَةِ والغِنَىٰ بَيْنَهُم

(١) قوله: «مقادح»، من قَدَح في نسبه: إذا طعن.

مخْسود، وذُو النِّقْمَةِ والفَقْرِ من حَيِّهِم مطْرود؛ فَبِكلا الحالَيْن لا خَلاصَ، وَبِالنِّعْمَةِ والنقْمَةِ من شرِّهِم لا مناص؛ إنْ تَقرَّبَ المَرْءُ إِلَيْهِم أضَاعَ دِينَهُ ودُنْياه، وإنْ تَباعَدَ عَنْهُم قالوا: وسْواسٌ قدِ اعْتَرَاه:

فَلا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَىٰ حُزْني وَلا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ جَذْلي

فَالصَّدِيقُ مِنْهُم لا يَفِي، وَالْخَلِيلُ بِالْقَلِيلِ لا يَكْتَفي؛ الْقَرِيبُ في الشِّدَّةِ غريبٌ، وَالْغَرِيبُ في الرَّخاءِ قريبٌ؛ إنْ رَأَوْا حَسَنَةً يَكْتِمُوها، وَإن بَدَتْ لَهُم سَيِّئَةٌ أَذاعُوها؛ وَقارُ المَرْءِ عِنْدَهُم بقَدْرِ مالِهِ، وحُرْمَتُهُ بزَخْرَفَةِ لِسانِهِ وَدِثارِهِ؛ إنْ وَافاهُمْ مَلُّوه، وإنِ اعْتَزَلَ عَنْهُم أَنْكَرُوه؛ خُلُقاً أَلِفَهُ النّاس، وطَبْعاً رُمِيَتِ الخَلْقُ مِنْهُ بِسِهامِ البَاس؛ فطالِبُ السَّلامَةِ من أَبْناءِ الدَّهْرِ، كَمُسْتَرْجِعِ الشَّبابِ بَعْدَ مَشيبِ العُمْر.

لا جَرَمَ أَنَّ لِمُثيرَ الخَيْفِ[1] مُعِيناً مِنَ الدَّهْر، وَعَلى طُرُقِ السَّلامَةِ كمائنُ أَبْناءِ الدُّنيا ذاتِ المَكْر؛ فأَيْنَ المفرّ والبعاد؟ وَالدُّنيا والدُّهْر وأبناؤهُما لِطالِبِ السَّلامَةِ في المِرْصادِ؟! إنْ لانَ لَهُم قَطَعُوه، وإنْ غَلُظَ تجنَّبُوه؛ إنْ لَطُفَ مَزَّقُوه، وإن فَظَّ لاطَفوه؛ إنْ حَلاَ أذابُوه، وإنْ مَرَّ تحامُوه؛ إنْ نَعُمَ لَمَسُوه، وإن خَشُنَ تَركُوه؛ إن تَكَرَّمَ أَفْقَرُوه، وإنْ أَمْسَكَ عَابوه؛ إنْ تَبَسَّمَ اسْتَخَفُّوه، وَإنْ قَطَّبَ اسْتَخْوَنوه؛ إنْ تَوَاضَعَ ذَلُّوه، وَإنْ تَكَبَّرَ خافوه؛ إنْ قَنِعَ حَرَموه، وَإنْ طَمِعَ رَكِبُوه؛ إنِ اتَّقَىٰ اتَّهَمُوه، وَإنْ ضَلَّ قَرَّبُوه؛ إنْ حَلُمَ اسْتَبْلَدُوه، وإنْ حَمُقَ دَارُوه. بِقَدْرِ جَهْلِ الْمَرْءِ وَسُوءِ أَخْلاقه، يَحُوزُ السَّلامَةَ وتَكْثُرُ أَنْصاره.

ويقولونَ لِلْبَخِيلِ: عَاقِل، ولِلْحَريصِ الْمُتَمَلِّق: كامِلٌ فاضِل؛ تركُ

---

(١) الخيف هنا معناه: الاختلاف، ومنه قيل: الناس أخايف، أي: مختلفون.

الدينِ والأخلاق الإنسانية عندهم من التمدن، والحمق والعجلة من الحَمِيَّةِ والأَلَفَةِ[1]؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ النَّفِيس، شَيْطانَ نَفْسِه التَّعِيس، وَمَحا بِنُورِ الرُّشْدِ دُجَىٰ الأغْلاس، وطَفَى بِفَجْرِ العَقْل مَصَابيحَ الوَسْواس؛ واسْتَعانَ مِنَ الإخلاص بِجَرِّ شُعاعِ شموسِهِ، على بُخارِ النَّفْسِ فَأَقَرَّهُ في وَطيسِهِ؛ وَاسْتَخْلَصَ أَذْيَالَ السَّلامَةِ مِنْ يَدَيّ الضَّلال، فَتَعلَّق بِسُلَّمِ الهداية إلى سَماءِ الوِصَال؛ رَاكِباً مَطايا الزُّهْدِ وَالْقَناعَةِ، وَمُتَزَوِّداً بِسَوِيْق التَّواضُعِ وَالطَّاعَة؛ قَطْعُ الآمالِ مِنَ المَخْلوقاتِ دَليله، وَتَرْكُ ما في أَيْدِيهِم ظَهيرُهُ وخَليلهُ؛ مُصِمّاً سَمْعَهُ عَنْ نِداءِ مَنْ يُنادِيه، لِيردَّهُ إلى الضَّلالِ الَّذي هُوَ فيه؛ قامِعاً لِلشَّهواتِ بِخَيْرِ الزاد لأوْقاتِ الرَّحيل، مُنْفَصِلاً عَنِ الدُّنْيا وَأَوْلادِهَا بلا قال وَقِيل؛ لا يَلْوِي لِزَخارِفِهم وَمَا يَدَّعُون، وَلِكَذِبِهِم بِوِدَادِهِم وَمَا يقولون؛ لا سِيَّما حِينَما يرونَهُ قَدِ اسْتَغْنىٰ عنهم، وصَدَّهُ العَقْلُ عَنِ التقرُّبِ منْهُم؛ تطالِبُهُم النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالشرِّ لإرْجاعِهِ إِلَيْهِم، لِيُبْعِدُوهُ عن الْخَيْر، فَتراهُمْ خَلْفَهُ يَرْكُضُونَ، وَلِقَطْعِ الطَّريقِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلون؛ فَهَيْهات هَيهاتَ أَنْ يَنْجُوَ مِنْهُمُ الهارِب، وكُلٌّ مِنْهم بِخَيْلِهِ راكِضٌ وَلَهُ طالِب؛ فالفَوْزُ إذْ ذاكَ بالسَّلامَةِ وَالأمان، مِنْ نِعَمِ الرَّحيمِ الرَّحْمٰن؛ فَمُخْتارُ النَّجاةِ وَالنَّصْرِ المديد، يَلْتَمِسُ العِنايَةَ مِنَ المُؤَيِّدِ المجيد:

وَلَفِي الْبُحُورِ مَنَافِعُ لا تَنْتَهِي ... وَأَرَى السَّلامَةَ في لُزُومِ السَّاحِلِ

هَذَا ما حرَّرَهُ بَعْضُ أُدَباءِ تونِس في مقالاتِهِ، وذَكَرَهُ مديرُ

(١) في الأصل: «من الحمية والفتن».

«الجوائب» في جرنالاتِه، وَكُلُّ ذَلِكَ من أبْوابِ الفِتَنِ التي تَقَعُ في آخِرِ الزَّمَنِ، وَمَا العِصْمَةُ إلا باللَّهِ ذَوِي الجُودِ وَالمِنَنِ:

دَعِ الْخَلْقَ لا تَبْغِي السَّلاَمَةَ مِنْهُم — فَمَا هِيَ إلاَّ الشَّهْدُ عِنْدَ الأَرَاقِمِ
وَدُونَكَ تَقْوَى اللَّهِ إنْ كُنْتَ عَاقِلاً — فَإنَّ بِهَا كُلَّ الْغِنَىٰ وَالْغَنَائِمِ

❁ ❁ ❁

بـاب
فــي الفتن التي ظهرت وانقرضَتْ

وهي كثيرةٌ لا تكاد تَنْحَصِر في هذا المختصر.

منها موتُ النبيّ ﷺ، وهو مِنْ أعْظَمِ المصائِبِ في الدِّين، وأكبرِ الدَّواهي للمُؤْمِنِينِ.

عن عطاء ابن أبي رَباح رضي الله عنه، عَنِ النبيّ ﷺ: «**إذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصيبَتَهُ بي، فَإِنَّهَا أعْظَمُ المَصَائِبِ**» أخرجه ابن سعد [«كنز العمال»، رقم: ٦٦٤٤].

وعن عائِشَةَ رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ أُصِيبَ مِنْكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَإِنَّهُ لَنْ يُصابَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي بِمِثْلِ مُصِيبَتِهِ بي**» رواه الطَّبَراني في «الأوسط» [«كنز العمال»، رقم: ٦٦٥٦].

وفي سُنَن ابن ماجه [رقم: ١٥٩٩] أنَّه ﷺ قالَ في مَرَضِه: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أيُّما أحَدٌ مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ المُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِي بي عَنِ المُصِيبَةِ التي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصابَ بِمُصِيبةٍ بَعْدِي أشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبتِي**».

وعَنْ أمِّ سَلَمةَ رَضِي الله عَنْها أنَّها ذكرَتْ وفاةَ النبيّ ﷺ، فقالَتْ: يا لها مِنْ مُصيبة! ما أصَابَنا بَعْدَها مِنْ مُصيبَةٍ إلا هَانَتْ إذَا ذَكَرْنا مصيبَتَنا به ﷺ. أخرجه البيهقي [ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» الجزء الخامس: متى وقع دفنه عليه الصلاة والسلام، لكن نقله عن الواقدي].

وهو أَوَّلُ فَتْحِ بابِ الاخْتِلافِ، حَيْثُ قالوا: مِنَّا أميرٌ ومِنْكُمْ أمِيرٌ. [البخاري، رقم: ٣٦٧٠؛ مسلم، رقم: ٢٢١٣؛ النسائي، رقم: ١٨٣٩ و١٨٤٠ و١٨٤١؛ ابن ماجه، رقم: ١٦٢٧؛ «مسند أحمد»، رقم: ٢٤٣٤٢ و٢٧٨٠٧].

وفي حديث عوف بن مالك الطويل يَرْفَعُهُ، قال: **«اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتي، ثُمَّ فَتْح بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ ٱلْغَنَم، ثُمَّ ٱسْتِفَاضَةُ ٱلْمَالِ حَتَّىٰ يُعْطَى ٱلرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هِدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ ٱثْنَا عَشَرَ أَلْفاً»** [البخاري، رقم: ٣١٧٦؛ أبو داود، رقم: ٥٠٠٠؛ ابن ماجه، رقم: ٤٠٤٢؛ «مسند أحمد»، رقم: ٢٣٤٥١].

وفي الباب أحاديث.

وفي الصحيح [الترمذي، رقم: ٣٦١٨؛ ابن ماجه، رقم: ١٦٣١]: ما نَفَضْنَا أَيْدِينا من تُرابِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلوبَنَا.

وتُوفِّيَ ﷺ يوم الاثنين بلا خلافٍ، نصفَ النهار لاثْنَتيْ عَشْرَةَ لَيْلَة خلَتْ من الربيع الأول سنةَ إحدىٰ عشرة من الهجْرة، في مثْلِ الوقت

الذي دخل فيه، ودُفِنَ يَوْمَ الثلاثاء، كما في «الموطأ» [باب ما جاء في دفن الميت] و «التِّرْمِذِي» في لَيْلَتِها في مكانِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، أي: لَيْلَةَ الأَرْبِعاء [ابن ماجه، رقم: ١٦٢٨؛ «مسند أحمد»، رقم: ٤٠]. قالَهُ مُحمَّدُ بنُ إسْحاق.

ولما توفِّي طاشَتْ عقولُ الصَّحابة، وأُفْحِمُوا واخْتَلَطوا.

فمنهم مَنْ خَبَلَ، ومنْهُم مَنْ صَمَتَ، ومنْهُم مَنْ قعَدَ إلى الأرض. كما رُوِيَ عَنْ غَيْرِ واحِدٍ منْهُم.

وقال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كانَ اخْتِياراً، لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنُّفُوسِ. [«الروض الأُنُف» ٤/٤٤٥].

وعن أبي ذُؤَيْب الهُذَلي، قال: بَلَغَنا أنَّ النبيَّ ﷺ عَلِيلٌ، فَأَوْجَسَ أَهْلُ الحَيِّ خِيفةً، وَبِتُّ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةٍ، حَتّى إذا كانَ قُرْبُ السَّحَرِ نِمْتُ، فَهَتَفَ هاتِفٌ، وهو يقولُ:

خَطْبٌ أَجَلُّ أَناخَ بِالإِسْلامِ   بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَقْعِدِ الآطَامِ
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعُيُونُنَا   تُذْرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَسْجَامِ

وعن أَنَسٍ: مَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسولُ الله ﷺ. رواه الدَّارِمِيُّ [رقم: ٨٨].

وفي روايةِ الترْمذي [رقم: ٣٦١٨] فَلَمَّا كانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْها كُلُّ شَيْءٍ. [أي: المدينة المنوّرة].

وفي البُخاري [رقم: ٤٤٦٢]: لَمَّا دُفِنَ، جَاءَتْ فاطِمَةُ رَضي الله عنها، فقالَتْ: كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرابَ؟!.

وفي روايةٍ: أخَذَتْ تُرْبَةً مِنْ تُرابِ الرَّسُولِ ﷺ وَشَمَّتْ، ثُمَّ أَنْشَدَتْ:

مَاذَا عَلَىٰ مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدَ ... أَنْ لاَ يَشُمَّ مَدَىٰ الزَّمَانِ غَوَالِيا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَىٰ الأَيَّامِ صُرْنَ لَيَالِيَا

وقال أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عنه في أبياتٍ رَثَىٰ بِها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

فَلْيَحْدُثَنَّ حَوَادِثُ مِنْ بَعْدِهِ ... تَعْيَىٰ بِهِنَّ جَوَانِحُ وَصُدُورُ

وقالت صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِالمُطَّلِبِ:

لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ ... وَلَكِنْ مَا أَخْشَىٰ مِنَ الْهَرْجِ آتِيَا

وقال أبو الجَوْزاء: كانَ الرَّجُلُ من أهْلِ المَدِينَةِ إذا أَصابَتْهُ مصيبة جاء أخوه يصافحه، ويقول: يا عَبْدَاللَّهِ! اتَّقِ اللَّهَ! فَإِنَّ في رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.

قال قائلُهم [هو أبو العتاهية]:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَاصْبِر كَمَا صَبَرَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا ... نُوَبٌ تَنُوبُ الْيَوْمَ تُكْشَفُ في غَدِ
وَإِذَا أَصَبْتَ مُصِيبَةً تَشْجَىٰ بِهَا ... فَاجْبِرْ مَصَابَكَ بِالنَّبِي مُحَمَّدِ

وقال آخر:

تَذَكَّرْتُ لَمَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... فَعَزَّيْتُ نَفْسِي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْمَنَايَا سَبِيلُنَا ... فَمَنْ لَمْ يَمُتْ في يَوْمِهِ ماتَ في غَدِ

ورَثاهُ ﷺ أبو سفيان ابن أبي الحارث بن عبدالمطلب ابنُ

عَمِّه ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ورثته عمته صَفِيّة بمراثٍ كثيرَةٍ، وفاطمة وعلي وجماعة من الصحابة، وقال حسان[1]:

كُنْتَ السَّوادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمَىٰ عَلَيْكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

❁ ❁ ❁

ومِنْها قتلُ أميرِ المُؤْمِنين عثمانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ.

وَعنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَتَلَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ الفَتْح رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ صَبْراً، ثُمَّ قَالَ: **«لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا الْيَوْم صَبْراً، إلا رَجُلٌ قَتَلَ عُثْمانَ فاقْتُلُوهُ. فَإِنْ لا تَفْعَلُوا تُقْتَلُوا قَتْلَ الشَّاةِ»** رَوَاهُ البَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ [«مجمع الزوائد» **٩٩/٩**].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ وَعُثْمانُ مَحْصُورٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَاخْتِلافٌ»** قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِالأَمِيرِ وَأَصْحَابِهِ»** وَأَشَارَ إلى عُثْمَانَ. رَوَاهُ الحَاكِم [٩٩/٣] وَصَحَّحَهُ والبَيْهَقِيُّ [«كنز العمال»، رقم: **٣٢٨٦٢** و**٣٢٨٦٣**].

وفي الْبابِ أَحَادِيثُ عِنْدَ الحاكِمِ وَصَحَّحَها، وابْنِ عَدِيٍّ وَابْنِ عَساكِرَ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قال: أَوَّلُ الْفِتَنِ قَتْلُ عُثْمان، وآخِرُهَا خُروجُ ٱلدَّجَّالِ. [«كنز العمال» **٢٢٣/١١**، رقم: **٣١٣٠٦**].

---

(١) نسب ابن خلكان وتابعه ابن كثير، «البداية والنهاية» الجزء ١ وفيات سنة **٢٤٣** هجرية، لإبراهيم بن العباس الصولي.

وسَبَبُ قَتْلِهِ ذكرَهُ الحافظ في «الفتح»، والسيد محمد الشَّهْرَزُورِيُّ في «الإشَاعَةِ لأشْراطِ السَّاعَةِ».

قال القُرْطُبِيُّ في «تذكرته» [٢/٣٤٩]، وقد قيلَ: إنَّ الصَّحِيحَ في مَقْتَلِهِ رضي الله عنه أنَّه لم يتعيَّنْ له قاتلٌ معيَّنٌ، بل أخلاطٌ من الناسِ، وهُمْ رعاعٌ جاءُوا من مِصْر ومِنْ غَيْرِ مِصْرَ.

قال الزُّبَيْر بنُ بَكّار: حاصَرُوهُ شَهْرَيْن وعِشْرِين يوماً.

وقال: الواقِدِيُّ: تِسْعة وأربعين يَوْماً.

واخْتُلِفَ في سِنِّهِ حين قَتْلِهِ، مَنْ قَتَلَهُ من الفجار أدخلَهُ الله بحبوحَةَ النّارِ، فقيل: قُتِلَ وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنة.

وَقِيلَ: ابْنُ تِسْعينَ سَنَة.

وقال قَتَادَةُ: ابن ست وثمانين.

وقيل غير هذا.

وقُتِلَ مَظْلوماً [راجع «مسند أحمد» ٢/١١٥]، كما شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وجماعةُ أهْلِ السُّنَّة، وأُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ، فأقامَ فيها ثلاثَةَ أيام لم يقدرْ أحدٌ على دَفْنِهِ، حتى جاءه جماعةٌ بالليل خفْيَةً، فحملوه على لَوْحٍ، وصلُّوا عليه، ودُفِنَ في موضعٍ من البَقِيع يسمى: حَشُّ كَوْكَب؛ وكانَ ممّا حَبَسَهُ عثمان وزادَه في البَقِيع.

وقُتِلَ يومَ الجمعة لثمان ليال خَلَوْنَ من ذي الحِجَّة يَوْم التَّرْوِية سنة خمس وثلاثين؛ قاله الواقِدِيُّ.

وقيل: لليْلَتَين بَقِيتا من ذِي الحِجّة؛ وكانَتْ خلافَتُهُ إحدىٰ عشرة سنة إلاّ أياماً؛ اخْتُلِفَ فيها.

وَقِيلَ: إنَّ المُتَعَصِّبينَ على عُثمان من المصْرِيِّين، ومَنْ تابَعَهُم من البلدان؛ كانوا أربعة آلاف، وبالمدينةِ يومئذٍ أربعون ألفاً، وكانَ ذلك من المُعْجزات التي أخْبَرَ بوقوعِها بعد موته ﷺ؛ وما قال رسولُ الله ﷺ شيئاً قَطُّ إلا كانَ.

قال حَسّان:

قَتَلْتُمْ وَلِيَّ اللَّهِ في جَوْفِ دَارِهِ ... وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ جَائِرٍ غَيْرَ مُهْتَدِ
فَلا ظَفِرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَعَاوَنُوا ... عَلىٰ قَتْلِ عُثْمانَ الرَّشِيدِ المُسَدَّدِ

❀ ❀ ❀

ومنها وقعة الجمل:

عن علي وطلحة: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للزُّبَيْر: «**أَتحِبُّ علِياً؟**» قال: نعم، قال: «**إِنَّك سَتَخْرُجُ عَلَيهِ وَتُقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ**» رواه الحاكم [٣/٣٦٦].

وعن عائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَها: «**كَيفَ بِإِحْدَاكُنَّ إذا نَبَحَتْهَا كِلابُ الْحَوْأَبِ؟**» رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: **٢٣٧٣٣**] وَالْحَاكِمُ [٣/١١١].

وفي البابِ رِواياتٌ عند ابن أبي شَيْبَة والطَّبَراني ونُعَيْم بن حَمَّاد والبَيْهَقي وغيرِهم على ضَعْفٍ وحُسْنٍ فيها. وقد جَمَع عُمَرُ ٱبْنُ شَبَّةَ في كتاب «أخبار البَصْرة» قِصَّةَ الجَمَل مطولةً، ولخَّصَها الحافظ في «الفتح»، واقْتَصَرَ على ما وَرَدَ بسَنَدٍ صَحِيحٍ أو حَسَنٍ، وذَكَرَ حاصِلَهُ

مُخْتَصراً في «الإشاعة»، وهي في «تذكرة القرطبي» [٣٥٤/٢] أيضاً بأسانيدَ صحيحةٍ جَيِّدَةٍ.

وَقُتِلَ فيها من أصْحابِ عليٍّ نَحْوِ من ألْفِ رَجُل. وقيل: أقلّ.

وكانَ قتالُهُم من ارْتِفاع النَّهار يوم الخميس إلىٰ قَريبِ العَصْر لِعَشْرِ ليالٍ خَلَتْ من جمادىٰ الآخرة سنة ستة وثلاثين.

وهذا من أعلامِ نبوَّتِهِ ﷺ، وهو إخبارُهُ بالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ.

قال القاضي أبو بكر [ابن] العَرَبي: ولا خلافَ بين الأُمَّةِ أنه يجوزُ للإمام تأخيرُ القِصاص إذا أدَّى إلى إثارَةِ فِتْنَةٍ، أو تشتُّتِ الكَلِمة. وكذلك جَرَىٰ لطَلْحَة والزُّبَيْر، فإنَّهما ما خَلَعا علياً من ولايةٍ، ولا اعترضا عليه في ديانةٍ؛ وإنَّما رَأوا أنَّ البدايةَ بقَتْلِ أصحابِ عثمان أوْلَىٰ. انتهى.

ومنها وقعة صِفِّين:

وقَدْ صَحَّ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، [وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ،] دَعْوَاهُمَا واحِدَةٌ**» [مسلم، رقم: ١٧/٢٨٨٨] وبَيَّنَ سَبَبَها بالاخْتِصار في «الإشاعة».

وَفي البابِ رواياتٌ عِنْدَ الطَّبَرانِي وَابْنِ عَساكِر وغَيْرِهِما.

وكان مُقامُ عليٍّ ومعاوية بصِفِّين سبعة أشهر.

وقيل: تسعة.

وقيل: ثلاثة أشهر.

وذلك في سنة سبع وثلاثين؛ قاله الإمام أحمد في تاريخِهِ.

وكان أهل الشام خمسة وثلاثين ومئة ألف. وكانَ أهْلُ العراق عشرين أو ثلاثين ومئة ألف، ذكره الزُّبَيْرُ ابْنُ بكار.

قال الحافظ ابن دِحْيَة: والإجماعُ مُنْعَقِدٌ على أنَّ طائِفَةَ الإمام طائِفَةُ عَدْلٍ، والأخرى طائفة بَغْي. ومعلومٌ أنَّ علياً كانَ الإمامُ. انتهى.

وقال أبو عُمر ابْنُ عَبْدالبرّ في كِتاب «الاستيعاب»: وتواتَرَتِ الأخبارُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنَّهُ قالَ: **«تَقْتُلُ عمّاراً الفِئَةُ البَاغِيَةُ»** [البخاري، رقم: **٤٤٧**؛ مسلم، رقم: **٢٩١٥**؛ «مسند أحمد»، رقم: **١٠٦٢٨**، **١٠٧٨٢**، **١٠٨٣٧** و**١١٤٥١**؛ وكذلك مسلم، رقم: **٣٩١٦]** وَهُوَ من أصَحّ الأحاديث. انتهىٰ.

وأجْمَعَ فقهاءُ الحجازِ والعراقِ من فريقِ الحديث والرأي، منهم مالك والشافِعي وأبو حَنِيفة والأوزاعي والجمهورُ الأعظم من المتكلّمين، على أنَّ عليًا مصيبٌ في قتالِهِ لأهْل صِفِّين، كما قالوا بإصابَتِهِ في قَتْلِ أصحاب الجمل.

وقالوا أيضاً بأنَّ الَّذين قاتَلُوه بُغاةٌ ظالمونَ لَهُ.

ولكن لا يجوزُ تَكْفِيرُهُم بِبَغْيِهم.

وقال الإمام أبو منصور التَّمِيمي البَغْدادي في كتاب «الفرق في بيان عقيدة أهل السنة» مثله.

وكذا الإمامُ أبو المعالي في كتاب «الإرشاد» والحافظ أَبو الخطاب ابنُ دِحْيَة وغيرُهُما، والله أعلم.



ومنها وقْعة النَّهْرَوَان:

وهي محاربة علي مع الخوارج، وفيها روايات عند ابن جرير وغيره عن علي، وأبي سعيد، وأبي ذر رضي الله عنه، وفيها الأمر بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. والأحاديث في الخوارج كثيرة جداً في الصحيحين وغيرهما لا تكاد تنحصر.

وذكر في «الإشاعة» سَبَبَها بالاخْتِصار.

ومن بقايا هؤلاء القرامطة، ومنهم: الباطنية، والإسماعيلية؛ وفِتْنَتُهُم مشهورةٌ، أهْلَكوا العِبادَ، وأفْسَدُوا البلادَ؛ والقوْمُ الذين الآن في بلاد الهند، ويقال لهم: «بُوهَرَه» هم تلك الإسماعيلية.

ومنها نزول أمير المؤمنين، وسَيِّد المسلمين، وخاتمةُ الخلفاء الراشدين الحسنُ بنُ علي لمعاويةَ. وقدْ تَقَدَّمَ حديثُهُ في المقدمة، وهو الذي أصْلَحَ بَيْنَ فئتَيْن مِنَ المسلمين، وظَهَرَ بذلك مصْدَاق ما أخبر به سَيِّدُ المُرْسَلِين ﷺ. وشَهِدَ جماعَةٌ من الصحابة أنَّهُم سَمِعُوا ذلك من النبيِّ ﷺ.

وفي الباب رواياتٌ في كُتُبِ السنَّةِ وغَيْرِها، وسَبَبُهُ مذكورٌ في «الإشاعة» وغَيْرِها.

وَمِنْهَا مَلِكُ بني أُمَيَّة يزيدُ بن معاوية وَمَنْ بعْدَهُ، المشْتَمِل على الفتن العظامِ كَقِطَعِ الليل المظْلِم.

وفيه روايات لا تكادُ تُحْصَر، وحكاياتٌ تقْشَعِرُّ منها جلودُ الذين يخشون رَبَّهُم.

وسَبَبُهُ مشْهورٌ مذْكورٌ في كُتُب السِّيرِ، و «الإشاعة في أشراط الساعة» و «التذكرة» للقُرْطُبي.

ومنها قتل الحُسَيْن بن علي رضي الله عَنْهُما، بعد ما سُمَّ الحَسَنُ رضي الله عنه.

وقد أخْبَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ، فكانَ ذلك عَلَماً من أعلام النبوة.

وقد أَلَّفَ فيه جَماعَةٌ من أهْلِ العِلْمِ قديماً وحديثاً، منْها كتاب «سر الشهادتين» للشيخ عبدالعزيز بن ولي الله المحدِّث الدَّهْلَويّ، وهو أحْسَنُ مجموعٍ جُمِعَ فيه، وقد قُتِلَ معه من أهْل بيتِهِ وعشائره تسعة عشر رَجلاً، ما على وجه الأرض يومئذٍ لهم شَبِيهٌ.

وقيل: ثلاثة وعشرون.

ولله در القائل:

أَتَـرْجُـو أُمَّـةٌ قَـتَـلَـتْ حُـسَـيْـنـا شَـفَـاعَـةَ جَـدِّه يَـوْمَ الْـحِـسَـابِ

قَالَ القُرْطُبي [في «التذكرة»]: قُتِلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ ولا رَحِمَ قاتِلَهُ - يوم الجمعة لعَشْرٍ خَلَوْنَ من المحرم سنة إحدى وستِّين بكَرْبَلاء بقُرْبِ مَوْضِعٍ يقال له: الطَّفّ، يَقْرُبُ مِنَ الكُوفَةِ. انتهى.

ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ قتْلِهِ، قالَ: وهو ابن ستٍ وخمسين سنة، ويُسَمَّى: عامَ الحُزْن.

وقُتِلَ معه اثنان وثمانون رجلاً من الصحابة مبارَزَةً، فيهم الحُرُّ بن يَزيد، لأَنَّهُ تَابَ ورجَعَ مع الحُسَيْن، ثم قُتِلَ، ووُجِدَ بالحُسَيْن ثلاثة وثلاثون طَعْنَة، وأربع وثلاثون ضَرْبَة.

واخْتَلَفُوا فيمَن قَتَلَهُ، فقيل: عُمَر بن سعد ابن أبي وَقَّاص، قاله أهْلُ الكُوفَة.

وقيل: سُفْيان النَّخَعي.

وقيل: سِنَان ابن أبي سِنَان النَّخَعيّ، وهو جَدّ شُرَيْك القاضي.

وقيل: شَمِر بن ذي الجَوْشَن.

وَأَجْهَزَ عَلَيْه خَوْلِيّ بن يَزِيد الأَصْبَحِيّ، وتولَّىٰ حَمْلَ الَّرأْسِ بِشْر بن مالك الكِنْدِي.

ومنها وقْعَةُ الحَرَّةِ وما جَرَىٰ فيها مِنَ المِحَن.

وفيها أحاديث في الصحاح وغَيْرِها، وقد تقدَّم بَعْضٌ منها في المقدِّمة، وذَكَرَ سَبَبَها في «الإشاعة»، وكان قَتْلُ الحسين، ووَقْعة الحَرَّة، ورَمْيُ الكَعْبَةِ بالمَنْجَنِيق، واستباحةُ حَرَمِ المدينة، وخَرابُ مسْجِدِ ﷺ من الشَّنائع التي وَقَعَتْ في زَمَنِ يزيد.

قال ابنُ حَجَر المَكّي في «شرح الهَمْزِيّة»: ولا عَجَبَ! فإنَّ يزيدَ بَلَغَ من قبائح الفِسْق والإخْلال بالتقوى مبلغاً لا يُسْتَنْكَرُ عليه صدورُ تلك القبائح منه، بل قال أحمد ابن حَنْبَل رَحِمَهُ الله بكُفْرِهِ[1]، وناهيك بِهِ وَرَعاً وزُهْداً وعِلماً.

---

(١) في الجزء الأول من «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية من ص٢٩٩، ٣٠٣: إن قوماً أخطأوا في يزيد، فقالوا: إنه كان من كبار الصالحين! وآخرون قالوا: كافرٌ زنديقٌ، قَتَلَ ابنَ بنت رسول الله ﷺ، وقتل الأنصارَ وأبناءهم في الحَرَّة؛ وهذا الغُلوُّ منهم خلافُ لما أجْمَعَ عليه أهل العلم بالإيمان.

ثم قال: فالواجبُ الاقتصارُ في ذلك، والإعراضُ عن ذكْرِ يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به، فإنَّ هذا من البِدَع المخالفة لأهل السنة والجماعة.

فيستبعد أن يكون الإمام أحمد أفتى بكفره، وابنُ تيميةَ أعْلمُ بما يقوله الإمام أحمد؛ قال صالح بن أحمد ابن حنبل: قلت لأبي: إنَّ قَوْماً يقولون: إنَّهُم يحبُّون يزيدَ، قال: يا بني! وهل يحبُّ يزيدَ أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخرِ؟ قلت: فلماذا لا تَلْعَنه؟ قال: يا بني! فمتى رأيتَ أباك يَلْعَنُ أحداً؟ وهذا صريحٌ في أنَّهُ لم يُكَفِّرْه.

ومنها قتل ابنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أنَّهُ لما ماتَ معاويةُ بنُ يزيدِ بايَعَ أهلُ الآفاق كلُّهم لابْنِ الزُّبَيْر، ولم يتخلَّفْ عن بَيْعَتِهِ إلا بنو أُمَيَّةَ وَمَنْ يَهْوىٰ هواهم، ثم جَهَّزَ إليه عَبْدُالملك الحَجَّاجَ بنَ يوسف الثَّقَفِيَّ، فحاصَرَهُ في سنة اثنتين وسبعين إلى أن قَتَلَ ابنَ الزُّبَيْرِ في جُمَادَىٰ الأولى سنة ثلاثة وسبعين.

وكان مجموع مُدَّتِهِ تِسْع سنين وشيئاً، ثم اجْتَمَعَ النَّاسُ على عبدالملك، ثم ابنِهِ الوليد، ثم ابنه الآخر سليمان، ثم عمر بن عبدالعزيز، ثم ابنه الآخر يَزيد، ثم ابنه الآخر هشام؛ فهؤلاء كلهم أولاد عبدالملك بن مروان إلا عمر، فإنَّهُ ابنُ أخيه، ثم بَعْدَ هشام تولَّى ابنُ أخيه الوليد بن يزيد، فقامَ عليه ابنُ عَمِّه يزيد بن الوليد فقَتَلَهُ، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان، ولما ماتَ وَلِيَ أخوه إبراهيم فَغَلَبَهُ مروان، واخْتَلَّ أمْرُهُم حتى غلب على المُلْكِ بَنُو العَبَاس، وقَتَلُوهم أشدَّ القِتْلَة. فللَّه الأمر مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ.

ومنها خَرابُ المَدِينة بَعْدَ الحَرَّة، وفيه[1] أخبارٌ عن جَمْعٍ من الصحابة عند ابن أبي شَيْبَة وأحمد برجالِ الصَّحِيح، وأقوالٌ لأهْلِ العلم، كالقاضي عِياض والنَّووي وغَيْرِهِما.

وبالجملةِ، فَقَدْ وَقَعَ ذلك في زَمَن يزيد الشَّقِيّ، وهو من جُمْلَةِ قبائحِهِ الشَّنِيعة، ولا بُدَّ من وقوعِها مَرَّةً أخرى في آخِرِ الزمان، كما صَرَّحَتْ به الأدِلَّةُ الثَّابِتَة.

ومنها هَدْمُ الكَعْبة، وتَوْلِية الحَجَّاج، وهو من الفِتَنِ الواقِعةِ في

(١) أي: في كتاب «الإشاعة».

زَمَنِ بني مَرْوان، فإنه قتَلَ مئة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف نفس صَبْراً غَيْرَ ما قَتَله في المحارَبات، وأهانَ جماعةً من الصحابة، وخَتَمَهم في رقابهم إهانةً، منهم: أنس خادم النبي ﷺ؛ ودَسّ على ابن عُمَر من ضَرَبَهُ بحَرْبَةٍ مسْمُومَةٍ فقَتَلَهُ، إلى غير ذلك من القبائح، ولا شَكَّ أَنَّهُ سيئةٌ من سَيِّئات عبدالملك الشَّقِيّ، فإنَّهُ كان أميراً له على العراق وعلى الحجاز.

ومِنْها قَتْلُ زَيْدِ بن علي بن الحسين وصَلْبُهُ وحَرْقُهُ بالنار، وقَتْلُ ولده يحيى في زَمَنِهم، وشُرْبُهُم للخمر، وصلاتُهُم بالنَّاس سُكارَىٰ؛ وتقديمهم الجواري في المحراب!! وغَيْر ذلك من أنواع القبائح؛ وطريقُ السلامَةِ والوَرَعِ السكوتُ عنهم، والاشْتِغالُ بعيوبِ نَفْسِهِ؛ ولقد أحْسَنَ من قالَ:

لَعَمْرُكَ إنَّ في ذَنْبِي لَشُغْلا ... بِنَفْسِي عَنْ ذُنُوبِ بَنِي أُمَيَّهْ
عَلَىٰ رَبِّي حِسَابُهُمْ تَنَاهَىٰ ... إِلَيْهِ عِلْمُ ذَلِكَ لاَ إِلَيَّهْ
وَلَيْسَ بِضَائِرِي مَا قَدْ أَتَوْهُ ... إِذَا مَا اللَّهُ يَغْفِرُ مَا لَدَيَّهْ

ومنها دولة بَني العبّاس وما جَرَىٰ في أيّامِهم من المِحَنِ والبأس.

وفيها أخبارٌ جَمَّةٌ عند أبي نُعَيْم في «الحلية» والطُّبَراني والسّهْرَوَرْدي وغَيْرهم بسَنَدٍ جَيِّدٍ.

ومنها قتالُ أهْلِ المدينة، وقَتْلُ محمد النَّفْسِ الزَّكِيّةِ بن عبدالله المَحْض بن الحسن المُثَنَّى بن الحسن السِّبْط، وقَتْلُ أخيه إبراهيم، وقَتْلُ جماعَةٍ كثيرةٍ من العَلَوِيين، وحَبْسُ الإمام جَعْفر الصادق في زَمَنِ المنصور، وموتُ الإمام الكاظم في الحَبْس في زَمَنِ الرَّشيد، وإدخالُ

الفَلْسَفةِ وعلومِ كُفَّار اليونان في الإسلام، ونُصْرَةُ الاعتزال في زَمَنِ المأمون، وقتلُ كَثيرٍ من العلماء وتكليفُهم القَوْلَ بخَلْقِ القرآن، وَضَرْبُ الإمام أحمد ابن حنبل في زَمَنِهِ وزَمَنِ المعْتَصِم والواثِق وغَيْرهم. ولم تَتَّفِقِ الكلمةُ في زَمَنِهم، ولم تَصْفُ لهم الخلافَةُ.

وكان أوَّلُ من رَجَع منهُم عن الاعتزالِ ونَصَرَ السُّنَّةَ المُتوكِّل، وانْتَقَلَ إلى مَذْهَبِ الشَّافِعي، وعَيَّن مِنْ بَيْتِ المال اثني عشر ألفاً لنَشْرِ حديثِ رسولِ الله ﷺ.

ثم لَمْ يزَالوا في التناقُصِ إلى أن بَقي لهم في الخلافَةِ مجرَّدُ الاسمِ، وغلب آل سَلْجُوق على مُعْظَم البلاد، فكان آخِرُهم بالعراق المسْتَعْصِم الذي قَتَلَهُ التتار، ثم انتقلوا إلى مِصْر.

وكان زمانُهُم مشحوناً بالعلماء في كل فَنٍّ، من التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، والقراءة، والفقه، والكلام، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك؛ حتى أنّ زمان الرشيد كان يسمى: عروس الدهر.

❁ ❁ ❁

ومنْها فِتنة الفاطمية، واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحواً من ثلاث مئة سنة، وإظهارُهم الرفْضَ، ونصْرُهم مذهبَ الباطنية، وإلحادُهم في الدين، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاث مئة.

وكان نَفْيُهُم على يَدِ صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر في سنة أربع وستين وأربع مئة، فرحم الله روحَهُ، وجزاه عن الإسلام خَيْراً.

وأخبارُ هؤلاء الأشقياء النَّتْنَىٰ مذكورةٌ في «حسن المحاضرة» للسيوطي، وفي «السكردان» لابن [أبي] حَجَلَة وغيرِهِما من كتب السِّيَر.

وذَكَر طرفاً من ذلك في «الإشاعة».

وتولّوا قريباً من مئتي سنة أيضاً، إلى سنة ثمان وأربعين وست مئة، آخِرُهُم نورشاه.

وَتَولّوا أولئك أيضاً إلى سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، ثم استولىٰ على الأمر اتباعُهُم الجراكسة إلى سنة اثنين وعشرين وتسع مئة، ثم غَلَبَهُم ملوكُ بني عثمان إلى يومنا هذا.

منهم سلطان الوقت محمد عبدالحميد خان أعانه الله تعالى على كَفَرَةِ الرُّوس الناصِبين الحرب في هذا الحين لقَبْضِ المُلْك، وقتل النفوس؛ والأرضُ لِلَّه يورِثُها من يَشاءُ من عبادِهِ، والعاقِبَةُ للمتَّقِين.

❁ ❁ ❁

ومنها فِتْنَةُ القَرَامِطَة واستهانَتُهُم بالدِّين واستحلالهم الحُرُمَ.

وقد بَيَّنَ أحوالَهُم المَقْرِيزيُّ في «الخطط والآثار»، وذكر عقائِدَهُم وفسادَ طَوِيَّتِهِم بما لم يُسْبَقْ إليه.

ومِنها قِتالُ التُّرْكِ وفتنَتُهم، وهم التتار، وقد أَخْبَرَ به النبيُّ ﷺ في أحاديث صحيحة حسنة، قد تقدَّمَ بعضٌ منها في المقدِّمة.

وفي أخبار هؤلاء الأقوام كُتُبٌ مسْتَقِلَّةٌ.

قال النووي: هذه الأحاديث كلُّها معجزةٌ لرسولِ الله ﷺ، فَقَدْ

عُرِفَ حالُ هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذَكَرَها النبيّ ﷺ، وقاتَلَهُمُ المسلمون مَرّات. انتهى.

وقال السخاوي في «القناعة»: ومن المرَّات التي قاتَلَ فيها المسلمون التركَ في دَوْلة بني أُمَيَّة، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فُتِحَ ذلك شيئاً بعد شيء، وكَثُرَ الشرُّ منهم، لما فيهم من الشِّدَّة والبَأْسِ، حتّى كانَ أكثرُ عَسْكَرِ المُعْتَصِم منهم، ثم غَلَبَتِ الأتراكُ على المُلْكِ، فقَتَلُوا ابنه المتوكِّلَ، ثم أولادَه واحداً بعد واحدٍ إلى أنْ خالط المملكة الدَّيْلَمُ، ثم كان الملوكُ الساسانية من الترك أيضاً، فمَلَكُوا بلاد العَجَم، ثم غَلَبَ على تلك الممالك آل سُبُكْتُكِين، ثم آل سَلْجُوق، وامْتَدَّتْ مَمْلَكَتُهُم إلى العراق والشام والروم؛ وكانت بقايا أتباعِهِم بالشام، وهم آل زِنْكي؛ وأتباعِ هؤلاء، وهم بيت أيوب؛ واسْتَكْثَرَ هؤلاء من التُّرْكِ، فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية.

وخرج على آل سَلْجُوق في المئة الخامسة الغُزّ، فخرَّبُوا البلادَ، وفتكُوا بالعباد.

ثم جاءَتِ الطامَّةُ الكُبْرَى بالتَّتار بعد الست مئة، فكانَ خروجُ جَنْكِيز خان، واستعرّت الدنيا بهم ناراً، لا سيَّما الشرقُ بأسْرِه، حتى لم يبقَ بلدٌ منه حتَّى دَخَلَهُ شرُّهُم، ثم كانَ خرابُ بَغْدَاد، وقَتْلُ الخليفةِ المُسْتَعْصِم على أيديهم في سنة ست وخمسين وست مئة، وهو آخر الخلفاء العبّاسية ببغداد، الذي رثاه جَمْعٌ من العلماء الأمجاد، منهم الشيخ مُصْلِح الدين السَّعْدِيّ الشِّيرَازيّ بالكلمة العربية والقصيدة الفارسية.

قال التاج السُّبْكي: لم يَكُنْ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ الدنيا فتنةٌ أكْبَرَ من فتنة التتار.

وقال السَّخَاوِي: ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بقاياهُمْ يَخْرُجون إلى أنْ كانَ آخرُهم تِيمُور الأعرج، وطالَتْ مدَّتُه، إلى أن مات وتفرَّقَ بَنُوه في البلاد. انتهى.

وكانت ملوكُ الهندِ أيضاً من أولادِه، حتَّى انْقَرَضُوا في زمانِنَا هذا.

وفي أحواله كتاب [ابن] عرب شاه، سَماه «عجائب المَقْدُور في أحوال تِيمُور»؛ وظَهَرَ بجميع ذلك مصداقُ أخْبَارِه ﷺ في كتب السنَّةِ المطهَّرَة، وذكرَهُ الجلال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» وغيرِه، وذكرَ جُمْلَةً من أحواله الشنيعة.

❁ ❁ ❁

ومنها نارُ الحِجَازِ التي أضاءَتْ أعناقَ الإبل ببُصْرَى في سنة أربع وخمسين وست مئة الهجرية، كما أخْبَرَ به الصادقُ المَصْدوق، والمبعوثُ إلى المخلوق، ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَظْهَرَ نَارٌ بِالْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبلِ بِبُصْرَىٰ»** وفي تلك رواياتٌ صحيحةٌ عند البخاري [رقم: ٧٧١٨] والحاكم [٤/٤٤٣] وأحمد والطبراني [«مجمع الزوائد» ٨/١٣] وأبي يَعْلىٰ و «مسند الفردوس» كثيرةٌ لا نطول بذكرها، وقِصَّتُها محرَّرَةٌ في «الإشاعة».

وفي «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» المؤلَّف في سنة ١٠٨٠ الهجرية، للشيخ العالم أبي الفلاح عبدالحي بن محمد بن العماد

المدني رحمه الله. قال: وبَقِيَتْ أيّاماً. قيل: ثلاثة أشهر. وكانَ نساءُ المَدِينَةِ يغْزلْنَ على ضَوْئِها، وظَنَّ أهلُ المدينة أنَّها القيامة. انتهى.

وذكرها [القطب] القَسْطَلانيُّ [في «وفاء الوفا» ١٤٥/١] والمؤرِّخون بالتَّفْصيلِ والإجْمال، قال بَعْضُهُم:

سُبْحَانَ مَنْ أَضْحَتْ مَشِيئَتُهُ جَارِيَةً فِي الْوَرَىٰ بِمِقْدَارِ
فِي سَنَةٍ أَغْرَقَ الْعِرَاقَ وَقَدْ أَحْرَقَ أَرْضَ الْحِجَازِ بِالنَّارِ

وهذه النَّارُ غير النَّار التي تَخْرُجُ في آخر الزمان، تَحْشُرُ الناسَ إلى مَحْشَرِهم، تبيتُ مَعَهُم وتَقِيلُ.

❁ ❁ ❁

ومنها ظهورُ الرَّافِضَةِ، واستبدادُهم بالمُلْك، وإظهارُ الطَّعْنِ، واختيار اللَّعْنِ على السلف الصالح من الصحابة الكرام.

وهذا أعظمُ الفِتَنِ وأشدُّ المِحَنِ.

❁ ❁ ❁

وموتُ السنن؛ وقد أخْبَرَ بذلك النبيُّ ﷺ كما في روايةٍ عند الدَّارَقُطْنيِّ، والطَّبَرانيّ، وأبي نُعَيْم في «الحلية»، والخطيب البَغْدادي، وابن الجَوْزي، وابن أبي عاصم في «السنة»، وابن شَاهِين، وابن بِشْران، والحاكم في «الكنى»، والطَّرَابُلُسي، واللالَّكائي، وأحمد، وأبي يعلىٰ، والطبراني، وغَيْرِهم بأسانِيدَ صَحيحةٍ وحَسَنةٍ.



ولَعْنُ آخِرِ هذه الأمَّة أوَّلَها من أشراط الساعة، وقَدْ وَقَعَ وقوعاً لا يَخْفى على أحدٍ من الناس في العرب والعَجَم.

ومنْ فِتَنِهم أنَّهُم قَتَلُوا العلماءَ بأكْثر البلاد، حتى استولوا على بغداد وشِيرَاز وغيرِهما.

وناهيك أنَّ في القرآنِ والسُّنةِ ما يَقْضيه بِكُفْرِهِم وفِسْقِهم وضلالتهم.

قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [٤٨ سورة الفتح/ الآية: **٢٩**].

وقال رَسولُ الله ﷺ: «**يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ يُسَمُّونَ الرَّافِضَة، يَرْفُضُونَ الإسْلامَ، فَإذَا رَأَيْتُمُوهُم فاقْتُلُوهُمْ، فَإنَّهُمْ مُشْرِكُونَ**» رواه أحمد [رقم: ٨١٠] وأبو يَعْلىٰ والطَّبَراني عن ابن عَبَّاس [«مجمع الزوائد»، رقم: **١٦٤٣٣**؛ «كنز العمال»، رقم: **١١٢٨**].

وللحديثِ ألفاظٌ وطُرُقٌ صَحَّتْ وثَبَتَتْ، ذَكَرَ جملةً منها في «الإشاعة»، وأبانَ عن حال فِتَنِ هذه الطائفة، وهُمْ يملكون بَعْضَ بلادِ الإسلام إلى يومِنَا هذا، كبَلْدَةِ أصْفَهَان وما يليها، وكانت طائفةٌ فاحِشةٌ منهم مَلَكَتْ بعضَ ديار الهِنْدِ إلى أنْ أبادَهُمُ اللّهُ تعالى ومَزَّقَهُم وجعلهم أحاديث ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: **١٣**].

وكان نَصِيرُ الدين محمد بن حسن الطُّوسي من رؤساء هذه الطائفة، رأساً في علْمِ الأوائل، ذا منزلة من هولاكو خان.

قال الحافظ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الْقَيِّم في كتابه «إغاثة اللهفان من مكايد الشَّيْطان» [**٢٦٧/٢**] ما لفظه: لما انتهتِ النَّوْبَةُ

إلى نَصيرِ الشرْكِ والكُفْر والإلحاد، وزير الملاحدة؛ الطُّوسي، وزير هولاكو؛ شَفَىٰ نفسَهُ من أتْباع الرَّسول وأهل دينهم، فَعَرَضَهُم على السَّيْفِ حتى شَفَا إخوانَهُ من الملاحدة واشْتَفَىٰ هو، فقَتَلَ الخليفةَ والقُضَاةَ والفُقَهاء والمُحَدِّثين، واسْتَبْقَى الفلاسِفَةَ والمنجِّمين والطَّبائعيّين والسّحَرَة، ونَقَلَ أوقافَ المدارس والمساجد والرّبطِ إليهم، وجعلهم خاصَّته وأوليائه، ونَصَر في كتُبِهِ قِدَمَ العالم، وبطلانَ المعاد، وإنكارَ صفاتِ الربِّ جلّ جلالُه، من عِلْمِهِ وقدْرتِهِ وحياتِهِ وسَمْعِهِ وبَصَرِهِ، واتُّخَذَ للملاحِدَةِ مدارِسَ، ورامَ جَعْلَ «إشارات» إمام المُلْحِدين ابن سِينا مكانَ القرآن، فلم يقْدِرْ على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام! ورامَ تغييرَ الصَّلاة وجَعْلها صلاتَيْن، فلم يتمّ له الأمرُ، وتعلَّمَ السحر في آخر الأمْرِ، فكان ساحِراً يَعْبُدُ الأصنامَ. انتهى بلَفْظِهِ.

قال في «شذرات الذهب» [٥٩٢/٧] بعد هذا النَّقْلِ: توفي في ذي الحِجَّةِ ببغداد سنة ٦٧٢هـ، وقد نَيَّفَ على الثمانين. انتهى.

❀ ❀ ❀

ومنها احتراقُ المسْجِدِ النبوي ليلة الجمعة أوَّل لَيْلَةٍ من رمضان بعد صلاة التراويح، على يد الفَرَّاش أبي بكر المرعي، بسقوطِ ذَبالَةٍ من يده، فأتَتِ النارُ على جميعِ سقوفِهِ، ووقَعَتْ بعضُ السَّوارِي، وذابَ الرَّصاصُ، وذلك قبل أن ينامَ الناسُ، واحْتَرَقَ سقْفُ الحجْرَةِ الشريفة، ووقع بعضُهُ في الحُجْرَةِ، وقالَ بعضُ الناس في ذلك:

لَمْ يَحْتَرِقْ حَرَمُ النَّبِيِّ لِرِيبَةٍ ... تُخْشَىٰ عَلَيْهِ وَلا دَهَاهُ الْعَارُ
لَكِنَّهُ أَيْدَ الرَّوَافِضِ لامَسَتْ ... ذَاكَ الْجَنَابَ فَطَهَّرَتْهُ النَّارُ

ذَكَرَهُ في «شَذَارتِ الذَّهَب في أخبار من ذهب» وقد ذكر فِيهِ

الحوادِثَ الماضِيَة على تَرْتِيب السَّنواتِ إلى آخر سنة ألف الهجرية بالإجْمالِ، فَلْيُعْلَمْ.

❊ ❊ ❊

ومنها خروجُ دجَّالِين كذَّابين، كلُّهم يدَّعي أنَّه رسولُ الله، كما أخْبَرَ به النبيُّ ﷺ في أحاديثَ صحيحةٍ في السُّنَنِ والصِّحاح وغَيْرِها، منها ما تقدَّم في المقدمة.

ولأحْمَدَ [رقم: ٥٩٤٩] وأبي يَعْلَى، من حديث ابن عمرو: «**بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَةِ ثلاثُونَ دَجَّالًا كَذّاباً**» ونحوه عند أحمد عن علي، والطبراني عن ابن مسعود؛ وفي البابِ رواياتٌ سَنَدُهَا ضعيفٌ.

قال الحافِظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ الله: وهو ـ إنْ ثَبَتَ ـ محمولٌ على المبالَغَةِ لا على التَّحْدِيد.

وأما التحديد ففيه ما أخرجه أحمد [«المسند» ٣٩٦/٥] عن حُذَيْفَة بِسَنَدٍ جيِّدٍ: «**سَيَكُونُ في أُمَّتي كَذَّابُونَ دَجَّالونَ سبعةٌ وعِشْرُون، مِنْهُمْ: أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وإنِّي خَاتَمُ النَّبِيّين، لا نَبِيَّ بَعْدي**».

قال [الحافظ ابن حجَرَ «الفتح» ٨٧/١٣]: هَذا يَدُلُّ على أنَّ رِوَاية الثَّلاثين بالجَزْم على طريق جَبْرِ الكَسْر، ويُؤَيِّدُه حديثُ البخاري [رقم: ٧١٢١]: «**قَرِيبٌ مِنْ ثلاثين**»، ومَا ذَكَرَهُ من الثلاثين أو نحوها يدَّعُون النبوةَ، ومَنْ زادَ عَلَيْهم كما في رواية: «**أو أكثر**»، وفي رواية: «**سَبْعون**»؛ يكون كذاباً فقط، لكِنْ يَدْعُون إلى الضَّلالِ، كغُلاةِ الرَّافِضَة والباطِنِيّة والحُلوليّة وسائر الفِرَقِ الدعاة إلى ما يعلم بالضَّرُورة أنَّهُ خلافُ ما جاء به محمد ﷺ.

ويُؤَيِّدهُ حديثُ علي عند أحمد أنَّه قال لعبدالله بن الكَوّا: «**وَإِنَّكَ لَمِنْهُمْ**» وَابْنُ الكَوّا لم يَدَّعِ النبوةَ، وإِنَّما كان يَغْلو في الرَّفْضِ. انتهى.

قالَ في «الإشاعة»: وقد كان منهم الأَسْوَد العَنَسي بصنعاء، ومُسَيْلَمَة الكذَّاب صاحِب اليمامة، ثم ذكر من خَبَرِهِما ما ذَكَرَهُ البِقَاعِيّ في «اللامعة المنيرة».

قال: وخَرَجَ في زمن أبي بكْر طُلَيْحةَ بن خُوَيْلِد الأسْدِيّ بناحية خَيْبَر، وادَّعَى النبوةَ، ثم تاب. كذا في «الفتح» [**٨٧/١٣**].

وقيل: خَرَجَ في عَهْدِ النبيّ ﷺ.

وتنبأت سَجَاح بنت سُوَيد في فرسَان تَغْلِب.

وخرج مُخْتار [بن أبي عبيد الثقفي] في زمن ابن الزُّبَيْر وعبدالملك بن مروان، وكان يَدَّعي أَنَّهُ يُوحَىٰ إليه، وفِتَنُهُ كثيرةٌ شهيرةٌ.

وخرج المُتَنَبِّي الشاعر، ثم تاب.

وخرج جماعةٌ في زَمَنِ بني العباس، منهم في أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بَهْبُود [بن عبدالوهاب] الذي أفْسَدَ العراق، وأهانَ آل الرسول. كان يدَّعِي أَنَّهُ أُرْسِلَ إلى الخَلْقِ، فَرَدَّ الرسَالة، وأَنَّهُ مُطَّلِعٌ على المغيَّبات.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى القِرْمِطِي، ثم بعده أخوه الحُسَيْن، ثم ابن عمه عيسى بن مهرويه، وظهر على الشام، وعاثَ وأفْسَدَ، ودعا عليه الناس على المنابر؛ ثم قُتِلَ.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القِرْمِطِيّ.

وفي خلافة الراضي ظهر [أبو جعفر] محمد بن علي الشَّلْمَغَاني

[المعروف بابن أبي العراق]، وقد شاع عنه أنه يَدَّعِي الإلهية، فصُلِبَ، وقُتِلَ معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المُطِيع قومٌ من التَّناسُخِيّة، فيهم شابٌ يزعُمُ أنَّ رُوحَ علي انْتَقَلَتْ إلَيْه، وَامْرَأَتُه تَزْعُمُ أنّ رُوحَ فاطمة انتقلَتْ إليها.

وآخر يدعي أنَّه جِبْرِيل.

وفي خلافة المستظهر بالله في سنة تسع وتسعين وأربع مئة ظَهَرَ رجلٌ بنواحي نَهَاوَنْد، فادَّعَىٰ النبوةَ، وتَبِعَهُ خلْقٌ كثيرٌ، أُخِذُوا فَقُتِلوا.

وَخَرَجَ جماعةٌ آخرون بالمَغْرِب وغيرِها من الرجال والنساء.

فمنهم رجل يسمى: «لا» وحَرَّفَ الحديثَ المشهور: **«لا نَبِيَّ بَعْدِي»** [البخاري، رقم: **٣١٩٦**؛ مسلم، رقم: **٣٤٢٩**] [وجعله إخباراً منه ﷺ بأن: «لا» أي: صاحب الاسم؛ نبيٌّ بعدي؟!].

ومنهم الغازاري السَّاحرِ، وقتل.

ومنهم امرأةٌ ادَّعَتِ النبوةَ، فذكروا لها الحديث، فقالت: إنَّما قال: «لا نبيّ»، ولم يقل: لا نبية!.

والحاصل أنَّ عدد سبعة وعشرين قد تَمَّ أو كاد أن يتمَّ.

وأما مُطْلَقُ الكذَّابين فلا حصر لهم، ومن هذا القسم من يَدَّعي أنَّهُ المَهْدِيّ، وهؤلاء كثيرون. انتهى.

قلتُ: ومنهم السيد محمد الجُونْفُورِي، ادَّعىٰ المَهْدَوِيَة في الهند في سنة خمس وتسع مئة، وقال: إنَّه يُوحَى إلَيْه، ومِنْ وَحْيِهِ الشيطاني قولُهُ: عَلِمْتُ مِنَ الله بلا واسطة جديدة اليوم، قل: إنِّي عبدالله، تابعُ

محمدٍ رسولِ الله، محمد مهديّ الزمان، وارث نبيِّ الرحمن، عالم علم الكتاب والإيمان، مبيّن الحقيقة والشريعة والرضوان. انتهى نَقْلاً عن «أم العقائد» من كتب المهدوية.

ثم إنه طافَ بلادَ الهِنْد، وحَجَّ، ولم يزورَ النبيَّ ﷺ، وأُخْرِجَ من أكثر البلاد بحُكْمِ ملوكِها إلى أن مات ببلدة فراه في سنة عشرة وتسع مئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وللشيخ أبي الرجاء محمد [زمان خان بن أكبر الأفغاني الشهيد] الهندي ـ نزيل حَيْدَر آباد، المتوفى في سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف [قَتَلَه رجلٌ من المهديين أتباع محمد الجونبوري]؛ كتابٌ في رَدِّه ورَدِّ مَنْ تَبِعَهُ باللسان الهندي سَمّاه بـ «الهدية المهدوية» أَوْضَحَ فيه جميعَ أحوالِهِ، من يوم المَهْد إلى اللَّحْدِ، وردَّ على الفِرْقَةِ المهدوية رداً مُشْبَعاً، وهو كتابٌ نافِعٌ جداً.

ومنهم رجلٌ أصلُهُ من بلدة كَشْمِير، ونشأ هو في بلدة دِهْلي، وتوسَّل بالنَّصارَى حُكّام الهند اليوم، يسمى بسَيِّد أحمد خان، أَوْجَدَ ملَّةً جديدةً سَمَّاها: نيجرية، ينكر وجود الملائكة والشياطين، ويحرِّفُ معاني نصوص الكتاب والسنة، وهو اليوم حيّ، وتبعه قومٌ ممَّنْ أُشْرِبَتْ قلوبُهُم حبّ الدنيا الذي هو رأس كل خَطِيّة، وقد قَيَّضَ اللَّهُ سبحانه وتعالى لِرَدِّه ورَدِّ أقوال من تَبِعَهُ جماعةً من المسلمين والمُتَّسِمين بالعلم يتعقَّبُونَه في كل نَقِير وقِطْمِير؛ وكذلك أكثر أهل الجوائب الهندية، وبالله التوفيق، وهو المستعان.

وقال في «الإشاعة»: ومِنْهُم مَنِ ادَّعىٰ أَنَّهُ صحابِيٌّ رأىٰ

النبيَّ ﷺ، كالمُعَمَّر المشهور بالرَّتَنِ الهِنْدي، ولا شكَّ أنَّ ما أخبرَ به الصادِقُ لصادِقٌ، وأَنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ. انتهى.

❀ ❀ ❀

ومنها: فَتْحُ بَيْت المَقْدِس؛ وقد فُتِحَ مَرَّتَيْن: مَرَّةً في زَمَن عُمَر بنِ الخَطَّاب، ومرةً في زمن الأكراد الأيُّوبية، فَتَحَهُ السلطان صلاح الدين الملك المُؤَيَّد، وكان من أعظم فتوح الإسلام، ثم بعد موته رَدَّهُ بعضُ أولادِهِ إلى النَّصَارَى، ثم استردَّه حفيدُه داود الملك الناصر، وهو اليوم بِيَدِ سلطان الرُّوم؛ ولله الحمد.

❀ ❀ ❀

ومنها: فَتْحُ المدائن؛ وهي كثيرة جداً مِنْ عَهْدِ الصحابة، لا سِيَّما من زمن عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه، إلى آخر سلطنة الإسلام في بغداد، وقد بَيَّنَ السيوطي في «تاريخ الخلفاء» أسماءَها على ترتيب الفتوح، لا نطول بذكرها.

❀ ❀ ❀

ومنها: هلاك العرب؛ أعني زوالَ مُلْكِهم، وهو مِنْ أشراطِ الساعة.

عن طَلْحَة بن مالك، قال: **«مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ هَلاكُ العَرَبِ»** رواه الترمذي [رقم: **٣٩٢٩**]، وقد زال مُلْكُ العَرَبِ بزوال المُلْكِ عن بني العَبَّاس.

❀ ❀ ❀

ومنها: كَثْرَةُ المال وفَيْضُه؛ وفيها حديث أبي هُرَيْرَة عند الشيخين

[البخاري، رقم: ١٤١٢؛ مسلم، رقم: ١٥٧]، وهذا قد وَقَعَ في زَمَنِ عُثْمانَ حِينَ اقْتَسَمُوا أموالَ الفُرْسِ والرُّوم، ووقع في زَمَنِ عُمَرَ بنِ عبدالعزيز، وسَيَقَعُ في آخر الزمان في زمن عيسى عليه السلام.

❁ ❁ ❁

ومنها: أن تَزولَ الجبالُ عن أماكنها؛ كما رواه الطَّبَراني [«مجمع الزوائد» ٧/٣٣٦] عن سَمُرَة يرفعه.

وكما سارَ جَبَلٌ باليمن عليه مزارعُ لأهْلِه، حتى أتى مَزَارِعَ آخرين، في خلافة المتوكل في سنة ٢٤٢هـ [«تاريخ الخلفاء» صفحة: ٤٠٩].

وساخَ جَبَلٌ بِدِينَوَر في الأرض، وخَرَجَ من تَحْتِهِ ماءٌ كثيرٌ أغْرَقَ القرى في خلافة المُقْتَدِر في سنة ٣٠٠هـ [«تاريخ الخلفاء» صفحة: ٤٤٩].

❁ ❁ ❁

ومنها: وقوع ثلاث خسوفات؛ خَسْفٌ بالمَشْرِق، وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وخَسْفٌ في جزيرة العرب؛ رواه الستة إلا البخاري [مسلم، رقم: ٢٩٠١؛ أبو داود، رقم: ٤٣١١؛ الترمذي، رقم: ٢١٨٣؛ النسائي في «الكبرى»، كما في «تحفة الأشراف» ٣/٩١٨؛ ابن ماجه، رقم: ٤٠٥٥].

وهذه الخسوفات وقعت في خلافة سُلَيْمان بن عبدالملك، وخلافة المُطِيع وغيرِهما بِبُخَارَى وبِالرَّيّ ونواحيها، وببلدة طالقان، وبقرية من أعمال بُصْرَى وأَذْرَبِيجان وغيرِها من ديار العَجَم؛ ولا تكاد

تنحصر الخسوفات؛ وخُسِفَ في زماننا هذا بِعِدَّةِ قرى كثيرة.

❀ ❀ ❀

ومنها: كَثْرَةُ الزلازل وكَثْرَةُ القَتْل والرَّجْف؛ وهي من أشراط الساعة، وفي ذلك أحاديث عند أهل السنن والصحيح.

وضَبَطَ في «الإشاعة» تلك الزلازل، وقال: وأمَّا الصغار منها فلا تكاد تنحصر.

❀ ❀ ❀

ومنها: المَسْخُ والقَذْفُ؛ وفيهما أحاديث عند مسلم وأحمد والحاكم والطبراني والترمذي والبغوي وغيرهم، ذكرها في «الإشاعة» وضَبَطَها.

❀ ❀ ❀

ومنها: الرِّيحُ الحَمْراء الشديدة، والأمور العظام؛ كالقحط، والنار، وغلبة الإفرنج والزنج، والغلاء، والوباء، والصيحة العظيمة من السماء، ونحوها؛ وذكر ذلك في «الإشاعة»، وذكر سنيَّ وقوعها.

❀ ❀ ❀

ومنها: انقطاعُ طَريق الحَجِّ، ورفع الحجر الأسود من الكَعْبَة؛ وفي ذلك حديث أبي سَعِيد يرفعه عند الحاكم [٤/٤٥٣، رقم: **٨٣٩٧**] وصححه، والبزّار وأبي يَعْلى [رقم: **٩٩١**]، وابن حبان [رقم: **٦٧٥٠**]؛ وعن ابن عمر عند السجزي [«كنز العمال» **١٤/٢٢٣**] أورده في «الإشاعة»؛ وذكر سنين فيها انقطع الحجُّ؛ وكان رَفْعُ الحَجَرِ في خلافة المُقْتَدر زمن القرامطة؛ وأما هَدْمُ البَيْت كلِّه، وانقطاع الحَج بالكلية؛

فإنّما يكون في آخر الزمان؛ وكذا رَفْعُ القرآن والعياذ بالله.

❁ ❁ ❁

ومنها: رضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط؛ ووقع في سنة **٢٤١**هـ وسنة **٣٢٣**هـ وسنة **٥٩٣**هـ.

ومنها: ظهورُ كَوْكَبٍ له ذَنَب، وقد ظهر مراراً كما ضَبَطْناه في «حجج الكرامة».

❁ ❁ ❁

ومنها: كَثْرَةُ المَوْت؛ وفي الحديث: **«ثُمَّ مُوتانٌ كَقُعَاصِ ٱلْغَنَمِ»** رواه البخاري [رقم: **٣١٧٦**] وابن ماجة [رقم: **٤٠٤٢**] والحاكم؛ وهذا وَقَعَ في زمن عُمَر في طاعون عَمْواس وغيرِهِ.

والطواعين، والوباءات الواقعة في أقطار الأرض كثيرةٌ لا تكاد تَنْحَصِر.

ووقع في سنة **٤٢٣**هـ طاعونٌ عظيمٌ ببلاد الهِنْدِ والعجم، ويقعُ إلى الآن بعد أعوام في قطر من أقطارها، على ضَعْفٍ في بعضٍ، وقوةٍ في بَعْضٍ، ووَقَعَ في هذا العام الحاضر في قطر من الدَّكَنِ، وضَبَطَ في «الإشاعة» الطواعين كلَّها بسنوات.

❁ ❁ ❁

ومنها: استباحةُ مَكَّة المكرمة؛ وهذه وقعت في زمن يزيد، ومن أبي طاهر القِرْمِطي، وبعد ذلك مرّات، وسَيَقَعُ قبل خروج المهدي؛ وآخرُ من يستبيحها ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحَبَشَة، كما ورد في الأحاديث.

إلى غير ذلك مما أخبر به النبيّ ﷺ أنَّهُ مِن أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى.

والمقصودُ التنبيهُ على وقوع ذلك لا التحذيرُ منها؛ فإنَّها فاتَتْ، وإنما الحَذَرُ مما يأتي من أمثالها.

واللَّهَ نسألُ أنْ يُمِيتَنا على الإيمان، غير مَفْتُونِين ولا مُبَدِّلين، وكلُّ واحِدَةٍ من هذه الفِتَنِ تحتمل مُجَلَّداً، بل مجلدات! وتفصيلُها يورث قسوة القلب والضغائن، وما لا ينبغي.

والمهمُ ذِكْرُ ما يُلَيِّنُ الفؤادَ، ويُحْزِنهُ، ويَزْجُرُه عن الغَفْلَة؛ وبالله التوفيق.



بـاب

فـي الفتن المتوسطة التي ظهرت ولم تنقص بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث

وهي أمورٌ تكون بين يدي الساعة:

عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ؛ وَحَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُون قَرِيباً مِنْ ثَلاثِينَ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّىٰ يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمانُ، وَتَظْهَرَ الغِيبَةُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ ـ وَهُوَ القَتْلُ ـ؛ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يَهِمَّ رَبُّ المالِ مَنْ يَقْبَلَ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّىٰ يَعْرِضَهُ، فَيَقُولُ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لا أَرَبَ لِي فِيهِ؛ وَحَتَّىٰ يَتَطاوَلَ النَّاسُ في البُنْيَانِ، وَحَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكانَهُ؛ وَحَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآها النَّاسُ أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْراً، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا فَلا يَتَبَايَعَانِهِ وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ**

السَّاعَةُ وَهُو يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يُسْقَىٰ فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلا يَطْعَمُهَا» أخرجه البخاري [رقم: **١٤١٢**].

قال أهل العلم على ما في «التذكرة» للقُرْطُبِيّ **[٢/٤٧٦]**: هذه ثلاث عشرة علامة جَمَعَها أبو هُرَيْرَة في حديثٍ واحدٍ، ولَم يَبْقَ بعد هذا ما ينظر من صحيح العلامات والأشراط، وفي عموم إنذار النبيّ ﷺ بِفَسادِ الزمان، وتغيُّرِ الدين، وذهابِ الأمانة؛ ما يُغْني عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة؛ من ذلك حديث رووه عن أنس مرفوعاً: «**أنَّ في سَنَةِ المئتين يكون كذا وكذا، وفي العَشْر والمئتين كذا وكذا**» الحديث بطوله، فهل كان هكذا، أو قد مَضَتْ هذه المدة؟ وهذا شيء يعمُّ، وسائِرُ الأمورِ التي ذُكِرَتْ قد تكونُ في بلدةٍ وتخلو منها أخرى.

وأيضاً دلالة أخرى على أنه مُفْتَعَلٌ، أنَّ التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنَّما وَضَعُوهُ على عهد عُمَرَ، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يقال في سنة كذا يكون كذا؟ والذي ينبغي أن يقال له في هذا الباب: أنَّ ما أَخْبَرَ به النبيُّ ﷺ من الفِتَنِ والكوائن أنَّ ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العُذْرَ.

وإنما ذلك كوقت قيام الساعة، فلا يَعْلَمُ أحدٌ أي سنة هي، ولا أي شهر.

أمَّا أنَّها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعةٍ منه، وهي الساعة التي خلق الله تعالى فيها آدم عليه السلام، ولكن أيّ جمعة؟! لا يَعْلَمُ تعيينَ ذلك اليوم إلا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وكذا ما يكون من أشراطِ تعيين الزمان لها لا يُعْلَمُ؛ والله أعلم.

وأما الثلاث عشرة خصلة، فقد ظهر أكثرُهَا، مِنْ ذلك قوله: «**حَتّى يَقْتَتِلَ فِئَتَان**» يريدُ فِتْنَةَ معاوية وعليّ بِصِفِّين، وقد تقدَّم الإشارة إليهما.

قال القاضي أبو بكر ابن العَرَبي: وهذا أوَّلُ خَطْبٍ طَرَقَ في الإسلام.

قال القُرَطُبيّ [«التذكرة» **٢/٤٧٩**]: بل أوَّلُ أمرٍ دَهَم الإسلامَ موتُ النبيّ ﷺ، ثم بعده موتُ عمر، وكان أوَّلُ ظهورِ الشرِّ بارْتِدادِ العَرَبِ، وغير ذلك.

والدجّال يُطْلَقُ في اللغة على أوْجُهٍ كثيرةٍ، أحدُها: الكَذَّاب.

قال مالك بن أنسٍ في محمد بن إسحاق: إنما هو دَجَّال من الدَّجَاجِلَة، نحنِ أخْرَجْناه من المدينة.

وقوله: «**قريباً من ثلاثين**» قد جاء عدَدُهم مُعَيَّناً من حديث حُذَيْفَة [«مسند أحمد» **٥/٣٩٦**]. قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَكُونُ في أُمَّتِي دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ، منهم: أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَأَنَا خاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بعَدْي**» خَرَّجَهُ الحافِظُ أبو نُعَيْم، وقال: هذا حديثٌ غَرِيبٌ، تَفَرَّد به معاوية بن هشام، وحدَّث به الإمام أحمد عن علي.

قال القاضي عِياض: هذا الحديثُ قد ظَهَرَ، فلو عُدَّ مَنْ تَنَبَّأَ من زَمَنِ النبيّ ﷺ إلى الآن مِمَّنِ اشْتَهَرَ بذلك وَعُرِفَ، واتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ على ضَلالَتِهِ، لَوُجِدَ هذا العددُ فِيهِم.

ومَنْ طالَعَ كُتُبَ الأَخْبَارِ والتَّواريخ عَرَفَ صِحَّةَ هذا.

وقوله: «**حَتَّى يُقْبَضَ العِلمُ**» فقد قُبِضَ العَمَلُ بِهِ، ولم يَبْقَ إلا رَسْمُهُ.

وأما كَثْرَةُ الزَّلازِل، فقد ذَكَر ابن الجَوْزِي أَنَّهُ وَقَعَ منها بعراق العَجَم كثيرٌ، وقد شاهَدْنا بَعْضَها بالأندلس.

وقوله: «يَتَقَارَبُ الزَّمانُ» مَعْنَاهُ: تَتَقَارَبُ أَحْوالُ أَهْلِهِ في قِلَّةِ الدِّينِ، حتى لا يكونَ فِيهِم مَنْ يَأْمُرُ بِمَعْروفٍ، وَلا مَنْ يَنْهَىٰ عَنْ مُنْكَرٍ، كما هو اليوم، لِغَلَبَةِ الفِسْقِ وظُهورِ أَهْلِهِ.

وأما كَثْرَةُ المالِ، فهذا مما لَمْ يَقَعْ.

وأما التَّطاولُ في البُنْيانِ، فهذا مُشَاهَدٌ في الوجود يُغْني عن الكلام فيه.

وأما قوله: «يَا لَيتَنِي مَكَانَهُ» فذلك لِمَا يَرَىٰ من عَظِيم البَلاءِ، ورِبْحِ الأعداء، وغَبْنِ الأَوْلياء، ورِياسَةِ الجُهلاء، وخُمولِ العُلماء، واستيلاءِ الباطِل في الأحكام، وعمومِ الظُّلْم، والجَهْر بالمعاصي[1]، واستيلاء الحرام على أموال الخلق، والتحكُّمِ في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق كما في هذه الأزمان.

وهذا هُوَ ذلك الزمان الذي قَدِ اسْتَوْلى فيه الباطلُ على الحقِّ، وتغلَّبَ فيه العبيدُ على الأحرار من الخَلْقِ، فباعوا الأحكام، ورَضِيَ بذلك مِنْهم الحُكَّام؛ وصارَ الحُكْمُ مَكْساً، والحقُّ عَكْساً؛ لا يُوصَلُ إليه، ولا يُقْدَرُ عَلَيْه؛ بَدَّلوا دينَ اللَّهِ وغَيَّروا حُكْمَهُ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٢] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [٥ سورة المائدة/

(١) في الأصل: «عموم الجهل بالمعاصي والظلم».

الآيـــة: ٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية: ٤٧] والآيةُ عامَّةٌ فِيمَنْ بَدَّل حكم الله وغيَّرَه.

ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات شعر:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاّ المُلوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وعن أنَسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«سَيَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَقُرَّاءٌ فَسَقَةٌ»** أخرجه أبو نُعَيم [٢٣١/٢، و«كنز العمال»، رقم: ١٠٠١٩]، وهذا حديث غريب، وفيه نكارة.

قال القُرْطُبِيُّ [«التذكرة» ٤٨٣/٢]: وهو صحيحٌ مَعْنىً، لِمَا ظَهَرَ في الوجود مِنْ ذلك.

قال مَكْحُول: يأتي علىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ عالِمُهُم أَنْتَنُ من جِيفَةِ حِمَار.

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَل، قال: سَيَبْلىٰ القُرْآنُ في صُدورِ أقْوام كَمَا يَبْلىٰ الثَّوْبُ، فَيَتَهَافَتُ، يَقْرَءُونَهُ لا يَجِدُونَ لَهُ شَهْوَةً وَلا لَذَّةً، يَلْبَسُونَ جُلودَ الضَّأْنِ عَلى قُلوبِ الذِّئابِ، أعْمَالُهُم طَمَعٌ لا يُخَالِطُهُ خَوْفٌ، إنْ قَصَدُوا قَالُوا: سَنَبْلغُ، وإن أَسَاءوا قالُوا: سَيُغْفَرُ لَنَا، وَإنَّا لاَ نُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئاً. أخرجه أبو محمد الدارمي [رقم: ٣٢١٢].

وعن حُذَيْفَةَ بنِ اليَّمَان، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا إمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسَيَافِكُم، وَيَرِثَ دُنْيَاكُم أَشْرَارُكُم»** أخرجه الترمذي [رقم: ٢٠٩٦] وقال: هذا حديث حسن غريب، وخرجه ابن ماجه [رقم: ٤٠٣٣] أيضاً [«مسند أحمد»، رقم: ٢٢٢١٣]، وكلُّ ذلك وُجد في الخوارج.

وعن ابن مَسْعود، عن النبيّ ﷺ، قال: **«إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ التَّسْلِيمَ عَلَىٰ الخَّاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّىٰ تُعِينَ المرأةُ زَوْجَهَا عَلَىٰ التِّجَارَةِ؛ وَقَطْعَ الأَرْحَامِ، وَفُشُوَّ القَلَمِ ـ أي: ظُهُورَ الكِتَابِ ـ، وشَهَادَةَ الزُّورِ، وكِتْمَانَ شَهَادَةِ الحَقِّ»** أخرجه أبو عمرو بن عبدالبر [راجع «مسند أحمد» ١/٤٠٧ و ٤١٩].

وعن مُعَاوِيَة، قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«إنَّ مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ امرأةٍ الْقَيِّمُ الواحِدُ»** أخرجه البخاري [رقم: ٨١] وخرجه مسلم [رقم: ٢٦٧١] [كلاهما] عن أنس [وليس عن معاوية].

وعن أبي مُوسى الأشْعَرِيّ، عن النبيّ ﷺ، قال: **«لَيَأْتِيَنَّ على النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لا يَجِدُ أحَداً يأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الواحِدُ يَتْبَعُهُ أرْبَعُونَ امرأةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»** أخرجه [البخاري، رقم: ١٤١٤]؛ و [مسلم رقم: ١٠١٢].

قال القُرْطُبيّ [«التذكرة» ٢/٤٩٢]: يريدُ ـ والله أعلم ـ أنَّ الرِّجَال يُقْتَلونَ في الملاحِم، وتبقى نساؤهم أرامِل، فيُقْبِلون على الرجل الواحد في قضاء حوائجهنَّ ومصالح أمورِهِنّ، كما في الحديث قبله؛ **«حَتَّىٰ يكونَ لِخَمْسِينَ امرأةِ القَيِّمُ الواحِدُ»** الذي يسوسُهن، ويقومُ عليهن من بيعٍ وشراءٍ، وأخذٍ وعطاءٍ؛ وقد كان هذا عندنا أو قريبٌ منه بالأندلس.

وقيل: لِقِلَّةِ الرِّجَال، وغَلَبَةِ الشهوةِ على النساء؛ تَتَّبعُ الرجلَ الواحدَ أربعون امرأة. كلُّ واحدةٍ تقول: انْكَحْنِي! انْكَحْني! والأول أشْبَهُ.

ويكون معنى: «**يَلُذْن**»: يَسْتَتِرْن، من الملاذ الذي هو السُّتْرَةُ، لا من اللَّذَّة.

وقد أخبرنا [والقائل هو القرطبي، «التذكرة» **٤٩٣/٢**] صاحبُنَا أبو القاسم رحمه الله تعالى، أنَّه رَبَط نحواً مِنْ خمسين امرأةً، واحدةً بعد أخرى، في حَبْلٍ واحدٍ مخافَةَ سَبْيِ العدوِّ لمَّا خَرَجُوا من قُرْطُبَة.

وأما ظهور الزِّنَا، فذلك مشهورٌ في كثير من البلاد المصرية. انتهى.

قلتَ: وهذه الشَّنِيعَةُ أكثر ما تكونُ في بيوت المُلوك والرؤساء، حتَّى أنَّ في أكْثَرِ بيوتِهِم أنَّهُم يَرُونَ النِّكاحَ مُنْكراً، والسِّفَاحَ مَعْرُوفاً؛ زَعْماً مِنْهم أنَّ في ذلك كَسْرَ شَوْكَةِ الإمارة، ونَقْصَ شَأْنِ الرِّيَاسة؛ فَتَدْخُل النساءُ عليهم بغير عَقْدٍ شَرْعي، وتَلذْنَ منهم لَهُمْ، حَتّى أنّ بعضَهُم يقعُ على أزواج الآباء والأبناء ولا يبالي به، ولا يخافُ اللَّهَ تعالى ولا بَطْشَه في الدُّنيا والآخرةِ، فغالِبُ أولادِهم وَلَدُ السِّفَاح.

وهذا مِنْ أعْظَمِ ما أُصِيبَ به الإسلامُ منذ أزمان في أكْثَرِ أقطار الأرض كلِّها، العربِ منهم والعَجَمِ. ولِذَلِكَ تَرَى أنَّهُ لا يستقيم صِحّة النَّسَبِ لأكثر هؤلاء، وإنَّما النِّكاح في غرباء الإسلام وأداني المسلمين، واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ.

قال القُرْطُبِيّ [«التذكرة» **٤٩٣/٢**]: وأمّا قِلَّةُ العِلْم وكَثْرَةُ الجَهْل، فذلك شائِعٌ في جميع البلاد وذائع، وأعني بِرَفْعِه وقِلَّتِه تَرْكَ العَمَلِ به، كما قال ابنُ مَسْعودٍ رضي الله عنه: لَيْسَ حِفْظُ القُرْآنِ بِحِفْظِ الحُرُوفِ، ولكِنْ إقامة حُدودِهِ.

وعن عبدالله بن عَمْرو، قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إنَّ اللَّهَ لا يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزاعاً، وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَماءِ، فَيَبْقَىٰ نَاسٌ جُهَّالٌ يَسْتَفْتُونَ بِرأْيِهِم، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»** أخرجه البخاري [رقم: ٧٣٠٧] ومسلم [رقم: ٢٦٧٣].

وفي رواية: **«حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ عالِمٌ، أَخَذَ النَّاسُ رؤساءَ جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**.

وعن سَلامَة بنت الحُرِّ، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَدَافَعَ أَهْلُ المَسْجِدِ إمَاماً، فلا يَجِدُونَ إماماً يُصَلِّي بِهِمْ»** أخرجه أبو داود [رقم: ٥٨١].

قال القُرْطُبيُّ في «التذكرة» [٤٩٨/٢]: قال علماؤنا رحمهم الله: ما أَخْبَرَ به النبيُّ ﷺ في هذا الباب وغيرِهِ مِمَّا تَقَدَّم ويأتي، قَدْ ظَهَرَ أكثرُهُ، وشَاعَ في النَّاسِ مُعْظَمُهُ، فَوُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافِلَهُم، عبيدَهُم وجُهَّالَهم؛ فَيَمْلِكون البلادَ، والحُكْمَ في العباد؛ فيَجْمَعونَ الأموال، ويُطِيلون البُنْيانَ، كما هو مُشاهَدٌ في هذه الأزْمان، لا يَسْمَعونَ مَوْعِظَةً، ولا يَنْزَجِرُونَ عن مَعْصِية.

قال قَتادَةُ: فَهُمْ صُمٌّ عن استماع الحق، بُكْمٌ عن التكلُّمِ به، عُمْيٌ عن الإبصار لَه.

وهذه صفة أهل البادِيَة وَالجهالة.

وأمّا **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ بَعْلَهَا»** [مسلم، رقم: ٩]، فقال وَكِيعٌ: هو أنْ تَلِدَ العَجَمُ العَرَبَ [ذَكَرَهُ ابن ماجه في «السنن» رقم: ٦٣].

قال علماؤنا: وذلك بأن يَسْتَوْلي المسلمونَ على بلاد الكُفْرِ،

فَيَكْثُرُ التَّسَرِّي، فيكونُ وَلَدُ الأَمَةِ مِنْ سَيِّدِهَا بمنزلة سَيِّدِها، لِشَرَفِهِ ومَنْزِلَتِهِ بِأبيهِ.

وعلى هذا، فالَّذي يكون من أشراط الساعة استيلاءُ المسلمين، واتِّسَاعُ خُطَطِهم، وكَثْرَةُ الفتوحِ، وهَذا قَدْ كان.

وقيل: إنَّما كان سَيِّدُها وربُّها، لأنَّهُ كان سَبَبَ عِتْقِها، كما قال ﷺ في مارية: «**أعْتَقَهَا وَلَدُهَا**» [ابن ماجه، رقم: ٢٥١٦].

وسمعتُ شَيْخَنا أحمد بن محمد، المعروفُ بابن حِجَّة، يقولُ غير مرةٍ: هو الإخبار عن استيلاءِ الكُفَّارِ على بلاد المسلمين، كما في هذه الأزمان التي استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخُرَاسان وغَيْرِها من البلاد، فَتُسْبَىٰ المرأةُ وهي حُبْلىٰ، أو وَلَدُها صغير، فَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا، فيكبرُ الولدُ، فربّما يجتمعان ويزوَّجان كما قد وقع من ذلك كثير؛ فإنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون.

ويدل على هذا قوله: «**إذا وَلَدَتِ المَرْأَةُ بَعْلَهَا**» [مسلم، رقم: ٩] وهذا هو المطابِقُ للأشراط مع قوله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَكُونَ الرُّومُ أَكْثَرَ أَهْلِ الأَرْضِ**» [راجع مسلم، رقم: ٢٨٩٨] انتهى.

ولعل المُرادَ بالرُّوم النصارى [أي: الأوروبيون البيض]، والله أعلم.

وعن عليّ ابن أبي طالِب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَةَ عَشَرَ خَصْلَةً حَلَّ بِها البَلاءُ**» قِيلَ: وَمَا هِيَ يا رسول الله؟ قال: «**إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُولًا، وَالأَمَانَةُ مَغْنَماً، وَالزَّكَاةُ مَغرَماً، وَتُعُلِّمَ لِغَيْرِ دِينٍ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ في المَسَاجِدِ، وَكَانَ**

زَعِيمُ القَوْمِ أرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ، وَلُبِسَ الحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أوَّلَهَا؛ فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحاً حَمْرَاءَ، أوْ خَسفاً، أوْ مَسْخاً» أخرجه الترمذي [رقم: ٢٢١٠]، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ؛ وخَرَّجَهُ أيضاً من حديث أبي هريرة [رقم: ٢٢١١]، وزاد: «**وَقَذْفاً وَآياتٍ تَتَابَعُ كَنِظَامِ قُطِعَ سِلْكُهُ**» وقال: غريبٌ، لا نعرِفُه إلّا مِنْ هذا الوجه.

وذَكَرَ في «الإشاعة» أنَّ منها ـ أي: من أشراط الساعة ـ: كَثْرَةُ الفُحْش والتَّفَحُّشِ، وتَخْوينُ الأمِين، وائْتِمانُ الخائِنِ، وانْتِفَاخُ الأَهِلَّةِ، وكَثْرَةُ القَطْرِ، وقِلَّةُ النَّبَاتِ، وكَثْرَةُ القُرَّاءِ، وقِلَّةُ الفُقَهَاءِ، وَكَثْرَةُ الأُمراءِ، وَقِلَّةُ الأُمَنَاءِ؛ وَكَوْنُ الزُّهْدِ رِوايَةً، وَالوَرَعِ تَصَنُّعاً، والولدِ غَيْظاً، والمَطَرِ قَيْضاً[1]؛ وإفَاضَةُ الأَشْرار فَيْضاً، وتَصْدِيقُ الكاذِبِ، وتَكْذِيبُ الصَّادِقِ، وَتَقْرِيبُ الأَبَاعِدِ، وتَبْعِيدُ الأقَارِبِ، وزَخْرَفَةُ المحارِيبِ، وخَرَابُ القُلوبِ، وَاكْتِفَاءُ الرِّجَالِ بِالرِّجالِ، وَالنِّسَاءِ بِالنِّسَاءِ؛ وهذا كنايةٌ عن اللِّوَاطِ والسِّحَاقِ؛ وتَعْميرُ خَرابِ الدُّنيا، وتَخْريبُ عُمْرانِها، كما نُقِلَتْ مُصْرُ إلى القاهِرَة، وكُوفَةُ إلى نَجَفٍ.

قلت: وأكْرَة إلى دِهْلي، وسُورْة إلى بُمْبيء، إلى غير ذلك مما ذَكَرَهُ أهلُ التاريخ.

وهذا النقلُ كثيرٌ جِدّاً، وَقَعَ مِراراً، ويَقَعُ في كلِّ قِطْرٍ من الأرض، في كلِّ زَمَنٍ، في كلِّ حكومةٍ جَديدةٍ وسَلْطَنَةٍ حادِثَةٍ، لا تكادُ تَنْحَصِرُ وتُحْصَى.

---

(١) من قيضت البئر: كثر ماؤها.

قال: وظهورُ المعازِفِ، وشُرْبُ الخُمورِ، وكَثْرَةُ الشُّرَطِ ـ أي: أعوان السُّلطان ـ وكَثْرَةُ الهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ الغَمَّازِينِ؛ وَتَسْمِيَةُ الخَمْرِ بِالنَّبِيذِ، والرِّبَا بِالبَيْعِ، والسُّحْتَ بِالهَدِيَّةِ، وَالتَّعَلُّمُ لِغَيْرِ دِينِ الله، وإمارَةُ الصِّبيانِ، وجُورُ السُّلطانِ، وتَطْفيفُ المِكْيالِ وَالمِيزَانِ، وإتْيانُ الشَّياطِينِ في صُورَةِ الرِّجَال، وتَحْدِيثُهُمُ الناسَ بالأحاديث الكاذِبَةِ، وتربيةُ الرَّجُلِ جَرْواً وَتَرْكه وَلَداً، وَتَرْكُ تَوْفِيرِ الكَبِيرِ والرّحْمِ على الصَّغِير، والفاحِشَةُ في الكِبارِ، والمُلْكُ في الصِّغَارِ، والعِلْمُ في الأرَاذِلِ، والْجَهْلُ في أولادِ الأفاضِلِ، والمداهَنَةُ في الخَيارِ، والتِماسُ العِلْمِ عِنْدَ الصِّغارِ، وقَتْلُ الرَّجُلِ أباهُ وأخاهُ، ورَفْعُ الوَضِيعِ، وخَفْضُ الرَّفِيعِ، وكَثْرَةُ الخُطَباءِ، ورُكونُ العُلماءِ إلى الوُلاةِ والفَتْوَى بما يَشْتَهون، وتَعَلُّمُ العلم لِجَمْعِ الدَّرَاهِمِ والدَّنانِير، واتخاذُ القُرْآنِ تجارةً، وقِرَاءَتُهُ بالأُجْرَةِ، والتلاعُنُ عِنْدَ المُلاقَاةِ.

وهذا كثيرٌ في الفلاّحِينَ، والْجَمَّالينَ، والسَّفَلَةِ، والسُّوقَةِ، والبَاعَةِ، وأهلِ العساكر، وأصحابِ المواكِبِ؛ فَيَبْدَأُ أحدُهُم بشَتْمِ صاحِبِهِ عند اللّقاء مكانَ السَّلامِ، ويَمْضي كلٌّ مِنْهُم ولا يعرف تحيَّةَ الإسلامِ.

وأخذُ المالِ والعَرَضِ بغير حقٍ، وسَفْكُ الدِّمَاءِ، ونَقْصُ الأعْمارِ والأبْنَاءِ والثِّمارِ، وقِصَرُ الأيّامِ واللَّيالي، وَكَثْرَةُ الهَرْجِ والمَرْجِ، وبناءُ القُصُورِ العَالِيَةِ، وظُهُورُ البَغْيِ والرِّشَا والحَمِيْةِ الجاهِلِيَّةِ والشُّحِّ والعَصَبيّة، واختلافُ الأهْوَاءِ، وتبايُنُ الآراءِ، وإحداثُ البِدَعِ والشُّرورِ، وتَرْكُ الصَّوابِ من الأمور، واتِّباعُ الهَوَى، والقَضَاء بالظَّنِّ، وأكلُ النَّاس بالألْسِنَةِ كأكْلِ البَقَرِ بألْسِنَتِها، وتسافُدُهُم في الطُّرُقِ كالبَهَائِمِ، وتَنَاكُرُ القُلوبِ، واختلافُ الأخَوَيْنِ من الأبَوَيْن في الدِّينِ، والاسْتِيجارُ على

الغَزْوِ، وحَيْفُ الوُلاةِ، وجُورُ الأئِمَّةِ، والتَّصْدِيقُ بالنُّجُوم، والتَّكْذِيبُ بالقَدَرِ، والقولُ بخَلْقِ القُرْآنِ، ونِكاحُ الرَّجُلِ امرأتَهُ وأَمَتَهُ في الدُّبُرِ، واسْتِشَارَةُ الإمَاءِ، وسُلطانُ النِّسَاءِ، وإمَارَةُ السُّفَهاءِ، والسَّلامُ على المَعْرِفَةِ، وافْتِرَاقُ الكَلِمَةِ، وتَرْكُ الغَزْوِ، واتّخاذُ المساجدِ طُرُقاً، والغِشُّ في التُّجَّارِ، وتَحوُّلُ شِرارُ الشَّامِ إلى العِرَاقِ، وخيارُها إلى الشَّام، واسْتِخْفاءُ المُؤْمِنِ كالمُنَافِقِ؛ وعَدَمُ الاسْتِحْياءِ من الحَلِيم، وعَدَمُ اتِّباعِ مَنْ هُوَ بِالقُرْآنِ والسُّنَّةِ عَلِيمٌ، وعَدَمُ عِرْفانِ المَعْروفِ ومَعْرِفَةِ المُنْكَرِ، والاسْتِهْزَاءُ بِالصَّالِحِينَ، وتَحْمِيقُ المُتَّقِينَ، وهَلاكُ البُيوتِ بالرَّوَاجِفِ، وهَلاكُ الدَّوَابِ بالصَّوَاعِقِ، وَكَثْرَةُ الطَّوَاعِينِ، والهَلاكُ بالجَدَرِي، وَتَحْلِيَةُ المَصَاحِفِ، وَعَدَمُ التَّدَبُّر فيها مَعْ كَثْرَةِ التِّلاَوَةِ، وتَقَارُبُ الأسْوَاقِ بِقِلَّةِ الأرْباحِ، وفُشُوُّ الغِيبَةِ وَالسِّعايَةِ والنَّمِيمَةِ، ومُكابَرَةُ العُلماءِ، ورَدُّ بَعْضِهِم بَعْضاً في الفَتْوَى، وَالطَّعْنُ عَلى السَّلَفِ، والتَّشْنِيعُ عَلىٰ الخَلَفِ، وَكَثْرَةُ البَغَايا وَأوْلادِهِم، وظُهورُ المُنْكَرِ مَعْروفاً وَبِالْعَكْسِ، وَسُوءُ الجِوَارِ، وتَعْطِيلُ السُّيُوفِ عَنِ الْجِهَادِ، وَاخْتِيارُ الدُّنْيَا عَلى الدِّينِ، وَإِيثارُ الرَّأْيِ عَلىٰ النَّصِّ، وَقِلَّةُ البَرَكاتِ في كُلِّ شَيْءٍ، وفَوْتُ البدار، وَمَوْتُ الفُجَاءَةِ، ورُكُوبُ المَياثِر، وظهورُ النِّساءِ الكاسِياتِ العارياتِ المُمِيلاتِ المائِلاتِ، على رؤوسِهِنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ؛ وظُهورُ قَوْمٍ مَعَهُم سِياطٌ كأذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبونَ بها الناسَ، ويَمْنَعونَهُم عن الدُّخولِ على الوُلاةِ؛ وإضاعَةُ الصَّلواتِ، والمَيْلُ مَعَ الهَوَى، وفِعْلُ السَّيِّئاتِ، وتَعْظِيمُ رَبِّ المالِ، وإهَانَةُ صاحِبِ العِلْمِ، وَإكْثَارُ العِلْم، وإضَاعَةُ العَمَلِ، وَائْتِلافُ الألْسُنِ، واخْتِلافُ القُلوبِ، واليَقَظَةُ لِلدُّنْيا، والذُّهُولُ عَنِ الآخِرَةِ، وتَبَايُنُ المَذَاهِبِ، وتَخَالُفُ المِلَلِ، وَكَثْرَةُ النِّحَلِ، وابتلاءُ المُسْلِمِينَ بالشِّرْكِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرونَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم

بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية: ١٠٦].

وفي هذا كتاب «رد الإشراك» للشيخ محمد إسماعيل الدِّهْلَوِي رحمه الله تعالى، و «قُوتُ القلوب في توحيد علام الغيوب» للسيد العلامة حسن بن خالد بن عز الدين الحازِمي رحمه الله، و «الدر النضيد في إخلاص التوحيد» للشَّوْكاني، و «تطهير الاعتقاد عن أدْرَان الإلحاد» للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمني، و «التجريد المفيد للتوحيد» للمَقْرِيزِي، وكتب التوحيد لأهل النجد.

وعمومُ البَلْوى في أقطار الأرْضِ كُلِّها من العَجَم والعَرَب إلاَّ من عَصَمَهُ اللَّهُ تعالى بالتَّقْلِيدِ الشَّخْصِي لأحدٍ من أئمَّةِ المسلمين، وقد أُصِيبَ بِهِ الإسلامُ إصابةً لا يُرْجى العَوْدُ عنها، وأشْرِبَ قلوبُ الناسِ حُبَّهُ؛ والعلماء قد انتدبوا لِرَدِّهِ قَديماً وحديثاً، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة مبسوطة، منها: «إعلام الموقِّعين عن رَبِّ العالمين» للحافظ ابن القَيِّم رحمه الله تعالى، وهو مجلدان ضَخْمان، و «أدَبُ الطَّلَبِ ومنتهىٰ الأرب»، و «القولُ المفيد لحكم التقليد» للشَّوْكاني رحمه الله تعالى، و «إرشاد النقّاد إلى تيسير الاجتهاد» للسيد محمد الأمير اليماني، «تحفة الأنام في العمل بأحاديث خير الأنام» للشيخ العلامة محمد حياة المحدث المدني، و «المنهج السديد في الذبِّ عن التقليد» للعالم الصالح محمد عبدالله خان العَلَوي، تلميذ الشيخ محمد إسماعيل الدِّهْلَوِي رحمه الله تعالى، و «الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة» لهذا العبد الجاني، و «الشهاب الثاقب» لأخي السيد أحمد بن حسن البخاري الْقِنَّوْجي رحمه الله تعالى، و «دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب» للشيخ محمد أمين المَغْرِبي؛ إلى غير ذلك.

وبدعةُ التَّصَوُّفِ، وفيه كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى، و «قطر الولي في معرفة الولي» للشوكاني رحمه الله تعالى.

وبدعةُ التشبُّهِ بالأقوام المخالِفَةِ لما جاء به الإسلام، وفيه كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم إلى مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية رحمه الله تعالى، و «إيثار العَقْل على النَّقْل»، وفيه كتاب «ردّ المنطقِيّين» لابن تيمية رحمه الله تعالى أيضاً.

والفتنُ كثيرةٌ لا تُحْصَى، والأَخْبارُ فيها غزيرَةٌ لا تُسْتَقْصَى، ذَكَرَ طرفاً صالحاً منها الشيخ العلامة محمد الحنبلي السَّفَّارِيني في كتاب «البحور الزاخرة من علوم الآخرة».

وهذه الجملةُ من الأشْراطِ للسَّاعة موجودة تَحْت أَدِيم السَّماء، وهي في التزايد يوماً فيوماً، وقد كادَتْ أنْ تبلغ الغايَةَ، أو قد بَلَغَتْ ولم يبقَ إلا الأشراط الكبرى التي أوَّلُها ظهورُ المَهْدي عليه السلام.

قال القُرْطُبيُّ [«التذكرة» ٢/٤٦٤]: كلُّ ما وَقَعَ في الأخبار من الأشراط، فقَدْ شاهَدْناهُ بتلك البلاد، وعايَنَّا مُعْظَمَه، إلا خروجَ المَهْدِيّ.

قال [«التذكرة» ٢/٤٧٢]: وقال العُلماءُ: الحِكْمةُ في تَقْديم الأشْراط، ودلالةِ الناسِ عليها؛ تنبيهُ النَّاسِ من رَقْدَتِهِم، وحَثُّهم على الاحتياطِ لأنْفُسِهم بالتَّوبَة والإنابَة، كَيْلا يُبَاغَتُوا بالحَوْلِ بَيْنَهم وبين تداركِ الفَوَارِطِ[1] منهم، فيَنْبَغي للنَّاسِ أنْ يكونوا بعد ظُهورِ أشراط

(١) في «التذكرة» المطبوعة: «العوارض» بدلًا من: «الفوارط».

الساعة قد نَظَرُوا لأنْفُسِهِم، وانْفَطَمُوا[1] عَنِ الدُّنْيَا، واستعدُّوا للسَّاعَةِ الموعودِ بها، والله أعلم.

وتلك الأشراطُ علامةٌ لانتهاء الدنيا وانْقِضائِها، ولا بُدَّ مِنْ ذِكْرِها حتى يوقَفَ عَلَيْها، ويتَحَقَّقَ بذلِكَ معجزةُ النبيِّ ﷺ وصِدْقُهُ في كلِّ ما أَخْبَرَ به ﷺ. انتهى.

فهذه قَطْرَةٌ من بِحارِ أشراطِ الساعة ذات الفِتَنِ والأهوال، ودَرَّةٌ من وادي علاماتها وأمارَاتها التي وَرَدَتْ بها الأخبار والآثار والأقوال.

وقد سَاقَ السُّيُوطي أحاديثَ الأشْرَاطِ في «الدر المنثور» وغيره في غيرِهِ من المَسْطور.

نسألُ اللَّهَ سُبْحانَه أنْ يُجَنِّبَنا الفِتنَ، ويَعْصِمَنا مِنَ المِحَنِ، ويُميتَنَا على السُّنَنِ، ويَغْفِرَ لَنَا الذنوبَ التي جَنَاهَا في السِّرِّ وَالعَلَنِ، إنَّه قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وهو وَليُّ التَّوْفِيقِ.



(١) في «التذكرة» المطبوعة: «وانقطعوا» بدلًا من: «وانفطموا».

بـاب
فـي الفتن العظام، والمحن التي تعقبها الساعة

وهي أيضاً كثيرة جداً.

❀ ❀ ❀

منها: المَهْدِيُّ الموعودُ المُنْتَظَرُ الفاطِمِيُّ، وهو أوَّلُها، والأحاديث الواردةُ فيه على اختلافِ رواياتها كثيرةٌ جدّاً، تَبْلُغُ حَدَّ التواتُرِ، وهي في السُّنَنِ وغَيْرِها من دَوَاوينِ الإسلامِ مِنَ المَعَاجمِ والمَسَانيدِ.

وقد أوضحَ القولَ فيها القاضي مُؤَيّدُ الدين عبدُالرحمن ابن خلدون الحَضْرَمِيّ المَغْرِبيّ في كتابه «العِبرُ وديوان المتبدأ والخَبَر» حيث قال: يَحْتَجُونَ في الباب بأحاديث خرَّجها الأئمةُ، وتَكَلَّمَ فيها المنكرون لذلك، ورُبَّما عارَضوها ببَعْضِ الأخبار، وللمُنْكِرينَ فيها من المطاعِن، فإذا وَجَدْنا طَعْناً في بعض رجال الأسانيد، بِغَفْلَةٍ أو بِسُوءِ حِفْظٍ أو ضَعْفٍ أو سُوءِ رَأْيٍ، تطرق ذلك إلى صِحَّةِ الحديث، وأوْهَنَ منها. . . إلى آخر ما قال.

وليس كما ينبغي، فإنَّ الحقَ الأحقَ بالاتِّباعِ، والقولَ المحقَّقَ عن

المحدثين المميزين بين الدَّار والقاع؛ أنَّ المُعْتَبَرَ في الرُّواة ورجالِ الأحاديث أمران لا ثالث لهما، وهما الضَّبْطُ والصِّدْقُ، دون ما اعتبره عامّةُ أهل الأصول من العدالة وغيرها، فلا يتطرّقُ الوَهَنُ إلى صِحَّةِ الحديث بغير ذلك، كيف ومثلُ ذلك يتطرَّقُ إلى رجال الصحيحين؟ وأحاديثُ المَهْدِي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، والحاكم، والطَّبَراني، وأبي يَعْلى المَوْصِلي؛ وأسْنَدُوها إلى جماعةٍ من الصحابة، فتَعَرُّضُ المُنْكِرِينَ لها لَيْسَ كما يَنْبَغِي.

والحديث يشَدُّ بعضُه بعضاً، ويتقوَّى أمرُهُ بالشَّواهِدِ والمتابعات؛ وأحاديثُ المَهْدِي بَعضُها صحيحٌ، وبعضُها حسنٌ، وبعضُها ضعيفٌ؛ وأمرُهُ مَشهورٌ بين الكافَّةِ مِنْ أهْلِ الإسلام على مَمَرِّ الأعصار، وأنَّه لا بُدَّ في آخر الزَّمانِ من ظهور رَجُلٍ من أهل البَيْت النبويّ يُؤَيِّدُ الدينَ، ويُظْهِرُ العَدْلَ، ويَتْبَعُهُ المسلمون، ويَسْتَوْلي على الممالك الإسلامية، ويُسَمَّىٰ بِالمَهْدِيِّ.

ويكون خروجُ الدَّجَّالِ وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصَّحيح على إِثْرِهِ، وأنَّ عِيسىٰ يَنْزِلُ مِنْ بَعْدِهِ، فَيَقْتِلُ الدَّجَّالَ، أو يَنْزِلُ معه، فَيُساعِدُه على قَتْلِهِ، ويأتمُّ بالمَهْدِيّ في صلواتِهِ؛ إلى غير ذلك.

وأحاديثُ الدَّجَّال، وعيسى أيضاً؛ بلغت حَدَّ التواتُرِ والتَّوالي، ولا مَساغَ لإنكارِها، كما بَيَّنَ ذلك القاضي العلامة محمد بن علي الشَّوْكاني اليمني رحمه الله تعالى في «التَّوْضِيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح».

قال: والأحاديثُ الوارِدَةُ في المَهْدِيّ التي أمْكَنَ الوقوفُ عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحَسَنُ والضَّعيف المُنْجَبِر، وهي

متواتِرَةٌ بلا شكّ ولا شُبهة، بل يصدُقُ وَصْفُ التواتر على ما هو دونَها على جميع الاصطلاحات المحرَّرَة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرِّحة بالمَهْدِي فهي كثيرةٌ أيضاً، لها حُكْمُ الرَّفْعِ، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى.

وقد جَمَع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديثَ القاضِيَة بخروج المَهْدي، وأنَّهُ من آل محمد ﷺ، وأنَّهُ يَظْهَرُ في آخرِ الزمان؛ ثم قال: ولم يأت تعيينُ زَمَنِهِ، إلاَّ أنَّهُ يَخْرُجُ قبل خروج الدجال. انتهى.

وتكلم في «الإشاعة» في المَهْدي في مقامات:

الأول: في اسْمِهِ، ونَسَبِهِ، ومولدِهِ، ومبايعته، ومُهاجِرِه، وحِلْيَتِهِ، وسيرته.

والثاني: في العلامات التي يُعْرَفُ بها، والأمارات الدالة على قُرْبِ خروجه عليه السلام.

والثالث: في الفِتَنِ الواقعة قبل خروجه.

ثم ذَكَرَ الفِتنَ والملاحِمَ الواقعة في زمنه عليه السلام، وهي من أشراطها العظام القريبة.

وأما نحنُ، فنسوق الأحاديث الثابتة في المهدي هنا مساقاً واحداً، تقريباً إلى فَهْم العوام، لأنّا قد قَضَيْنا الوطر من هذا المرام في كتابنا الكبير المسمى بـ «حجج الكرامة في آثار القيامة»، فلا نعيد الكلام.

نعم، نوضِّحُ في مطاوي سَرْدِها حال الرواية والراوي جَرْحاً

وتعديلاً، تتميماً للفائدة، وتكميلاً للعائدة، فنقول، وبالله أجول وأصول:

عن ابن مَسْعودٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَذْهَبُ الدُّنْيا وَلا تَنْقَضِي حَتّىٰ يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتي، يُواطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي»** أخرجه أحمد [رقم: **٣٥٦٢**] وأبو داود [رقم: **٤٢٨٢**] والترمذي [رقم: **٢٢٣٠**].

وعنه أيضاً [الترمذي رقم: **٢٢٣١**]، بلفظ: **«يَلي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتي، يُواطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي، لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَى يَلِيَ»** وزاد أبو داود [رقم: **٤٢٨٢**]: **«حَتّىٰ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيه رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي ـ أَوْ: مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ـ يُواطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبيهِ اسْمَ أَبِي»** وَسَكتَ عليه، وقال [أبو داود] في رسالته المشهورة: إن ما سكت عليه فهو صالح.

وكلاهما حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً من طريقٍ موقوفاً على أبي هُرَيْرَة.

وقال الحاكم: رواه الثوري وشُعْبة وزَائِدة وغيرُهم من أئمة المسلمين، عن عاصم؛ قال: وطُرُقُ عاصم عن زِرٍّ[1] عن عبدالله بن مسعود كُلُّها صحيحةٌ على ما أَصّلت من الاحتجاج بأخْبار عاصِم، إذْ هو إمام من أئمة المسلمين. انتهى.

وقال فيه أحمد ابن حنبل: كان رجلاً صالحاً، قارئاً للقرآن، خَيِّراً، ثِقةً، والأعمشُ أحْفَظُ منه.

---

(١) هو زِرُّ بنُ حُبَيْش.

وكان شُعْبَةُ يختارُ الأعمشَ عَلَيْهِ في تثبيت الحديث.

وقال العِجْليّ: كان يَخْتَلِفُ عليه في زِرٍّ وأبي وائِل. يشير بذلك إلى ضعف روايَتِهِ عنهما.

وقال محمد بن سعد: كان ثقةً، إلاَّ أَنَّهُ كثيرُ الخَطَأِ في حديثه.

وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب.

وقال عبدالرحمن ابن أبي حاتم، قلت لأبي: إن أبا زُرْعة يقول: عاصِمٌ ثقةٌ، فقال: ليس محلُّهُ هذا، وقد تكلَّمَ فيه ابنُ عُلَيَّةَ، فقال: كلُّ من اسمه عاصِمٌ سَيّئُ الحِفْظ.

وقال أبو حاتم: محلُّه عندي محلَّ الصِّدْقِ، صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ.

واختلف فيه قول النسائي.

وقال ابن خِرَاش: في حديثه نُكْرَةٌ.

وقال أبو جعفر العُقَيْلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ.

وقال الدَّارُقُطْنِيُّ: في حفظه شَيْءٌ.

وقال يحيى القَطّان: ما وجدتُ رجلاً اسمه عاصم إلاَّ وجدْتُهُ رديء الحفظ.

وقال أيضاً: سَمِعْتُ شعبة يقول: حدثنا عاصم ابن أبي النُّجُود، وفي الناس ما فيه.

وقال الذَّهبي: ثَبْتٌ في القراءة، وهو في الحديث دون الثَّبْتِ، صَدوقٌ، فَهِمٌ، وهو حسن الحديث.

وأخرج الشيخان له مقروناً بِغَيْرِه، ولم يزدْ في «الخلاصة» [صفحة: ١٨٢] على قوله: عاصم ابن أبي النُّجود في ابن بهدلة، ورمز لإخراج الستة له.

❀ ❀ ❀

وعن أم سَلَمَةَ رضي الله عنها بلفظ: **«المَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فاطِمَةَ»** رواه أبو داود [رقم: ٤٢٨٤] وابن ماجه [رقم: ٤٠٨٦] والحاكم في «المستدرك» [٤/٥٥٧، رقم: ٨٦٧٧] من طريق علي بن نُفَيْل، عن سعيد بن المسيّب، عن أمّ سَلَمَةَ، ولَفْظُهُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكرُ المهديَّ، فقال: **«هُوَ حَقٌّ، وَهُوَ مَنْ بَنِي فاطِمَةَ»** ولم يتكلّم عليه بتصحيح ولا غَيْرِه، وقد ضعّفْه أبو جعفر العُقَيْلي. وقال: لا يُتابَعُ عَلَيْهِ، ولا يُعْرَفُ إلّا بِهِ.

وفي «الخلاصة» [صفحة: ٢٧٨]: علي بن نُفَيْل النهدي، أبو محمد الحَرَّاني، عن ابن المُسَيِّب، وعنه الثَّوْري، وأبو المَليح الرَّقيِّ، قال أبو حاتم: لا بأس به؛ قال أبو عَرُوبَة: مات سنة خمس وعشرين ومئة، أخرج له أبو داود وابن ماجه.

❀ ❀ ❀

وعن عليّ ابن أبي طالِب رضي الله عنه، بلفظ: **«المَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ»** أخرجه أحمد [رقم: ٦٤٦] وابن ماجه [رقم: ٤٠٨٥] من رواية ياسين العِجْلِي، عن إبراهيم بن محمد ابن الحَنَفِيّة، عن أبيه، عن جَدِّه.

وفي رواية: **«يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ في لَيْلَةٍ»**.

والعِجْلي، قال فيه ابن مَعِين: ليس به بأْسٌ.

وقال البخاريُّ: فيه نَظَرٌ؛ ونحوُهُ في «الخلاصة» [صفحة: ٤٢٠]، وزاد: أخْرَجَ له ابن ماجه. وأوْرَدَ له ابن عدي في «الكامل»، والذَّهبي في «الميزان» هذا الحديث على وجه الاسْتِنْكار، وقال: هو معروف.

❀ ❀ ❀

وعن أم سَلَمَة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يَكُونُ اخْتِلافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ المَدِينَةِ هَارِباً إلىٰ مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ ناسٌ مِنْ أهْلِ مَكَّةَ، فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، فَيُبْعَثُ إليه بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَإذَا رَأىٰ النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ العِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْش أَخْوالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثاً، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ المالَ، وَيَعْمَلُ في الناسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِم ﷺ، وَيُلْقِي الإسْلامُ بِجِرَانِهِ إلى الأرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ»**. وقال بعضُهم: تسع سنين **«ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ»**. أخرجه أحمد [رقم: ٢٦١٤٩]، ورواه أبو داود [رقم: ٤٢٨٦] أيضاً من رواية صالح بن الخليل، عن صاحبٍ له، عن أمِّ سَلَمَة؛ ثم رواه أبو داود من رواية ابن الخليل، عن عبدالله بن الحارث، عن أم سَلَمَة، فبيَّن بذَلِكَ المُبْهَم في الإسناد الأول. ورِجالُهُ رجالُ الصَّحِيح، لا مَطْعَنَ فيهم ولا مَغْمَز.

وقد يقال: إنه من رواية قَتَادة عن ابن الخليل، وقتادة مُدَلِّس، وقد عَنْعَنَه. والمُدَلِّس لا يُقبَلُ من حديثه إلا ما صَرَّحَ فيه بالسَّماع.

والحديث وإن كان ليس فيه تصريح بِذِكْرِ المَهْدِيّ، إلاّ أنّ أبا داود ذَكَرَهُ في أبوابه، ورواه الحاكم في «المستدرك» أيضاً [٤/٤٢٩، رقم: ٨٣٢١].

قال الشوكاني: وفي «الصحيح» أيضاً طَرَفٌ منه، وأخرجه أيضاً الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصَّحيح.

وفي «الخلاصة» [صفحة: ١٧١ و١٧٢]: صالح بن خليل، في ابن أبي مَرْيم، أخرج له الستة.

وقَتَادَةُ بن دِعَامَة السَّدُوسي ابن الخَطّاب البَصْرِي، أحدُ الأئمة الأعلام، حافِظٌ مدَلِّس.

قال ابن المُسَيِّب: ما أتاني عِرَاقِيٌّ أحفَظُ منه.

وقال ابن سِيرِين: قَتادَةُ أحفظُ النَّاس.

وقال ابن مَهْدِي: أحْفَظُ من خمسين، مثل حُمَيْد، وقد احتجّ به أرْبابُ الصَّحاح.

❁ ❁ ❁

وعن أم سَلَمةَ رضي الله عنها، قالت: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَسِيرُ مَلِكُ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَبْعَثُ جَيشاً إلى المَدِينَةِ، فَيُخْسَفُ بِهِم، فَيَعُوذُ عائِذٌ بِالحَرَمِ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ إليه كالطَّيْرِ الوارِدَةِ المُتَفَرِّقَةِ، حتى يَجْمَعَ إليه ثَلاث مئة وأرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فِيهِمْ نِسْوَةٌ، فَيَظْهَرُ على كُلِّ جَبَّارٍ، وابْنِ جَبَّارٍ، وَيُظْهِرُ من العَدْلِ مَا يَتَمَنَّى لَهُ الأحْيَاءُ أمْوَاتَهُمْ، فَيَحْيَا سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ مَا تَحتَ الأرْضِ خَيْرٌ مِمَّا فَوْقَهَا»** أخرجه الطبراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد»، رقم:

١٢٣٩٨، ٣١٨/٧]، وفي إسنادِهِ لَيْثُ ابن أبي سُلَيم، [وهو مُدَلِّسٌ،] وبقية رجاله رجال الصحيح.

قال في «الخلاصة» [صفحة: ٣٢٣]: قال أحمد: مُضطَرِبُ الحديث.

وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: إنَّما أنكَرُوا عَلَيْهِ الجمعَ بين عطَاء وطاووس ومجاهد.

❁ ❁ ❁

وعن أم سَلَمَة أيضاً بنحو ألفاظ الحديث الأول باختصار، وفي الصحيح طَرَفٌ منه، ورواه الطَّبَرَاني في «الأوسط» و «الكبير» [«مجمع الزوائد»، رقم: ١٢٣٩٨]، وفي إسنادِهِ عمران القَطّان، وثَّقَهُ ابن حِبَّان، وضَعَّفَهُ جماعةٌ؛ وبَقِيَّةُ رجالِهِ رجالُ الصَّحِيح.

❁ ❁ ❁

وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أُبَشِّرُكُمْ بِالمَهْدِي، رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ عِتْرَتِي، يُبْعَثُ عَلى اخْتِلافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلازِلَ، فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَرْضَىٰ عَنْهُ سَاكِنُ السَّماءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ، يَقْسِمُ المالَ صِحاحاً»** فقالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحاحاً؟ قَالَ: **«بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَمْلأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنىً، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِياً فَيُنَادِي، فَيَقولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ، فَيَقُولُ: أَنَا، فَيَقُولُ: ائْتِ السَّادِنَ ـ يَعْنِي: الخَازِنَ ـ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ المَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالاً، فَيَقُولُ لَهُ: احْثِ! حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ في حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ،**

فَيَقُولُ: كُنْتُ أَخْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوَ عَجزَ عَنِّي ما وَسِعَهُمْ، فَيَرُدُّهُ، فَلا يُقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لا نَأْخُذُ شَيْئاً أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ. ثُمَّ لا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ» أَخْرَجَهُ أحمد في «المسند» [رقم: ١٠٩٣٣] وأبو يعلى [«مجمع الزوائد» ٣١٦/٧] ورجالُهما ثقاتٌ، وقد أَخرَجه الترْمذي [رقم: ٢٢٣٢] مخْتَصراً.

وعن أبي سَعيدٍ أيْضاً بلَفْظِ: «لَيَقُومَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوسِعُ الأَرْضَ عَدْلًا، كَما وَسِعَتْ ظُلْماً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ» أخرجه أبو يَعْلىٰ [«مجمع الزوائد» ٣١٧/٧]، وفيه عَدِيّ ابن أبي عمارة: قال العُقَيْلي: في حديثه اضطراب، وبقية رجاله رجال الصحيح. قالَهُ الشَّوْكاني.

وعنه أيضاً بلَفْظ: «المَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَىٰ الْجَبْهَةِ، أَقْنَىٰ الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ» أخرجه الحاكم في «المستدرك» [٥٥٧/٤، رقم: ٨٦٧٠]، وأبو داود [رقم: ٤٢٨٥] وسَكَتَ عَلَيْهِ واللَّفْظُ لَهُ، وهُوَ مِنْ طَرِيقِ عِمْرَانَ القَطّانِ، عن قتادة، عن أبي نَضْرَةَ، وَعِمْرانُ مخْتَلَفٌ في الاحْتِجاج به، إنّما أَخْرَجَ له البخاري استشهاداً لا أصلًا، وكان يحيى القَطّان لا يُحدِّثُ عنه. وقال ابن مَعِين: لَيْسَ بالقَوِي. وقال مرةً: ليس بشَيْءٍ. وقال أحمد: أرْجُو أنْ يكونَ صالِحَ الحديث. وقال يزيد بن زريع: كانَ حَرُورِيّاً، وكان يرىٰ السَّيْفَ على أهَلِ القبلة. وقال النَّسائيّ: ضَعيفٌ. وقال أبو عُبَيْد الآجُرّي: سألتُ أبا داود عنه، فقالَ: مِنْ أصْحابِ الحَسَنِ، وما سمعتُ إلا خيراً، وسَمِعْتُهُ مرّة أخرى ذكره، فقال:

ضعيف، أفتى في أيام إبراهيم بن عبدالله بن حسن بفَتْوىٰ شديدة، فيها سَفْكُ الدِّماء. ولكنَّ ذَلِكَ كلّه لا ينافي الضَّبْطَ والصِّدْقَ الذين عليهما مدار الصحّة والقوة، والله أعلم.

وَعَنْهُ أيضاً، قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ: «**يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسُنَّتِي، فَيُنْزِلُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ القَطْرَ مِنَ السَّماءِ، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ مِنْ بَرَكَتِهَا، وَيَمْلأُ الأَرْضَ مِنْهُ قِسْطاً وَعَدْلًا، كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَعْمَلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَنْزِلُ بَيْتَ المَقْدِسِ**» أخرجه الطَّبَراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد» **٣١٧/٧**]، قال الشَّوْكاني: وفي إسْنادِهِ مَنْ لَمْ يُعْرَفْ، ولكنّهُ أخْرَجَهُ الترمْذي [رقم: **٢٢٣٢**]، [أبو داود، رقم: **٤٢٨٥**] وابن ماجه [رقم: **٤٠٨٣**] باختصار. انتهى.

قلتُ: قال الطَّبَراني فيه: رَواهُ جَماعَةَ عن أبي الصِّدِّيق، ولم يُدْخِلْ أحدٌ منهم بَيْنَهُ وبين أبي سعيد أحداً إلا أبا الواصِل، فإنه رواه عن الحسن بن يزيد، عن أبي سعيد. انتهىٰ.

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يُعَرِّفْهُ بأكْثَرَ مِمَّا في هذا الإسناد من روايته عن أبي سَعيد، وروايةُ أبي الصديق عَنْه، وقال الذهبي في «الميزان»: إنَّهُ مجْهولٌ، لكنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّان في «الثِّقات»، وأما أبو الواصِل الذي رواه عن أبي الصديق، فلم يُخَرِّجْ لَهُ أحد من السِّتَّة، ذكرَهُ ابنُ حِبان في الطبقة الثانية.

وقال فيه: يَرْوي عن أنَسٍ، ورَوَىٰ عنه شُعْبة، وعتاب بن بشر، والله أعلم.

وعَنه أَيْضاً بلَفْظِ: «**يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلا يَعُدُّهُ**» [أخرجه مسلم، رقم: **٢٩١٣**، و] أخْرَجَهُ أحمد في «المُسْنَد» [رقم: **٢٩١٣**]، وليس فيه تصريحٌ بالمَهْدي، ولكن يَشْهَدُ له حديث جابِر، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً، وَلا يَعُدُّهُ عَدّاً**» [مسلم، رقم: **٢٩١٣**] وعن أبي سعيد أيضاً من طريق أخرى، قال: «**مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو المَالَ حَثْياً**» [«مسند أحمد»، رقم: **١١١٨٧**].

ولكنْ لَمْ يَقَعْ في هذَيْن الحديثَيْن أيضاً ذِكْرُ المَهْدي ولا دليلَ يقومُ على أنَّهُ المرادُ مِنْهُما، واللَّهُ أعلم.

وعن ثَوْبانَ، قال: قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ هَذَا ثَلاثَةٌ كُلُّهُمُ ابْنَ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لا يَصِيرُ إِلىٰ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُوهُمْ قَتْلَا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ**» ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئاً لا أحْفَظُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ، أخرجه ابن ماجه [رقم: **٤٠٨٤**] ورجالُهُ رجالُ الصَّحِيحَيْن، إلا أنَّ فيه أبا قِلابَةَ الْجَرْمِيّ، ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وغيرُه أنَّهُ مُدَلِّسٌ.

وفيه سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، وهو مَشْهورٌ بالتَّدْلِيس، وكُلٌّ منْهُما عَنْعَنَ ولم يصرِّحْ بالسَّماعِ.

وفيه عبدالرزاق بن هَمَّام، وكان مشهوراً بالتَّشَيُّع، وعَمِيَ في آخرِ وقْتِهِ فَخَلَطَ، قال ابْنُ عَدِيٍّ: حَدَّثَ بأحاديثَ في الفَضائل لم يوافقْهُ عليها أحَدٌ، ونَسَبُوهُ إلى التَّشَيُّعِ.

وأخرجه الحاكم أيضاً في «المستدرك» [**٥٠٢/٤**]، وفي لفظٍ من

حَديثِهِ، أخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ: **«سَتَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَاياتٌ سُودٌ مِنْ قِبَلِ خُراسانَ، فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ المَهْدِيُّ»**.

وقد حَمَلَ قومٌ من علماء الهِنْدِ هذا الحديثَ على خُروج السيد أحمد البِرِيلَوِي بتكلُّفاتٍ بارِدَةٍ، مع أَنّ السَّيِّدَ كَانَ رجلاً صالِحاً، حَجَّ وجاهَدَ وغَزَا، ولم يَدَّعِ المَهْدَوِيةَ قَطُّ، ولم تَكُنْ تَنْبَغِي لَهُ هذه الدَّعوىٰ.

وعن قُرَّةَ بنِ إِيَاس، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَتُمْلأَنَّ الأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً، فَإِذَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، يَمْلأَهَا عَدْلًا وَقِسْطاً كما مُلِئَتْ جَوْراً، فَلا يَمْنَعُ السَّماءَ شَيْئاً مِنْ قَطْرِها، وَلا الأَرْضَ شَيْئاً مِنْ نَباتِها، يَلْبَثُ فِيهِمْ سَبْعاً أَوْ ثمانياً أَوْ تِسْعاً ـ يعني: سنين ـ»** أخرجَهُ البَزَّارُ، والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» [«مجمع الزوائد» ٧/٣١٤] من طريق داود بنِ المُحَبَّرِ، عن أبيه؛ وكِلاهما ضعِيفٌ جداً.

وعن عبدالله بن الحارث بن جزء، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ المَشْرِقِ فَيُوَطِّؤُونَ لِلْمَهْدِيِّ»** يَعْنِي: سُلطانَهُ. أخرجه ابن ماجه [رقم: ٤٠٨٨]، والطبراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد» ٧/٣١٨]، وفيه عَمْرو بن جابرٍ الحَضْرَمِيّ، وهو كذَّاب، قال الطبراني: تفرَّدَ به ابن لَهِيعَة، وهو ضعيفٌ، وإنَّ شيخه عَمْرَو بنَ جَابرٍ أَضْعفُ مِنْهُ.

قال في «الخلاصة» [صفحة: ٢٨٧] قال النَّسائي: ليس بثقة، وأخرج له الترمذي وابن ماجه.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثني خَليلي أبو القاسم ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلىٰ الْحَقِّ**». قالَ: قلتُ: وكَمْ يَمْلِكُ؟ قال: «**خَمساً واثْنَتَين**»، قالَ: قُلْتُ: وما خمساً واثْنَتَيْن؟ قال: «**لا أدري**» أخرجه أبو يعلى [«مجمع الزوائد **٣١٨/٧**]، وفيه المُرَجَّىٰ بْنُ رَجَاءٍ، وثَّقَهُ أبو زُرْعَة، وضعَّفه ابن معين، وبقيةُ رجالِهِ ثقاتٌ؛ قاله الشوكاني. قلتُ: وفيه بَشِيرُ بنُ نَهِيكَ، قال فيه أبو حاتم: لا يُحْتَجُّ به؛ لكن احتجَّ به الشَّيْخان، ووثَّقه الناس، ولم يَلْتَفِتُوا إلى قَوْلِ أبي حاتَم فيه، نعم فيه المُرَجَّى بن رَجَاء اليشكري مختلفٌ فيه، قال أبو زرعة: ثِقَةٌ، وقال ابن مَعِين: ضعيفٌ، وقال أبو داود مَرَّةً: صالح، ومرّةً: ضعيفٌ؛ وعلَّقَ له البخاري في «صحيحه» حديثاً واحداً.

وعنه أيضاً، قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ غَنيمَةَ كَلْبٍ**» أخرجه أحمد [رقم: **٨٤٥٥**]، وفي إسْنادِهِ ابنُ لَهِيعَة، وهو لَيِّنٌ.

وعنه أيضاً، قالَ: ذكَرَ رسولُ الله ﷺ المَهْدِيّ، فقالَ: «**يَكُونُ في أُمَّتي المَهْدِيُّ، إنْ قَصرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَثَمانٍ، وَإِلا فَتِسْعٌ؛ يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطاً، كما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً**» رواه البَزّار [«مجمع الزوائد» **٣١٧/٧**] ورجالُهُ ثقاتٌ؛ قاله الشوكاني.

وعنه أيضاً كالذي قَبْلَهُ، وزادَ فيه: «**تَنْعَمُ أُمَّتِي فِيهَا نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا، يُرْسِلُ السَّماءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً، وَلا تَدَّخِرُ الأَرْضُ شَيْئاً مِنَ النَّباتِ، وَالمالُ كُدُوسٌ؛ يَقومُ الرَّجُلُ يَقولُ: يَا مَهْدِي أعْطِني! فَيَقُولُ: خُذْ**» أخرجَهُ الطُّبرانيَ في «الأَوْسَطِ»، والبزَّار في «مسنده» [«مجمع

الزوائد» ٣١٧/٧]، قال الشّوكانيّ: ورجالُهُ ثقات. انتهى.

أقول: قالَ الطَّبراني والبَزَّار: تفرَّد به محمد بن مروان العِجْلِي، زاد البزّارُ: ولا نَعْلَمُ أنَّهُ تابَعَه عليه أحَدٌ، وهو وَإِنْ وثَّقَهَ أبو داود وابنُ حِبّان أيضاً لما ذَكَرَه في «الثقات»، وقال فيه ابن مَعِين: صالح، وقال مَرَّةً: لَيْسَ به بأسٌ، فقد اخْتَلَفُوا فيه، وقال أبو زُرْعَة: ليس عندي بذاك، وقال عبدالله بن أحمد ابن حَنْبل: رأيتُ العِجْليَّ حَدَّثَ بأحاديث وأنا شاهِدٌ لم نَكْتُبْها، تَركْتُها على عَمْدٍ، وكَتَبَ بَعْضُ أصحابِنَا عَنْه؛ كأنَّهُ ضَعَّفَهُ.

وعَنْه أيضاً بلَفْظِ: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلَّا لَيلَةً لَطَوَّلَ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيلة حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»** أخرجه الدَّيْلَمِيُّ [بل الترمذي، رقم: ٢٢٣١؛ وأبو داود، رقم: ٤٢٨٢].

وعنه أيضاً بلَفظ: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: السُّفْيَانِيُّ، في عُمْقِ دِمَشْقَ، وَعَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ كَلْب، فَيَقْتِلُ حَتَّىٰ يَبْقُرَ البُطونَ، وَيَقْتِلَ الصِّبْيانَ، فَتَجْمَعُ لَهُمْ قَيسٌ، فَيَقْتُلُها، حَتَّى لا يَمْنَعَ ذَنَبَ تَلْعَةٍ؛ وَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتي في الحَرَّةِ، فَيَبْلُغُ السُّفْيانِيَّ، فَيَبْعَثُ إلَيْهِ جُنْداً مِنْ جُنْدِهِ، فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ، حَتَّىٰ إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِ، فلا يَنْجُو مِنْهُمْ إلَّا المُخْبِرُ عَنْهُمْ»** أخرجه الحاكم في «المستدرك» [٥٢٠/٤، رقم: ٨٥٨٦].

وعن ابن مَسْعودٍ رَضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَخْرُجُ في آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، يَسْقِيهُ اللَّهُ الغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَباتَها، وَيُعْطِي المالَ صِحاحاً، وَتَكْثُرُ الماشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعاً أَوْ ثمانِيَةً»** ـ يعني حِجَجاً ـ أخرجَهُ الحاكمُ في «المستدرك»

[٥٥٨/٤، رقم: ٨٦٧٣] ومن طريق سليمان بن عُيَيْنة عن أبي الصِّدِّيق النّاجِي، ورواه عن أبي سعيد الخدري أيضاً، وقالَ: حديثٌ صحيحُ الإسْنادِ، ولم يخرِّجاهُ مع أنّ سُلَيْمان لم يخرج لَهُ أحدٌ من السِّتَّة، لكن ذَكَرَهُ ابنُ حِبّان في «الثقات»، ولم يروِ أن أحداً تكلَّمَ فيه.

وعن جابرِ بْنِ عَبْدِالله رَضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَكونُ في أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثُو المَالَ فِي النَّاسِ حَثْياً لا يَعُدُّهُ»** أخرَجَهُ الدَّارَقُطْنيَّ، [«مجمع الزوائد»، رقم: ١٢٤٠٧، ٣١٩/٧] قال الشوكاني: رجالُهُ رجالُ الصَّحِيحِ، انتهى. وأصلُهَ في صَحيح مُسْلم [رقم: ٢٩١٣] بلفظ: **«في آخِرِ أُمَّتِي...»**.

وعن طَلْحَة بن عُبَيْدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: **«سَتَكُونُ فِتْنَةٌ لا يَسْكُنُ عَنْها جَانِبٌ إلا تَشَاجَرَ جَانِبٌ حَتَّىٰ يُنَادِيَ مُنَادِي مِنَ السَّماءِ: أَمِيرُكُمْ فُلانٌ»** أخرجه الطبراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد» ٣١٩/٧]، وفيه المُثَنَّىٰ بن الصَّبَّاحِ، وهو متروكٌ وضعيفٌ جِدّاً، ووثَّقَهُ ابن مَعِينٍ في روايةٍ، وضَعَّفه أيضاً.

وليس في الحديثِ تصريحٌ بذِكْرِ المَهْدِي، وإنما ذَكَرُوه في أبوابه، وتَرْجَمْتُهُ اسْتِئناساً.

وعن عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَمِنّا المَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: **«بَلْ مِنَّا، بِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ كَمَا بِنَا فَتَحَ اللَّهُ، وَبِنَا يُسْتَنْقَذُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وَبِنَا يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلوبِهِمْ بَعْدَ عَداوةِ بيِّنَةٍ كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِهِمْ بَعْدَ عَداوَةِ الشِّرْكِ»**، قال عليٌّ: أَمُؤْمِنُونَ أَمْ كافِرونَ؟ قال: **«مَفْتُونٌ وَكافِرٌ»** أخرجَه الطبراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد» ٣١٩/٧]، وفيه ابن لَهِيعَة، وهو ضعيفٌ معروفُ

الحال، وفيه عَمْرو بن جابر الحَضْرَميّ، وهو أضْعفُ منه.

وقال الشَّوْكاني: هو كَذّاب؛ وقال أحمد: رَوَى عن جابر مناكير، وبلغني أنَّه كان يكذب؛ وقال النّسائي: ليس بثقة؛ وقال: كان ابنُ لَهِيعة شيخاً أحمق ضعيفَ العَقْل، وكان يقول: عليٌّ في السَّحاب، وكان يجلس معنا فيبصر سحابة، فيقول: هذا عليٌّ قد مَرَّ في السَّحابِ.

وعنه أيضاً، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**تَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ فِتْنَةٌ، يَحْصُلُ النَّاسُ فِيها، كما يَحْصُلُ الذَّهَبُ في المَعْدَنِ، فلا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، وَلَكِنْ سُبُّوا أَشْرَارَهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الأَبْدَالَ، يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَىٰ أَهْلِ الشَّامِ سَيْبٌ مِنَ السَّماءِ فَيُفَرِّقُ جَماعَتَهُمْ، حَتَّى لَوْ قَاتَلَتْهُمُ الثَّعالِبُ غَلَبَتْهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتي في ثَلاثِ راياتٍ، المُكَثِّرُ يَقُولُ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً، والمُقَلِّلُ يَقولُ: اثْنَا عَشَرَ؛ أَمارَتُهُمْ: أَمِتْ أَمِتْ، يلقون سَبعَ راياتٍ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ رَجُلٌ يَطْلُبُ المُلْكَ، فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً، وَيَرُدُّ اللَّهُ إلىٰ المُسْلِمِينَ أُلْفَتَهُمْ وَنَعِيمَهُمْ وَقَاصِيهِمْ وَدَانِيهِمْ**» أخرجه الطَّبَراني في «الأوسط» [«مجمع الزوائد» ٧/٣٢٠] وفيه ابن لَهِيعَة، وهو ضعيفٌ. قال الشَّوْكاني: وَبَقِيَّةُ رجالِهِ ثقاتٌ، انتهى. ورواه الحاكم في «المُسْتَدْرَكِ» [٤/٥٥٣، رقم: ٨٦٥٨]، وقال: صحيحُ الإسناد، ولم يُخَرِّجاه، وفي رواية: «**ثُمَّ يَظْهَرَ الهاشِمِيُّ، فَيَرُدُّ اللَّهُ النَّاسُ إلى أُلْفتِهِمْ**» وليسَ في هذا الطريق ابْنُ لَهِيعَةَ، وهو إسنادٌ صَحيحٌ كما ذَكَر.

وعنه أيضاً من روايةِ أبي الطُّفَيْل، عن محمد بن الحَنَفِيَّة، قالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ المَهْدِي، فقالَ عَلِيٌّ:

هَيْهات؛ ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعاً، فَقالَ: ذَلِكَ يَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ، إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ! اللَّهُ! قُتِلَ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْماً قَزَعاً كقَزَعِ السَّحاب، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فلا يَسْتَوْحِشُونَ إِلىٰ أَحَدٍ، وَلا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ، عِدَّتَهُمْ عَلَىٰ عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الأَوَّلُونَ وَلا يُدْرِكُهُمُ الآخِرُونَ، وَعَلَىٰ عَدَدِ أَصْحابِ طالوت الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ؛ قَالَ أبو الطُّفَيْل: قالَ ابْنُ الحَنَفِيَّةِ: أَتُرِيدُهُ؟ قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَذَيْنِ الأَخْشَبَيْنِ، قُلْتُ: لا جَرَمَ وَاللَّهِ لا أَدَعُهَا حَتَّىٰ أَمُوتُ؛ وَماتَ بِهَا. يَعْني: مَكَّة. أَخْرَجَه الحاكِمُ في «المُسْتَدْرك» [٥٥٤/٤، رقم: ٨٦٥٩] وقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. انتهى.

وَإِنَّما هُوَ عَلى شَرْطِ مُسْلم فَقَطْ، فَإِنَّ فِيهِ عَمّار الدُّهْنِي ويونس ابن أبي إسحاق، ولم يُخَرِّج لهما البخاري، وفيه عَمْرو بن محمد العبقري، ولم يخرج له البخاري احتجاجاً، بل اسْتِشْهاداً؛ ومع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الدُّهنِي، وهو وَإِنْ وثَّقَهُ أحمد وابن مَعِين وأبو حاتم والنَّسائي وغيرُهم، فقد قال علي بن المَدِيني عن سُفيانَ، أنَّ بشْر ابن مروان قَطَع عرْقوبَيْه، قلتُ: في أي شَيْءٍ؟ قال: في التَّشَيُّعِ.

وعن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عنهما، قال: كانَ رسول الله ﷺ جالِساً في نَفَرٍ من المُهاجِرين والأنصار، وعليُّ ابنُ أبي طالب عن يَسارِهِ، والعَبّاسُ عَنْ يَمينِهِ، إِذْ تَلاقَىٰ العباسُ ورَجُلٌ من الأنصار، فَأَغْلَظَ الأَنْصارِيُّ للعَبَّاسِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ العبَّاسِ وبيد عليّ، فقالَ: **«سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا فَتَىٰ يَمْلأُ الأَرْضَ جَوْراً وظُلْماً، وسَيَخْرُجُ مِن**

صُلْبِ هذا فَتَى يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ بالفَتَىٰ التَّمِيمِيِّ، فَإِنَّهُ يُقْبِلُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ المَهْدِي» أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفيه ابن لَهِيعَة، وعبدالله بن عمر العَمِّي، وهما ضَعِيفان. قال الهَيْثَمي في «مجمع الزوائد» [٣١٧/٧]: ولكن الحديث مُنْكَرٌ، فإن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ يستَقْبِلُ أحداً في وجْهِهِ شيئاً يَكْرَهُهُ، وخاصّةً عَمُّه العباس الذي قال فيه: **«إنَّه صِنْوُ أَبِيهِ»** [مسلم، رقم: ٩٨٣؛ الترمذي، رقم: ٣٧٦١؛ أبو داود، رقم: ١٦٢٣].

وعن أبي سَعِيدٍ رَضِيَ الله عنه، بلفظ: **«إنَّ في أُمَّتِي المَهْدِي يَخْرُجُ وَيَعِيشُ خَمْساً أَوْ سَبْعاً أَوْ تِسْعاً. فَيَجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُ! أَعْطِنِي! أَعْطِنِي! فَيَحْثِي لَهُ في ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»** أخرجه الترمذي [رقم: ٢٢٣٢]، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ. وقد رُوِيَ من غير وجْهٍ عن أبي سَعِيدٍ، عَنِ النبي ﷺ؛ وأخْرَجَه ابنُ ماجه [رقم: ٤٠٨٣] والحاكم [٥٥٨/٤، رقم: ٨٦٧٥] من طريق زَيْد العَميِّ عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي.

وعن الحُسَيْنِ رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال لِفاطِمَةَ رَضِيَ الله عنها: **«أَبْشِرِي!! المَهْدِيَّ مِنْكِ»** [رواه ابن عساكر كما قال السيوطي في «الحاوي» ١٣٧/٢]. ذكرَهُ في «كنز العمال» [رقم: ٣٤٢٠٨]، وقال: فيه موسَىٰ بن محمد البَلْقاوي عن الوليد بن محمد المُوَقَّرِي؛ وهما كَذَّابان.

وعن حُذَيْفة بلَفْظ: **«المَهْدِي رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي، وَجْهُهُ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ»** أخرجه الروياني [«الحاوي» للسيوطي ١٣٧/٢].

وعن الصَّدَفِي بلَفْظ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ، وَمِنْ بَعْدِ الخُلَفَاءِ أُمَرَاءُ، وَمِنْ بَعْدِ الأُمَرَاءِ مُلوكٌ، وَمِنْ بَعْدِ المُلُوكِ جَبابِرَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا كَما مُلِئَتْ جَوْراً، يُؤَمَّرُ بَعْدَهُ القَحْطَانِي، فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا هُوَ بِدُونِهِ**» أخرجه الطّبرَانِي في «الكبير» [«مجمع الزوائد»، رقم: **١٢١٥٧**].

وعن ابن عَبّاسٍ بلَفْظِ: «**لَنْ تَهْلَكَ أُمَّةٌ أَنا في أَوَّلِها، وَعِيسَىٰ ابنُ مَرْيَمَ في آخِرِهَا، وَالمَهْدِي في أَوْسَطِها**» أخرجه أبو نُعَيم في «أخبار المهدي» [«كنزالعمال»، رقم: **٣٨٦٧١**].

وعن أبي سعيد بلفظ: «**مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ**» أخرجه أبو نُعَيْم في كتاب «المهدي» [«كنز العمال»، رقم: **٨٢٦٢**].

وعن عَلِيّ ابن أبي طالِبٍ بلَفْظ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إلا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُهَا عَدْلًا كَما مُلِئَتْ جَوْراً**» أخرجه أحمد في «المسند» [رقم: **٧٧٥**] وأبو داود في «السنن» [رقم: **٤٢٨٣**]، وفيه فِطْرُ بن خَلِيفة، وإنْ وثَّقَه أحمد ويحيى بن القَطّان وابن مَعِين والنَّسائي وغيرُهم، إلا أن العِجْلي قال: حَسَنُ الحديث، وفيه تَشَيُّعٌ قليلٌ؛ وقال ابن مَعِين مرَّةً: ثقة شِيعيّ. وقال أحمد بن عبدالله بن يونس: كنا نمر على فِطْرٍ وهو مطروحٌ لا نَكْتُبُ عنه. وقال مَرَّة: كنتُ أَمُرُّ به وأدَعُهُ مثل الكَلْب. وقال الدَّارَقُطْني: لا يُحْتَجُّ به؛ وقال أبو بكر ابن عَيّاش: ما تركتُ الرِّوايَةَ عَنْهُ إلا لِسُوءِ دِينه. وقال الجُرْجاني: زائِغٌ غيرُ ثِقَةٍ.

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَخْلِينَ الرُّومُ عَلَىٰ وَالٍ مِنْ عِتْرَتِي، يُوَاطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي، فَيَقْتَتِلُونَ**

بِمَكانٍ يُقالُ لَهُ: العماق[1]، فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُقْتَلُ مِنَ المُسْلِمِينَ الثُّلُثُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثم يَقْتَتِلُونَ اليَوْمَ الآخَرَ، فَيُقْتَلُ مِنَ المُسْلِمِينَ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، فَيَكُرُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ الرُّومِ، فَلا يَزَالُونَ حَتَّى يَفْتَحُونَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ فِيها بِالأَتْراسِ، إِذْ أَتاهُمْ صَارِخٌ أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَكُمْ في ذَرارِيكُمْ» أَخْرَجَهُ الخطيبُ في «المتفق والمفترق» [«كنز العمال»، رقم: ٣٩٦٥٦].

وعنه أيضاً بلَفْظ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لنا الآخِرَةَ عَلَىٰ الدُّنْيا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقُونَ مِنْ بَعْدِي بَلاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَعَهُمْ رَاياتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فلا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقاتِلُونَ، فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، فَلا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوها إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُواطِي اسْمُهُ اسْمي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبي، فَيَمْلِكُ الأَرْضَ، فَيَمْلأُها قِسْطاً وَعَدْلَاً، كَما مَلأَها جَوْراً وَظُلْماً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ أَعْقابِكُمْ، فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ» أخرجَه ابن ماجه [رقم: ٤٠٨٢] والحاكم في «المستدرك» [٤/٤٦٤، رقم: ٨٤٣٤]، هكَذَا ذَكَرَهُ الشَّوكاني في «التوضيح»، وأوردَهُ ابن خَلْدُونٍ في كتابه «العِبَر» من حديث ابن مَسْعود، عن طريقَ يزيد ابن أبي زيادٍ، عن إبراهيم، عَنْ عَلْقَمَةَ، بلفظ: قالَ: بَيْنَما نَحْنُ عنْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَني هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَرفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَىٰ فِي وَجْهِكَ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنا أَهْلُ البَيْتِ. . . إلخ»، وهذا الحديثُ يُعْرَفُ عِنْدَ المُحَدِّثين بحديثِ الرَّاياتِ، ويزيد ابن أبي زياد رَاوِيه، قال فيه شُعْبة: كان رَفّاعاً، يعني

(١) في مسلم، رقم: ٢٨٩٧: «الأَعْماق» أو «دَابِق».

يَرْفَعُ الأحاديث التي لا تُعْرَفُ مَرْفوعةً؛ وقال محمد بن الفضيل: كانَ مِن كِبار أئمَّةِ الشِّيعَةِ؛ وقال أحمد ابن حَنْبل: لم يَكُنِ الحافظَ؛ وقال مَرَّةً: حديثُهُ لَيْسَ بذاك؛ وقال يحيى بن مَعِين: ضَعِيفٌ، وقال العِجْلي: جائِزُ الحديث وكان بأَخَرَةٍ يُلقَّن؛ وقال أبو زُرْعَة: يُكْتَبُ حَدِيثُهُ، ولا يُحْتَجُّ به؛ وقال أبو حاتم: ليس بالقوي؛ وقال الجُرْجَاني: سَمِعْتُهُم يُضَعِّفون حديثَه؛ وقال أبو داود: لا أعْلَمُ أحداً تَرَكَ حديثَهُ، وغيرُهُ أحبُّ إليَّ مِنْه؛ وقال ابن عَدِيّ: هُوَ مِنْ شِيعَةِ أهْلِ الْكُوفَةِ، ومع ضَعْفِهِ يُكْتَبُ حديثُه؛ وروىٰ له مُسلِمٌ لكن مقروناً بغَيْرِه، وَبالجمْلَةِ فالأكْثَرُون على ضَعْفِهِ، وقد صَرَّحَ الأئمةُ بتَضْعيف هذا الحديثِ الذي رواه عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة، عن عبدالله بن مَسْعود؛ وهو حَديثُ الرَّاياتِ، وقال وكيع بن الجَرّاح فيه: لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ وكذلك قال أحمد، وقال أبو قُدَامَة: سَمِعْتُ أبا أسامة يقول في حديث يَزيدَ عن إبراهيم في الرَّايات: لو حَلَفَ عِنْدِي خَمْسينَ يميناً قَسامَةً ما صَدَّقْتُهُ، أهَذَا مَذْهَبُ إبراهيم؟! أهذا مَذْهَبُ عَلْقَمَة؟! أهذا مَذْهَبُ عَبْدالله؟! وأوْرَدَ العُقَيْلِي هذا الحديثَ في «الضُّعفاء». وقال الذهبي: لَيْسَ بصَحِيحٍ.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه أيضاً بلفظ: **«المَهْدِي يُوَاطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أبي»** ذكره في «كنز العمال» [رقم: ٣٨٦٧٨، ونسبه لابن عساكر].

وعن أبي أُمامَةَ بلَفْظ: **«سَيَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرُّومِ أَرْبَعُ هُدَنٍ، الرَّابِعَةُ عَلَىٰ يَدِ رَجُلٍ مِن آلِ هِرَقْلَ[1] يَدُومُ سَبْعَ سِنِينَ»** قيلَ: يا

(١) في الأصل: «هارون» بدلًا من: «هرقل».

رَسولَ اللَّهِ! مَنْ إمامُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ؟ قالَ: «**مِنْ وَلَدِي، ابْنِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، كَأَنَّ وَجْهَهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، فِي خَدِّهِ الأَيْمَنِ خَالٌ أَسْوَدُ، عَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطْوَانِيَّتَانِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَمْلِكُ عَشْرَ سِنِينَ يُخْرِجُ الكُنُوزَ، وَيَفْتَحُ مَدَائِنَ الشِّرْكِ**» أخرجه الطبراني في «الكبير» [«مجمع الزوائد» ٧/٣١٩].

وعن أبي سَعِيدٍ بلَفْظ: «**سَتَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ، مِنْها: فِتْنَةُ الأَحْلاسِ، يَكُونُ فِيهَا هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ بَعْدَها فِتَنٌ أَشَدُّ مِنْها، ثُمَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ كُلَّما قِيلَ: انْقَطَعَتْ، تَمادَتْ؛ حَتَّىٰ لا يَبْقَىٰ بَيْتٌ إِلا دَخَلَتْهُ، وَلا مُسْلِمٌ إِلا شَكَّتْهُ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي**» رواه نعيم بن حَمَّاد في «الفتن» [«كنز العمال»، رقم: ٣٨٦٨٥].

وعن عَمْرو بن شُعَيْب، عَنْ أبيه، عن جَدِّه؛ بَلَفْظ: «**فِي ذِي القِعْدَةِ تجاذب القبائِلِ، وَعَامَئِذٍ يُنْهَبُ الْحاجُّ، فَتَكُونُ مَلْحَمَةٌ بِمِنَىٰ، حَتَّىٰ يَهْرُبَ صَاحِبُهُمْ، فَيُبَايَعُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمُقَامِ، وَهُوَ كَارِهٌ، يُبَايِعُهُ مِثْلُ عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ، يَرْضَىٰ عَنْهُ سَاكِنُ السَّماءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ**» أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» [«كنز العمال»، رقم: ٣٨٦٨٦] والحاكم في «المستدرك» [٥٠٣/٤، رقم: ٨٥٣٧].

وعن ابن عَبَّاسٍ بلَفْظ: «**مِنَّا السَّفَّاحُ وَمِنَّا المَنْصُورُ وَمِنَّا المَهْدِيُّ**» أخرجه البيهقي وأبو نُعَيْم والخَطِيب [«كنز العمال»، رقم: ٣٨٦٨٧].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ بلفظ: «**مِنَّا الْقائِمُ، وَمِنَّا المَنْصُورُ، وَمِنَّا السَّفَّاحُ، وَمِنَّا المَهْدِيّ، فَأَمَّا القَائِمُ فَتَأْتِيهِ الخِلافَةُ لَمْ تُهْرَقْ فِيها مَحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، وَأَمَّا المَنْصُورُ فَلا تُدْرِكُهُ رايةٌ، وَأَمَّا السَّفَّاحُ فَهُوَ يَسْفَحُ المالَ**

وَالدَّمَ، وَأَمَّا المَهْدِيُّ فَيَمْلأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً» أخرجه الخطيب. [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٦٨٨**].

وعَنْهُ أيضاً، بلفظ: **«يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ عِنْدَ تَظاهُرِ مِنَ الفِتَنِ وَانْقِطاعِ مِنَ الزَّمَنِ، أَمِيرٌ أَوَّلُ مَا يَكُونَ عَطاؤهُ لِلنَّاسِ أَنْ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيَحْثِي لَهُ فِي حِجْرِهِ، يَهُمُّهُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صَدَقَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الفَرَحِ»** أخرجه العُقَيْلي وابن عَساكِر [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٧٠٣**].

وعن عبدالرحمن بن قيس بن جابر الصَّدَفي، وهو بلفظ حديث الصَّدَفي الْمتقَدِّم، أخرجه نعيم بن حَمّاد في «الفتن» [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٧٠٤**].

وعن شَهْر بن حَوْشَب مُرْسلاً بِنَحْوِ حديث عمرو بن شُعَيب السابق، أَخْرَجَه نَعيم بن حماد.

وعن عثمان، بلفظ: **«المَهْدِي مِنْ وَلَدِ عَبَّاسٍ عَمِّي»** أخرجه الدَّارَقُطْني في «الأَفراد» [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٦٦٣**]، والسيُوطي في «الجامع الصغير» [رقم: **٩٢٤٢**].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ، بلفظ: **«يَا عَمّ، إنَّ اللَّهَ ابْتَدَأَ الإِسْلامَ بِي وَسَيَخْتِمُهُ بِغُلَامٍ مِنْ وَلَدِكَ، وَهُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ»** أخرجه أبو نَعَيْم في «الحلية» [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٦٩٣**].

وعن عَمّار بن ياسِر بلَفْظ: **«يَا عَبَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ بي هَذَا الأَمْرَ وَسَيَخْتِمُهُ بِغُلامٍ مِنْ وَلَدِكَ يَمْلأُهَا عَدْلًا كما مُلِئَتْ جَوْراً، وَهُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»** أخرجه الدارقطني في «الأفراد»، والخطيب، وابن عساكر [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٦٩٤**].

قال الشَّوْكاني في «التوضيح» قُلْتُ: ويُمْكِنُ الجَمْعُ بين هذه الثلاثة أحاديث وبين سائر الأحاديث المتقدِّمة بأنَّهُ مِنْ وَلَدِ العَبَّاس من جِهَةِ أُمِّه، فإنْ أَمْكَنَ الجَمْعُ بهذا وَإِلا فالأحاديث أنَّهُ مِنْ وَلَدِ النبيّ ﷺ أرْجَحَ، وأما حديثُ أَنَس الذي أَخْرَجَهُ ابن ماجه [رقم: **٤٠٣٩**] والحاكم في «المستدرك» [٤/٤٤٠، رقم: **٨٣٥٩**] بلفظ: «**لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلا الدُّنْيا إِلَّا إِدْباراً، وَلا الناسُ إلا شُحّاً، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ، ولا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**» [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٦٥٦**] فيُمْكِنُ أنْ يقالَ في تأويله: لا مَهْدِيَّ كامِلٌ، ولا شَكَّ أنَّ عيسى أكْمَلُ من المَهْدِي، لأنَّهُ نَبيُّ الله.

وهذا التأويلُ مُتَحَتِّمٌ لمخالَفَةِ ظاهِرِهِ للأحاديث المتواتِرَةِ كما سَرَدْناها. انتهى.

قلتُ: حديث: «**لا مَهْدي إلا عِيسَىٰ**» أخرجه محمد بن خالد الجَنَدِي، عن أنس أيضاً، وسنده مخْتَلَفٌ عَلَيْه، وفيه راو مجهول وضَعَّفَهُ الحفّاظُ، وفيه اضطرابٌ وانْقطاعٌ كما قال الحافظ ابن القَيِّم، وأحاديث المهدي أصَحُّ إسناداً مِنْه.

وفي البابِ رِواياتٌ عن جماعَةٍ من الصَّحابة.

قال السَّفّاريني: الصَّوابُ الَّذي عَلَيْهِ أهْلُ الحَقّ أنَّ المَهْدِيَّ غَيْرُ عِيسَىٰ، وأنَّهُ يَخْرُجُ قَبْلَ نُزولِهِ عليه السلام، وقد كَثُرَتْ بخروجِهِ الرواياتُ حتى بَلَغَتْ حَدَّ التَّواتر المَعْنَويّ، وشاعَ ذلك بين علماء السُّنَّة، حتَّىٰ عُدَّ من معتقداتهم.

وعن علي بن علي الهلالي، وهو حَديثٌ طويلٍ، والذي يتعلَّقُ

بما نَحْنُ بصَدَدِهِ: «**يا فَاطِمَةُ! وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ مِنْهُمَا - يعني: الحَسَنَيْن - مَهْدِيَّ هَذِهِ الأُمَّةِ إذا صَارَتِ الدُّنْيا هَرْجاً مَرْجاً، وتظاهَرَتِ الفِتَنُ، وتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَأَغَارَ بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ، فَلا كَبِيرٌ يَرْحَمُ صَغِيراً، وَلا صَغِيرٌ يُوَقِّرُ كَبِيراً، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْهُمَا مَنْ يَفْتَحُ حُصُونَ الضَّلالَةِ وَقُلوباً غُلْفاً، يَقومُ بِالدِّينِ آخِرَ الزَّمانِ كَما قُمْتُ بِهِ أَوَّلَ الزَّمانِ، وَيَمْلأُ الدُّنْيَا عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً**» أخرجه الطبراني في «الكَبير» و «الأوْسط» بطوله [«مجمع الزوائد» ٩/٢٦١]، وفيه الهَيْثَمُ بن حبيب، قال أبو حاتم: مُنْكَرُ الحديث، وهو متهم بهذا الخبر، كذا نقلَهُ الهيثمي في «فضائل أهل البيت» من كتابه «مجمع الزوائد» [٩/٢٦١] فليُنْظَر هنالك.

وَعَن جابِرٍ، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَذَّبَ بِٱلْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ كَذَّبَ بِٱلدَّجَّالِ فَقَدْ كَذَبَ**» وَقالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلَ ذَلِكَ وَفِيمَا أَحْسَبُ. أخرجه أبو بكر ابن خيثمة في جَمْعِهِ للأحاديث الوارِدَةِ في المهدي على ما نَقَله السُّهَيْلي، ورواه أبو بكر الإسْكاف في «فوائد الأخبار» مسْتَنِداً إلى مالك بن أنس، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر؛ قال السَّفَّارِيني: وسنده مرضي. قال ابن خلدون: وحسبك هذا عُلُوّاً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بصِحَّةِ طَرِيقِهِ إلى مَالك بن أنس، على أَنَّ أبا بكر الإسْكاف عندهم مُتَّهَمٌ وَضَّاعٌ.

وعن أبي إسْحاق السُّبَيْعِي، قالَ: قالَ عليٌّ وَنَظَر إلى ابنهِ الحَسَن: إنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَما سَمَّاهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّىٰ باسْم نَبِيِّكُم، يُشْبِهُهُ في الخُلُقِ وَلا يُشْبِهُهُ فِي الْخَلْقِ يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً. أخرَجَهُ أبو داود [رقم: ٤٢٩٠] عن طريق

هارون بن المُغِيرَة، عن عمرو ابن أبي قيس، عن شعيب ابن أبي خالد، عن السُّبَيعي.

وقال هارون: حَدَّثنا عمرو ابن أبي قيس، عن مطرِّف بن طَرِيف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عَمْرو، سَمِعْتُ عَلِياً يقولُ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ من وَرَاءِ النَّهرِ، يُقالُ لَهُ: الحارِثُ، عَلَىٰ مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: مَنصُورٌ، يُوَطِّيءُ أَوْ يُمَكِّنِ لآلِ مُحَمَّدٍ كَما مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسولِ الله ﷺ، وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ ـ أَوْ قالَ: إجَابَتُهُ»**، وسكَتَ عليه أبو داود [رقم: ٤٢٩٠]، وقال في موضع آخر في هارون: هو من وَلَدِ الشيعة.

وقال سليمان: فيه نظر، وقال أبو داود في عمر ابن أبي قيس: لا بَأْسَ بِهِ، في حَدِيثه خطأ؛ وقال الذَّهبيُّ: صَدُوقٌ لَهُ أوْهام؛ وأما أبو إسحاق السُّبَيعي، وَإِنْ خُرِّجَ عَنْهُ في الصَّحيحين، فقد ثَبَتَ أَنَّه اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ، وروايته عَنْ علي مُنْقَطِعةٌ، وكذلك رواية أبي داود عن هارون بن المُغِيرَة، وأما السَّند الثاني ففيه أبو الحسن وهلال بن عمرو، وهما مجهولان، ولم يُعْرَفْ أبو الحسن إلا مِنْ رواية مطرِّف بن طَرِيف عنه. انتهى.

وعن أبي سَعيد، بلفظ: **«المَهْدِي مِنَّا أَهْلِ الْبَيْتِ، أَشَمَّ الأَنْفِ، أَقْنَىٰ، أَجْلَي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَعِيشُ هَكَذا»** ـ وبَسَطَ يَسارَهُ وَأَصْبعَيْن مِنْ يَمينِهِ: السَّبَابَةَ وَالإِبْهامَ ـ وَعَقَدَ ثلاثة. أخرجه الحاكم في «المستدرك» [٥٥٧/٤، رقم: ٨٦٧٠]، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شَرْط مُسْلمٍ، ولم يُخَرِّجاه. انتهى. وفيه عِمْران القَطَّان، عن قتادةَ، عن أبي بصرة؛ وعِمْران مخْتَلَفٌ في

الاحتجاج به، إنما أَخْرَجَ له البخُاري استشهاداً لا أصْلًا كما تَقَدَّم.

وعنه أيضاً نحو حديث أبي هُرَيْرَةَ المُتَقَدِّم الذي فيه ذِكْرُ كُدُوسٍ، أخرجه ابن ماجه [رقم: ٤٠٨٣] والحاكم [٥٥٨/٤، رقم: ٨٦٧٥] من طريق زيد العَمِّي، عن أبي الصّديق الناجِي؛ وزَيْدٌ العَمِّي وإنْ قالَ فيه الدَّارَقُطْني وأحمد وابن معين: إنَّهُ صالِح، وزاد أحمد: أنَّهُ فوقَ يَزيد الرُّقاشِي وفضل بن عيسى؛ إلا أنَّه قالَ فيه أبو حاتم: ضعيفٌ، يُكْتَبُ حديثه، ولا يُحْتَجَّ به.

وقال ابن مَعِين في روايةٍ أُخْرى: لا شيء؛ وقال الجُرْجَاني: متماسِكُ؛ وقال أبو زُرْعَة: ليس بِقَوِيٍّ، واهي الحديث، ضعيف. وقال أبو حاتِم أيضاً: لَيْسَ بذاك، وقد حَدَّثَ عَنْه شُعْبَة؛ وقال النَّسائي: ضَعيف؛ وقال ابن عَدِيّ: عامَّةُ مَنْ يَرْوِي عَنْهُمْ وما يَرْوِيه ضُعفاء، على أنَّ شُعْبَة قد روى عنه، وَلَعَلَّ شعبة لم يَرْوِ عن أضْعف مِنْه.

وعَنْه أيضاً لفظ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تُملأُ الأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ من عِتْرَتي، فَيَمْلِكُ سَبْعاً أَوْ تِسْعاً، فَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطاً كما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلماً**» أخرجه الحاكم [٥٥٨/٤، رقم: ٨٦٧٤؛ وأحمد في «المسند»، رقم: ١٠٧٧٩ و١٠٧٤٦ و١٠٨٢٨ و١٠٨٣٩ و١٠٩٢٠ و١٠٩٣٣ و١١٠٩٢ و١١٢٦٨]، وقال: صَحيحٌ على شَرْطِ مُسْلم؛ وَإنَّما جَعَلَهُ على شَرْطِ مُسْلم، لأَنَّهُ أخَرَجَه عن حَمّاد بن سلمة عن شَيْخِه مطر الوَرَّاق، وأما شَيْخُه الآخر وهو أبو هارون العَبْدِي فلم يُخَرِّجْ له، وهو ضعيفٌ جدّاً مُتَّهَمٌ بالكَذِب، ولا حاجَةَ إلى بَسْطِ القولَ عن الأئمَةِ في تضعيفِهِ. وأمَّا الراوي لَه عن حَمّاد بن سَلَمة وهو أَسَد بن مُوسَى، يُلقَّبُ: أَسد السنة؛ وَإنْ قالَ

البخاري: مَشْهورُ الحديث؛ واسْتَشْهدَ به في «صحيحه»، واحتجَّ به أبو داود والنّسائي؛ إلا أنَّهُ قالَ مَرَّةً أُخْرَى: ثِقَةٌ، لَوْ لَمْ يصنِّف كانَ خَيْراً له، وقال فيه محمد ابن حَزْم: مُنْكَرُ الحديث.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «**نَحْنُ وَلَدُ عَبْدِالْمُطَلِّب، سَاداتُ أَهْلِ الْجَنّةِ، أَنا وَحَمْزَةُ وَعَليٌّ وَجَعْفَرٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالمَهْدِيُّ**» أخرجه ابن ماجه [رقم: ٤٠٨٧] من طريق سَعْد بن عبدالحميد بن جَعْفر، عن علي بن زيادٍ اليَمَامي، عن عِكْرِمَة بن عَمّار، عن إسحاق بن عبدالله، عن أنس؛ وعِكْرِمَة بن عَمّار، وإن أَخْرَجَ له مُسْلمٌ فإنّما أخْرَجَ له متابَعةً، وقد ضَعَّفَهُ بَعْضٌ ووثَّقَهُ آخرون. وَقال أبو حاتم الرَّازي: هو مُدَلِّسٌ، فلا يُقْبَلُ إلا أنْ يُصَرِّحَ بالسَّماع. وَعليٌّ بن زيادٍ، قال الذَّهبي في «الميزان»: لا نَدْري مَنْ هُوَ؟ ثُمَّ قالَ: الصَّوابُ فيه: عبدالله بن زِياد. وسعد بن عبدالحميد، وإن وثقَه يعقوب ابن أبي شَيْبَة، وقال فيه ابن مَعِين: لَيس به بأسٌ؛ فَقَد تَكلَّم فيه الثَّورِيُّ، قالوا: لأَنَّهُ رَآه يُفْتي في مسائل ويُخْطِئُ فيها؛ وقال ابن حِبّان: كانَ مِمّنَ فَحُشَ خَطَأُهُ، فلا يُحْتَجُّ به؛ وقال أحمد: سَعْدُ يَدَّعي أَنَّهُ سَمِعَ عَرْضَ كُتُبِ مالك، والنَّاسُ يُنْكِرونَ عليه ذلك؛ وهو هَاهُنا بِبَغْداد لم يَحُجّ، فكَيْفَ سَمِعَها؟ وجَعَلَهُ الذَّهبيُّ ممَّنْ لَمْ يَقْدَح فيه كلامُ مَنْ تكلَّمَ فيه.

وعن ابن عَبّاس مَوْقوفاً عَلَيْهِ، قالَ مجاهِدٌ: قال لي ابنُ عَبَّاس: لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْل أهْلِ البَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بهذا الحديث، قالَ: فَقَالَ مجاهِدٌ: فإنَّهُ في سِتْرٍ لا أذْكُرُهُ لِمَنْ يَكْرَهُ؛ قال: فقال ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنَّا أَهْلُ البَيْتِ أَرْبَعَةٌ: مِنَّا السَّفَّاحُ، وَمِنَّا المُنْذِرُ، وَمِنَّا المَنْصُورُ، وَمِنَّا

المَهْدِيُّ؛ قالَ: فَقالَ مجاهِدٌ: بَيِّنْ لي هَؤلاء الأَرْبَعَة؟ فقالَ ابنُ عَبَّاس: أَمَّا السَّفَّاحُ، فَرُبَّمَا قَتَلَ أنصارَهُ وَعفَا عَنْ عَدُوِّهِ؛ وَأَمَّا المُنْذِرُ، أَراهُ قالَ: فَإِنَّهُ يُعْطِي المالَ الْكَثِيرَ، وَلا يَتَعاظَمُ فِي نَفْسِهِ، وَيُمْسِكُ القَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ؛ وَأَمَّا المَنْصُورُ فَإِنَّهُ يُعْطَىٰ النَّصْرُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ الشَّطْرَ مِمَّا كانَ يُعْطَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ويَرْهَبُ[1] مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ، وَالمَنْصُورُ يَرْهَبُ[1] مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَىٰ مَسِيرَةِ شَهْرٍ؛ وَأَمَّا المَهْدِيُّ، فَالَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً، وَتَأْمَنُ البَهائِمُ وَالسِّباعُ، وَتُلْقى الأَرْضُ أفلاذَ أكْبادِها؛ قالَ: قُلْتُ: وَمَا أَفْلاذُ أَكْبادِها؟ قَالَ: أَمْثالُ الأُسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. أخرجه الحاكم في «المُسْتَدْرَك» [٥١٤/٤]، وقال: صَحِيحُ الإسْنادِ ولم يُخَرِّجاه، وهو من رِوَايَةِ إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجِر، عن أبيه؛ وإسماعيلُ ضَعِيفٌ، وإبراهيمُ أبوه، وإن خَرَّجَ له مُسْلِمٌ، فالأكثَرون على تَضْعِيفِهِ.

وعن جعفر [بن زين العابدين علي بن الحسين]، عن أبيه، عن جَدِّه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَبْشِرُوا! أَبْشِرُوا! إِنَّمَا مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْغَيْثِ، لا يُدْرَىٰ آخِرُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوَّلُهُ، أَوْ كَحَدِيقَةٍ أُطْعِمَ مِنْهَا فَوْجٌ عاماً، ثُمَّ أُطْعِمَ مِنْهَا فَوْجٌ عاماً، لَعَلَّ آخِرَها فَوْجاً أَنْ يَكُونَ أَعْرَضَهَا عَرْضاً، وَأَعْمَقَها عُمْقاً، وَأَحْسَنَها حُسْناً؛ كَيفَ تَهْلَكُ أُمَّةٌ أَنا أَوَّلُها، وَالْمَهْدِي وَسَطُها، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ آخِرُها؟ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ فَيْجٌ أَعْوَجُ، لَيْسُوا مِنِّي وَلا أَنَا مِنْهُمْ»** أَخْرَجَهُ رَزِين وأبو نُعَيْم. [«مشكاة المصابيح»، رقم: ٦٢٧٨].

وعن ثَوْبانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) عند الحاكم: «يرعب» بدلًا من: «يرهب».

«**إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّاياتِ السُّودَ قد جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةُ اللَّهِ المَهْدِيُّ**» رواه أحمد [رقم: **٣١٨٨٢**] والبيهقي في «دلائل النبوة» [٥١٦/٦]، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ، وتقدَّمَ نحوه عن ثوبان مُطَوَّلًا برواية ابن ماجة.

وعن بُرَيْدَة، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَتَكُونُ بَعْدِي بُعُوثٌ كَثِيرَةٌ، فَكُونُوا في بَعْثِ خُرَاسَانَ**» رواه ابن عدي وابن عساكر والسيوطي في «الجامع الصغير» [رقم: **٤٧٧٤**] وليس فيه ذكر المهدي.

وعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ راياتٌ سُودٌ، لا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّىٰ تُنْصَبَ بِإِيلِيَّاءَ**» رواه الترمذي [رقم: **٢٢٦٩**]، وحَمَلَهُ بَعْضُ عُلماء الهِنْدِ من أهل المَشْرِقِ عَلىٰ المَهْدِي الأَوْسَطِ، ثُمَّ حَمَلَهُ علىٰ السِّيِّد أحمد البريلوَي، لأَنَّهُ جاهَدَ في الناحية الغَرْبِيَّةِ من الهِنْد، وجاءَتْ راياتُهُ مِنْ قِبَلِ خُراسان، وفي هذا الاستدلال نَظَرٌ واضِحٌ، بل لَيْس عليه أَثارَةٌ من عِلْمٍ، والسَّيِد قَدْ غزَا واستَشْهد فَرحِمَهُ اللَّهُ تعالى، ولم يَدَّعِ المَهْدَوِية.

قال السَّفَّارِيني: إنَّ الواجِبَ اعتقاده مِنْ ذلك ما دَلَّتْ عَلَيْهِ الأَخْبار الصَّحِيحة، وَالآثارُ الصَّرِيحَةُ مِنْ وُجودِ المَهْدِي المُنْتَظَرِ الذي يَخْرُجُ الدَّجَّال ويَنْزِلُ عِيسى عليه السلام في زَمانِهِ، وَهُوَ المُرادُ حَيْثُ أُطْلِقَ المَهْدِي، وأَمَّا المَذْكُورونَ قَبْلَهُ فلم يصحّ فِيهِم شَيْءٌ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ فَأُمَرَاءٌ صَالِحُونَ، لَكِنْ لَيْسوا مثْله، فهو آخِرُهُم في الوُجودِ، وإمامُهُم وخَيْرُهم وأَفْضَلُهُم في الحقيقة. والمرادُ غير عيسى ابن مَرْيَم، فإِنَّهُ رَسولٌ كَرِيمٌ مِنْ أُوْلِي العَزْمِ، وهو آيَةٌ وعلامَةٌ وحْده، فيَجِبُ الإيمانُ بخُروج المَهْدِي ونزولِهِ وخروجِ الدجال اللَّعين، انتهى.

وهذا القَوْلُ صَريحٌ في نَفْي المَهْدِيين قَبْل المَهْدِي المَوْعُود، وأنَّ مَنِ ادَّعىٰ ذلك فإنَّهُ دَعْوَى لا تصحّ، ولا توافِقُه الأدِلَّةُ؛ واللَّهُ أعلم.

وعن أبي سَعيدِ الخُدْرِي، قالَ: ذَكَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بلاءً يُصِيبُ هذه الأمّة «**حتى لا يَجِدُ الرَّجُلُ مَلْجأً يَلْجَأُ إلَيْهِ مِنَ الظُّلْم، فَيَبْعَثُ اللَّهُ رَجُلًا مِن عِتْرَتِي وأهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرْضَىٰ عَنْهُ ساكِنُ السَّماءِ وسَاكِنُ الأَرْضِ، لا تَدَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِها شَيْئاً إلَّا صَبَّتْهُ، وَلا تَدَعُ الأَرْضُ مِنْ نباتِهَا شَيْئاً إلَّا أَخْرَجَتْهُ، حَتَّى يَتَمَنَّى الأَحْياءُ الأَمْوَاتَ، يَعِيشُ في ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ**» أخْرَجَه الحاكم في «المستدرك» [٤٦٥/٤] وصَحَّحه، وقَدْ تَقدَّمَ نحوه، قال القُرْطُبي: ويُرْوَىٰ هذا من غَيْرِ وَجْهٍ عن أبي سَعيد الخُدْري.

وعن عائِشَةَ رَضِي الله عنها، قالَتْ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْعَجَبُ إنَّ أُناساً مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ؛ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلِكاً وَاحِداً، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّىٰ، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلىٰ نِيَّاتِهِمْ**» رواه مسلم [رقم: ٢٨٨٤] ولَيْسَ في ذَلِكَ تَصْرِيحٌ بالمَهْدِي.

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**» قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا! إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**» رواه مسلم [رقم: ١٥٦]. وَلَيْسَ فيه أَيْضاً ذِكْرُ المَهْدِي، ولَكِنْ لا مَحْمَلَ لَهُ ولأَمْثالِهِ من الأحاديث إلا

المَهْدِي المُنْتَظَر، لما دَلَّتْ عَلىٰ ذَلِكَ الأخبارُ المُتَقَدِّمَةُ والآثارُ الكثيرَةُ.

❀ ❀ ❀

هذه جملةُ الأحاديثِ التي خرَّجها الأئمة في شأن المَهْدي، وهي كما رأيتَ يقوِّي بعضُها بعضاً، وفيه ثمانية وعشرون أثراً عن الصحابة الكبار عند أهل العلم بالحديث، ومثلُه لا يُقالُ بالرَّأْي.

وقد امتلأَتْ كُتُبُ المتأخِّرين من المتصوّفة والمشايخ في أمر الفاطِمِيّ المُنْتَظَر، ولم يَكُنِ المتقدِّمون منهم يخوضُون في شيء من هذا، إنَّما كان كلامُهم في المجاهدة بالأعمال، وما يحصل منها من نتائج المواجد والأحوال، حتى أَكْثَرَ القولَ فيه وفي شأنه كلِّه ابن العربي الحاتمي في كتاب «عَنْقَاءُ مُغْرِب»، و[أحمد بن الحسين أبو القاسم ابن قَسِيّ][1] في كتاب «خلع النعلين»، وعبدالحق ابن سَبْعِين وابن أُبَيّ[؟]، وأطال تلميذه في شرحه لكِتاب «خلع النعلين»، وأغلبُ كلماتِهم في شأنه ألغازٌ وأمثالٌ، وربَّما يصرِّحون في الأقلّ، أو يصرح مفسرو كلامِهِم، وكأَنَّهُ كلَّهُ مبنيٌّ على أصول واهية، وربَّما يستدلُّ بعضُهُم بكلام المنجِّمين في القِرَانات، وهو من نوعِ الكلام في الملاحِم ومذاهب الصوفية، وأقوالهُمْ لَيْسَت من غَرَضِنا في هذا الكتاب ولا في غيره، فإنَّا لا نتمسَّك في الدين إلا بالقرآن والحديث، ولا نَدِينُ اللّهَ إلاّ بهما.

---

(١) في الأصل ابن أبي، ولعل الصواب الذي أثبتناه؛ راجع «الأعلام» للزرِكْلي ١١٦/١ حيث يستظهر أن المؤلف هو ابن قَسِيّ وشارحه هو ابن عربي؛ هذا وابن عربي لم يجتمع بابن قَسِيّ وإنّما اجتمع بابنه سنة ٥٩٠هـ، توفي ابن قَسِيّ سنة ٥٤٦هـ. راجع «مؤلفات ابن عربي» د.عثمان يحيى، النسخة العربية صفحة ٣٠٥ وصفحة ٣٩١ ـ ٣٩٣.

وقد بَسَطَ القولَ في ذلك القاضي ابن خلدون في كتابه «العبر» وردّ عَلَيْهم في هذا ردّاً مُشْبَعاً، ثم قال: والحقُّ الذي يَنْبَغِي أن يتقرَّر لديك أنَّه لا يتمّ دعوةٌ من الدين والمُلْك إلا بوجود شَوْكَةِ عصبيةٍ تظهرُهُ وتدافعُ عنه حتى يتمَّ أمرُ الله، وقد قرَّرْنا ذلك من قَبْلُ بالبراهين القطعية التي أَرَيْناك هناك؛ وعصبية الفاطميين، بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووُجِدَ أُمَمٌ آخرون قد اسْتَغْلَتْ عصبيتُهم على عصبية قريش، إلاَّ ما بقي بالحجاز في مكّة، وينبغ بالمدينة من الطالبيين من بني حَسَن، وبني حُسين، وبني جَعفر؛ منتشرون في تلك البلاد، وغالبون عليها، وهم عصائب بَدَوِيّة متفرِّقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم، يبلغون آلافاً من الكَثْرَة؛ فإنْ صَحّ ظهورُ هذا المهدي، فلا وَجْهَ لظهور دعوتِهِ إلا بأنْ يكونَ منهم، ويؤلِّفَ اللَّهُ بين قلوبهم في أتباعه حتى تتمَّ لَهُ شوكةٌ وعصبيةٌ وافيةٌ بإظهار كلمته وحَمْل الناس عليها؛ وأمَّا على غير هذا الوجه، مثل أن يدعو فاطِميٌّ منهم إلى مثل هذا الأمر في أُفُقٍ من الآفاق من غير عَصَبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهْل البيت، فلا يتمُّ ذلك، ولا يُمْكِنُ لما أسْلَفْناه من البراهين الصحيحة، انتهى.

أقول: لا شك في أنَّ المَهْدِي يخْرُجُ في آخِرِ الزمان من غير تَعيين لِشَهْرٍ وعام، لِمَا تَواتَرَ من الأخبار في الباب، واتَّفَقَ عليه جمهورُ الأمّة سَلَفاً عن خَلَفٍ، إلا من لا يُعْتَدُّ بِخِلافِهِ.

وليس القولُ بظهورِهِ بناءً على أقوال الصوفية ومكاشفاتهم، أو أهل التنجيم، أو الرأي المجرّد، بل إنما قَالَ به أهْلُ العِلْم لِوُرودِ الأحاديثِ الجمَّةِ في ذلك، فقول ابن خلدون: فَإنْ صَحَّ ظُهورُه، لا

يَخْلُو عن مُسامَحَةٍ ونَوْعِ إنكارٍ من خروجِهِ، وتلك الأحاديث وارِدَةٌ عَلَيْه، وليسَتْ بدونِ من الأحاديثِ التي ثَبَتَتْ بها الأحكامُ الكثيرةُ المعْمولُ بها في الإسلام، وما ذُكِرَ من جَرْحِ الرُّواةِ وتعديلِهِم يَجْري في رجال الأسانيد الأُخرى أيضاً بِعَيْنِهِ أو بنحو، فلا مَعْنَىٰ للرَّيْبِ في أمْرِ ذلك الفاطِمِيّ الموعود المنْتَظَر المدْلول عليه بالأَدِلَّة، بل إنكارُ ذلك جُرْأَةٌ عظيمَةٌ في مقابَلَةِ النُّصوص المسْتَفيضة المشهورة البالِغة إلى حَدِّ التواتر، وإما أنَّهُ لا تَتُمُّ شَوْكَةُ أحدٍ إلا بالعَصَبيَّةِ فَنَعمْ، ولكنَّ اللَّهَ تعالى قادِرٌ على خَرْقِ العادَةِ، ويؤيِّدُ دينَهُ كَيْفَ يَشاءُ.

وهذا الاحتمالُ وَإنْ كانَ مطابقاً لما في الخارِجِ، فلا يَصْلُحُ لأَنْ تُرَدَّ بِهِ الأحاديثُ النبويَّةُ، فهذا زَلَّةٌ صَدَرَتْ مِنِ ابْنِ خَلْدون رحمه الله تعالى، ولَيْسَتْ من التَّحْقِيق في صَدْر ولا وِرْد، فلا تَغْتَرَّ بِهِ، واعْتَقِدْ ما جاءَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وفَوِّضْ حقائِقَهُ إلَيْهِ تعالى تَكُنْ عَلى بَصِيرَةٍ من أمْرِ دينِكَ.

قال الشيخ العلامة محمد بن أحمد السَّفَّارِيني الحَنْبَلي في كتابه: «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية»: وَقَدْ رُوِيَ عَمَّنْ ذُكِرَ مِنَ الصَّحابَةِ وَغَيْرِ مَا ذُكِرَ مِنْهُم بروايَاتٍ متعدِّدةٍ، وعن التابعين وَمَنْ بَعْدَهم، ما يفيدُ مجموعُهُ العلمَ القَطْعي، فالإيمانُ بخُروجِ المَهْديّ واجِبٌ كما هو مقرَّرٌ عنْدَ أهْلِ العِلْمِ، ومدوَّنٌ في عَقائِدِ أَهْلِ السُّنَة والجماعة، ونَقَل العلامة الشيخ المَرْعيّ في كتابه «فوائد الفكر» عن محمّد بن الحسين، أنَّه قالَ: قد تواتَرَتِ الأحاديثُ، واسْتَفاضَتْ بكَثْرَةِ رواتُها عن المصطفى ﷺ بمَجيءِ المَهْدِيّ، وأنَّهُ مِنْ أهْلِ بيته ﷺ. انْتَهى.

وجُمْلَةُ القَوْلِ في المَهْدِيّ أنَّه من وَلَدِ فاطمة من أولاد الحسن عليه السلام؛ وقيل: من نسل الحُسَيْن؛ وقيل: من ولد عَبّاس؛ والأوَّلُ أصَحّ. وقال بعض حُفّاظِ الأمّة وأعْيان الأئِمّة: إنَّ كَوْنَ المَهْدي من ذُرِّيَتِهِ ﷺ مما تواتَرَ عَنْه، فلا يسوغ العُدولُ والالتفات إلى غيره.

قال ابْنُ حَجَر: يُمْكِنُ الجَمْع بأنَّ ولادَتَهُ العُظْمى من الحسن أو الحسين، وللآخَرِ فيه ولادَةٌ من جهة بَعْضِ أمَّهاتِهِ، وكذلك للعباس ولادَة أيضاً، ولا مانِعَ من اجْتِماع ولادات متعدّدات في شَخْصٍ واحد من جهاتٍ مخْتَلِفَةِ، واسمه محمد أو أحمد، والأول أشْهَرُ، واسْم أَبيهِ عَبْدالله.

قال في «اللوامع»: ولم نَقِفْ على اسْمِ أمِّ المَهْدي بعد الفَحْصِ والتّتبع؛ انتهى.

وكِنْيَتُه أبو القاسم أو أبو عبدالله.

وإنما سُمِّي المَهْدِي لأنَّهُ يَهْدِي إلى أمْرٍ خَفي، أو إلى جَبَل من جبالِ الشام، ويُخْرِجُ منها أسْفارَ التوراة والإنجيل، يحاجُّ بها اليهودَ والنصارى، فَيُسْلِمُ على يَدِهِ جماعَةٌ منْهُم، ولَقَبُهُ جابر، لأنَّهُ يَجْبُرُ قلوبَ أمَّةِ محمد ﷺ، ويَقْهَرُ الجبَّارين والظالمين ويقْصِمُهُم؛ ومولِدُهُ بالمدينة، وقال القُرْطُبيُّ: ببلاد المَغْرِبِ؛ ومهاجِرُه بَيْتُ المقْدِس، ومبايَعَتُهُ بمكَّة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، وسيرَتُهُ العَمَلُ بكِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسولِهِ، ولا يُقَلِّدُ أحداً، بل يَشْتَدُّ غَضَبُهُ على المُقَلِّدِين.

قال السَّفَّارِيني في «اللوامع»: يقاتِلُ على السُّنَّةِ، لا يَتْرِكُ سُنَّة إلا أقامَها، ولا بِدْعَةً إلا رَفَعَها، يَقُومُ بالدِّينِ آخِرَ الزَّمان، كما قامَ به النبيُّ ﷺ أوَّله؛ انتهى.

وزادَ في «الفتوحات»: أعداؤه المُقَلِّدَة، وأما مُدَّتُهُ فاخْتَلَفَتِ الرِّوايات فيها، ففي بَعْضِها يَمْلِكُ خَمْساً أَوْ سَبْعاً أَوْ سِتّاً بالتَّرْدِيد، وفي بَعْضها تسعة عشر سَنة وَأَشْهر، وفي بعضها عشرين، وفي بعضها ثلاثين، وفي بَعْضها أربعين، منها تسع سنين يهادِنُ الرُّومَ فيها.

قال السَّفّاريني: وَيُمْكِنُ الجمعُ على تَقدير صِحَّةِ الكُلِّ بأنْ مُلْكَهُ متفاوِتٌ الظُّهور والقوَّة، فَيُحْمَلُ الأكْثَرُ باعتبار جَميع مُدَّة المُلْك منذ البيعة، والأقلّ على غاية الظهور، والأَوْسط على الأَوْسط. انتهى.

وقَوَّاهُ في «الإشاعة»، وعندي أنّ الأصَحَّ مِنْ ذلك ما وَرَدَ في الأحاديث الصحيحة، واللّٰهُ أعْلَمُ.

وله أَماراتٌ يُعْرفُ بها، ذَكَرَها في «الإشاعة»، وعلامات جاءَتْ بها الآثارُ، ودَلَّتْ عليها الأحاديثُ والأخبارُ، ذكرها الشيخ مرعى في «فوائد الفكر في ظهور المَهْدي المنتظر».



بـاب
فـي الفتن الواقعة قبل خروجه

مِنْها حَسْرُ الفُراتِ عن جَبَلٍ من ذَهَب، ومنها خُروجُ السُّفْياني، وَالأَبْقَع، والأَصْهَب، والأَعْرَج الكِنْدِي، والمَنْصُور، والحارِث؛ وهي صفاتٌ وألقابٌ لا أسماءَ لهم، فَلْيُعْلَم. ومِنها قِتالُ الخُراساني بالسُّفْياني، وخروج رَجُلٌ من كَلْبٍ يقال له: كِنَانَة، والملحمة الكبرى وذلك بعد هلاك السُّفياني، ومنها قَتْلُ النَّفْسِ الزكية، وهي غَيْرُ مَنْ قُتِلَ في زَمَنِ المنْصورِ العَبَّاسي. وطُلوع الرَّايات السُّود من قبل خُراسان، وقَذْف الأَرْضِ أفلاذَ كَبِدِها من الذَّهَب والفِضَّة، وخَسْف مَعْدَنٍ في الحجاز، وخسف قَرْيَة بالغُوطة غربي دمشق، وخَسْف بالبَيْداء، وانْكِساف الشَّمْس والقمر في رَمضان، وطُلوعُ القَرْن ذي السِّنين، وطلوع النجم ذي الذَّنب، وخسوف القمر مَرَّتَيْن، وخروج نارٍ من قِبَلِ المشْرِق، ووقْعة بالمَدِينة عَظيمة، والنِّداء من السماء أنَّ الحقّ في آل محمد، وطلوع الكَفِّ من السماء، وإخراج كَنْز الكعبة وخزائنها، وكون لخمسين امرأة قَيِّمٌ واحِد، وفتح القسطنطينية والرُّومِيَة، وخروج الدجال.

وفي كُلِّ ذلك أخبارٌ وآثارٌ ثابِتَةٌ ذكرناها في «حجج الكرامة»،

وذكرها السيد محمد في «الإشاعة» مبسوطةً مفصّلة. فيا طُوبَى لمن أدْرَكَهُ وكان من أنصارِهِ، وَالوَيْلُ كُلَّ الوَيْلِ لِمَنْ خالَفَه، وخالَفَ أمْرَهُ.

وقال الإمامية: إن المهديَّ هو محمد بن الحسن العَسْكَرِي، وهي دعوى بلا دليل.

وقال السَّفَّارِيني: ذلك ضرب من الجنون والهَذَيان. ثم رَدَّها عليهم ردّاً بالغاً.

وقال: فَعَلىٰ عُقولِهِم العَفَار، وعلى أفهامهم البَوَار، ما أضَلَّ علومَهُم وأبْلَدَ فهومهم. انتهى.

وادَّعى محمد بن تُومَرْت الظالم المتغلِّب أنه المَهْدِيُّ. كذا قال في «الإشاعة».

وذكر الشيخ علي المتقي في رسالَتِهِ: أنّ في زمانِهِ خرج رَجُلٌ بالهند ادَّعىٰ أَنَّه المهدي المنتظر، واتبعه خلق كثير. انتهى.

قلتُ: وهذا هو السيد محمد الجُونْفوري الذي تقدَّم ذِكْرُهُ.

قال: وَظَهَرَ بجبال شَهْرُوز، بقرية أزمك، رجل يسمى: «محمداً»، وَادَّعى أنه المَهْدِيّ. وظَهَرَ رجلٌ بجبال عقر، أو العمادية، ويسمى «عبدالله»، وادَّعىٰ المَهْدَوِية. انتهى.

قلت: وادَّعَى جَمَاعَةٌ من المشايخ والصوفية أنهم المَهْدَوِيُّون، ثم تابوا عن هذه الدعوىٰ المُنْتِنَة.

فهؤلاء الذين ادَّعُوا المَهْدَوِيّة بالباطل، واتبعهم بعضُ السُّفَهاء، وحَصَلَتْ منهم فِتَنٌ ومَفَاسِد كثيرةٌ في الدين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في «حجج الكرامة»، فلا نطول بذِكْرِها هنا.

باب
في خروج الدجال

وما أَدْراكَ ما الدَّجَّال؟ مَنْبَعُ الكفر والضَّلال، وينبوع الفِتَن والأَوْجَال.

والأحاديث الواردة فيه كثيرةٌ جداً، ذكر منها الشوكاني في «التوضيح» مئة حديث، وهي في الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد.

قال: وليس المرادُ هنا إلا بيان كونِ أحاديث خروج الدجال متواتِرَة، والتواتُرُ يحصُلُ بِبَعْضِ ما سُقناه، وقد بَقِيَتْ أحاديثُ وآثارٌ عن جماعة من الصحابة تركنا ذكرها، ووقفنا على هذه المئة التي أشرنا إليها وإلى من خَرَّجها. انتهى.

وقال في «الإشاعة»: وأخبارُ الدجَّال تَحْتَمِلُ مجلدات، أفْرَدَها غيرُ واحد من الأئمة بالتأليف. انتهى.

قال: والكلام عليه يأتي في مقامات: في اسْمِهِ، ونَسَبِهِ، ومولدِهِ، وحليته، وصورتِهِ، وفِتَنِهِ، ومحلِّ خروجه، ووَقْتِهِ، ومدَّتِهِ، وكيفيةِ النجاة منه، ومَنْ يقتُلُه.

ثم بَسَطَ في بيان ذلك كما بسطنا في «حجج الكرامة».

قال السَّفَّارِيني: وقد أَنْذَرَتْ به الأنبياءُ قومَها، وحذَّرَتْ منه أُمَمَها؛ ونَعَتَتْهُ بالنعوت الظاهرة، ووَصَفَتْهُ بالأوصاف الباهرة؛ وحذَّر منه المصطفى وأَنْذَر، ونَعَتَهُ لأُمَّتِه نعوتاً لا تخفى على ذي بَصَر. انتهى.

عن عِمْران بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«ما بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ من الدَّجَّالِ»** رَوَاه مُسْلم [رقم: ٢٩٤٦].

وعن أبي هُرَيْرة رَضِي الله عنه عن النبي ﷺ: **«ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لم ينفع نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدَّجَّالُ، والدَّابَّةُ، وطُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها»** رواه الترمذي [رقم: ٣٠٧٢] وصَحّحه.

ومن دعواته ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»** [البخاري، رقم: ٨٣٣؛ مسلم، رقم: ٥٨٩؛ الترمذي].

وعن معاذ بنِ جبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«عُمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةِ خُروجُ الدَّجَّالِ»** رواه أبو داود [رقم: ٤٢٩٤].

وعنه في رِوَايَةٍ: **«وَخُروجُ الدَّجَّالِ في سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»** أي: بعد فَتْحِها، رواه الترمذي [رقم: ٢٢٣٨] وأبو داود [رقم: ٤٢٩٥].

وعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«بَيْنَ المَلْحَمَةِ وَفَتْحِ المَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ في السَّابِعَةِ»** رواه أبو داود [رقم: ٤٢٩٦]، وقال: هذا أصح.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُم**» رواه مسلم [رقم: ٢٩٤٧].

وعن عَبْدالله رَضِي الله تعالىٰ عنه، قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخفَىٰ عَلَيْكُم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ**». متفق عليه. [البخاري، رقم: ٧٤٠٧؛ مسلم، رقم: ١٦٩].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر**» أخرجه الشيخان. [البخاري، رقم: ٧١٣١؛ مسلم، رقم: ٢٩٣٣].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ! إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُم كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**» متَّفقٌ عليه [البخاري، رقم: ٣٣٣٨؛ مسلم، رقم: ٢٩٣٦].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْفَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**» رواه مسلم [رقم: ٢٩٤٤].

وعن أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه، قالَ: قَالَ

رسولُ الله ﷺ: «**يَتبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ السِّيجان**»، رواه البَغَوِيّ في «شرح السنة» [رقم: **٤٢٦٥**]؛ [وراجع «مسند أحمد»، رقم: **١٢٩٣١**]، والسِّيجان، جمع ساج، وهو: الطَّيْلَسان الأخضر، وقيل: المَنْقُوش.

وعَنْ أَسْماءَ بِنْتِ يَزِيدَ بن السَّكَن، قالَتْ: قالَ النبيُّ ﷺ: «**يَمْكُثُ الدَّجَّالُ في الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَة، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ**» رواه في «شرح السنة» [رقم: **٤٢٦٤**؛ «مسند أحمد»، رقم: **٢٧٠٢٤**].

وعن المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَة رضي الله عنه، قالَ: ما سَأَل أَحَدٌ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّه قالَ لي: «**ما يَضُرُّكَ؟**» قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولونَ أَنَّ مَعَهُ جَبَلُ خُبْزٍ وَنَهْرُ مَاءٍ! قال: «**هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللَّهِ، مِنْ ذَلِكَ**» أخرجه الشيخان [البخاري، رقم: **٧١٢٢**؛ مسلم، رقم: **٢٩٣٩**].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قال: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ عَلىٰ حِمَارٍ أَقْمَرَ - أي: شَدِيدُ البَيَاضِ - مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ سَبْعُونَ ذِراعاً**» رواه البَيْهَقِيُّ في كتاب «البعث والنشور».

وعن حُذَيْفَةَ رَضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ**» رواه مسلم [رقم: **٢٩٣٤**].

وعن أبي سَعِيدِ الخُدْرِيّ رَضي الله عنه، قالَ: حَدَّثنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْماً حَدِيثاً طويلاً عَنِ الدَّجَّالِ، فكانَ فِيما حَدَّثَنا: «**يَأْتِي**

وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَىٰ بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُم إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ في الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لا» قَالَ: **«فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ»**، قَالَ: **«فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»** أخرجه الشيخان [البخاري، رقم: **١٨٨٢**؛ مسلم، رقم: **٢٩٣٨**].

وفي البابِ أخْبارٌ صَحيحَةٌ في الصَّحِيحِ وغَيْرِهِ بألفاظٍ.

قال القُرْطبيُّ في «تذكرته» [**٥٣٨/٢**] يُقالُ: إنَّهُ الخَضِرُ، وَفِيهِ بُعْدٌ بَعِيدٌ. وَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِ الكَهْفِ، وَوَرَدَ أَنَّهُمْ يَكُونونَ مِنْ أَصْحابِ المَهْدي. وقيلَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْل المدينَةِ.

قال السَّفّارِيني: وَوَرَدَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ بلا فتنة من الدجّال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة. انتهى. والله أعلم.

وَوَرَدَ في حديث تَمِيمِ الدَّارمي قصةُ الدَّجَّال مُفَصَّلة، وهو حديثٌ صحيحٌ طويل، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى عن أبي هُرَيْرَة، وأخرجه أيضاً أبو داود بسند صحيح عن جابر.

وأما حديث فاطمة [بنت قَيْس] الذي هو عُمْدَةُ الباب، وأشهر ما اشْتُهرَ من هذا الحديث، فأخْرَجَهُ مسلمُ في صحيحه [رقم: **٢٩٤٢**]، وأبو داود [رقم: **٤٣٢٦**] بمعناه، وابن ماجه، وقال الترمذي [رقم: **٢٢٥٣**]: حسن صحيح.

والأحاديثُ في أَحْوَالِ الدَّجَّالِ لا تَكادُ تَنْحَصِر كما أشرنا إلى

ذلك، وهو غير ابن الصَّيَّاد الذي وُلد بالمدينة، وهو إمَّا شيطان مُوثَقٌ في بَعْضِ الجزائر من أولاد شِقّ الكاهن، أو هو شِقّ نفسه؛ ولَقَبُهُ المسيح، لأنَّ عَيْنَهُ اليسرى ممسوحة، أو لأنَّه يَمْسَحُ الأرْضَ. أي: يَقْطَعُها.

قال المجد في «القاموس»: اجْتَمَعَ لنا في سَبَبِ تَسْمِيَتِه بالمسيح خمسون قولاً. انتهى. [راجع مادة: سيح، ومادة: مسح].

وصفتُه، الدَّجَّالُ من الدَّجَلِ، وهو الخَلْطُ واللَّبس والخَدع، فهو الخَدَّاع المُلَبِّس على الناس.

وذَكَرَ البَغَوِيُّ أنَّ المراد بالناس في قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية: ٥٧] الدّجَّال، من إطلاق الكُلِّ على البعض.

وحِلْيَتُه أنَّهُ رَجَلٌ شابٌّ. وفي رواية: شَيْخٌ. قال السُّفَّارِيني: وسَنَدُهُما صحيح؛ انتهى.

جَسِيمٌ أحْمَرَ، أو أبْيَضُ أمْهَقُ؛ وفي روايةٍ: آدَمُ؛ قَصيرٌ أَفْحَجُ، جَعْدُ الرّأس قَطِطٌ، أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنىٰ، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ؛ وفي روايةٍ: مَطْمُوسُ العَيْنِ؛ مُتَبَاعِدُ ما بين السَّاقَيْن، كأنَّ أنْفَهُ مِنْقَارٌ، عَرِيضُ المِنْخَرِ، تَنَامُ عَيْناهُ وَلا يَنامُ قَلْبُه، يَخْرُجُ أَوّلاً وَيَدَّعِي الإيمانَ وَيَدْعُو إلى الدِّينِ، ثُمَّ يَدَّعِي أنَّهُ نَبِيٌّ، ثُمَّ يَدَّعِي الإلٰهِيَّةَ؛ وَفِتَنُهُ كَثِيرَةٌ لا تَكادُ تَنْحَصِرُ، مِنْها أنَّهُ يَسِيرُ مَعَهُ جَبلان، أَحَدُهُما فيه أشْجَارٌ وَثِمارٌ وَماء، وَالثّاني فِيهِ دُخانٌ وَنار. رواه الحاكم [٤/٤٩٢، رقم: ٨٥٠٨] عن ابن عُمَر مَرْفوعاً؛ وفي صحيح مسلم [رقم: ٢٩٣٤]: **«مَعَهُ جَنَّةٌ وَنارٌ»**.

وفي البابِ أخبارٌ كثيرةٌ، وَذَكَرَ غَيْرُ واحِدٍ من أهل العلم أنَّ الذي معه من الجِنَّةِ والنار على طريق التَّخَيُّيل دون الحقيقة، ومنهم ابن حِبَّان، وتدلُّ لَهُ أحاديث. وقال جماعةٌ، منهم ابن العربي: هي على ظاهِرِهِ امتحاناً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لعبادِهِ.

وقال في «الإشاعة» كالعلامة الشيخ مرعي: التَّحْقِيقُ الأَوَّلُ. والله أعلم.

وَمِنْها أَنَّهُ تُطْوَى لَهُ الأَرْضُ مَنْهَلاً مَنْهَلاً طَيَّ فَرْوَةِ الكَبْشِ، وَأَنَّهُ يَسِيحُ الأَرْضَ كُلَّهَا في أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَمَا مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ وَسَيَطَؤُهَا، إِلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ. كما وَرَدَ بذلك أحاديث.

وَسُرْعَتُهُ في السَّيْرِ كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ.

وقال بعضُ النَّاسِ: كَأَنَّهُ يَسِيحُ على هَذِهِ العَجَلَةِ الدُّخانِيَة الحادِثة في هذا الزمان، وهذا القول لَيْسَ عليه أَثَارَةٌ من عِلْم، فإنَّ السِّيَاحة عليها لَيْسَتْ خارقةٌ للعادَةِ، لأَنَّها نَوْعٌ من أنواعِ جَرِّ الثَّقِيلِ، وسياحتُهُ تكونُ خَرْقاً للعادة؛ واللَّهُ أعلم.

ومنها: **«أَنَّهُ يَخْرُجُ في خِفَّةٍ [خَفْقَةٍ] مِنَ الدِّينِ وإِدْبارٍ مِنَ العِلْم»**. رواه أحمد [رقم: **١٤٥٣٧**] وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم [**٥٣٠/٤**، رقم: **٨٦١٣**] عن جابر مرفوعاً.

قال السَّفَّارِيني: فَيَنْبَغي لكُلِّ عالم، ولا سيَّما في زمانِنا هذا الَّذي عمَّت فيه الفِتَن، وكَثُرَت فيه المِحَنُ، وانْدَرَسَت فيه معالمُ السُّنَن، وصارَتْ فيه السُّنَّة كالبِدْعَةِ، والبِدْعةُ شَرْعاً يُتَّبَع، ولا حَوْل ولا قوَّةَ إلا بالله؛ أنْ يُشِيعَ حَدِيثَهُ، ويُكْثِرَ خَبَرَهُ في الناس. انتهى.

ومنها: أنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ له الشَّياطين مِنْ مشارِقِ الأرْضِ ومغارِبِها، فيقولونَ: اسْتَعِنْ بِنَا عَلىٰ مَنْ شِئْتَ! فيستعين بهم.

ومنها: «**أنَّهُ يَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ**» رواه مسلم [رقم: ٢٩٣٧].

ومنها: «**أنهُ تأْتي قَبْلَ خُروجِهِ ثلاثُ سَنَوَاتٍ شَدَائِدَ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ**» [ابن ماجه، رقم: ٤٠٧٧].

إلى غير ذلك مما ذَكَرَهُ في «الإشاعة» وغيرها؛ وكلُّ ذلك مستفادٌ من الأَحادِيثِ الواردَةِ في هذا الباب.

ومحلُّ خروجِهِ المشرقُ جَزْماً، كما قاله الترمذيُّ في الدِّيباجة وابن حجر في «الفتح».

وفي رواية: «**يَخْرُجُ مِنْ أَصَفَهَان**» أخرجه مُسْلِم [رقم: ٢٩٤٤]. وفي أخرى: «**من خُراسَان، ووَقْتُهُ بَعْدَ فَتْح القُسْطَنْطِينِية، ومدَّتُهُ أربعون لا شَطَط ولا كَسْر**» كما أخرج مُسلم [رقم: ٢٩٤٠] عن ابن عَمْرو بن العاص، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لا أدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ شَهْراً أَوْ عاماً، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ**» الحديث [مسلم، رقم: ٢٩٤٠؛ مسند أحمد، رقم: ٦٥١٩].

وأما كيفيةَ خروجِهِ، فالرِّواياتُ فيه مخْتَلِفَةٌ، وأبْسَطُ حديثٍ فيه حديثُ النَّوَّاس بن السَّمْعان عند مُسْلِم في صحيحه [رقم: ٢٩٣٧]، وحديثُ أبي أُمَامَة عند ابن ماجه وابن خُزَيْمة والحاكم والضِّياء، وحديث أبي سَعِيد عند مسلم، وعند البخاري معناه؛ وساقَ في

«الإشاعَةِ» هذه الأحاديث مَساقاً واحِداً، وجَمَعَ بين اخْتلافِها بحسبِ الإمكان، فرَاجِعْهُ؛ ولا نجاةَ منْهُ إلا بالعِلْمِ والعَمَلِ؛ أمَّا العِلْمُ، فبأنْ يَعْلَمَ أنَّهُ يأكُلُ ويَشْرَبُ، ثُمَّ أنَّه لِخِسَّتِهِ وعَجْزِهِ أعْوَر، وهو جِسْمٌ مَرْئِيٌّ، وأنَّ اللَّهَ مُنَزَّه عن ذَلِكَ، وهذه كلُّها لا تجوزُ عليه سُبْحانه؛ وأما العَمَل، فبأنْ يَلْتَجِىءَ إلى أحَدِ الحَرَمَيْن أو إلى المسْجِدِ الأقصْى، أو إلى مسجد طُوًى، وبأن يقرأ عشر آياتٍ من أول الكهف، أخرجه مسلم [رقم: ٨٠٩]، وبأن يَتْفل في وَجْهِهِ رواه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً، وبأن يَهْربَ منه في الجبال والبراري، وأنَّهُ أكثر ما يَدْخُلُ القُرَى، وقاتِلُهْ عيسى عليه السلام كما مَرَّ.

قال المُحارِبي: يَنْبَغِي أنْ يُدْفَعَ حديثُ الدجال إلى المؤدِّب حتى يعلِّمَهُ الصبيان في الكتَّاب؛ انتهى.

وقد ورد أن من علامات خروجِهِ نسيان ذكْرِهِ على المنابر؛ واللَّهُ أعْلَمُ بالصَّواب.



بـاب
فـي نزول عيسى ابن مريم
عليهما السلام

وهو من الأشراط القريبة من خروج المهدي ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية: **١٥٩**] أي: موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وأنَّ الضميرَ في موتِهِ لليهودي. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [**٤٣** سورة الزخرف/ الآية: **٦١**].

وأما السُّنَّة، فَعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه، أَنَّه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فيكُمْ ابنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيفِيضُ المالُ حتَّى لا يَقْبله أَحَدٌ، حتَّى تكونَ السَّجدةُ الواحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها**». أخرجه الشيخان [البخاري رقم: **٢٢٢٢**، ومسلم رقم: **١٥٥**].

وعن جابر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُم: تعالَى صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا! إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَراءُ، تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّة**» رواه مسلم [رقم: ١٥٦].

وعن عَبْدِالله بنِ عَمْرو، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلىٰ الأَرْضِ، فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ، ويَمْكُثُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُدْفَنُ مَعِي في قَبْرٍ، فَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ في قَبْرٍ وَاحِدٍ بَيْن أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**» رواه ابن الجَوْزي في كتاب «الوفاء».

وعند أحمد [رقم: **٩٠١٣**] وابن أبي شَيْبة وأبي داود [رقم: **٤٣٢٤**] وابن جرير وابن حبان، عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، أَنَّهُ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ عِنْدَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وعلى هذا رواية أَرْبَعين، ورَدَتْ بإِلْغاءِ الكَسْرِ، وفي رواية: يَمْكُث سبع سنين، والأَوَّلُ هُوَ المُرَجَّحُ؛ قالَهُ السَّفَّارِيني.

والأحاديثُ في نزولِهِ عليه السَّلام كثيرةٌ، ذكر الشوكاني مِنْها تسعة وعشرين حديثاً ما بين صَحيحٍ وحَسَنٍ وضَعِيفٍ مُنْجَبِرٍ، ثُمَّ قَالَ: مِنْها ما هُوَ مَذْكُورٌ في أحادِيثِ الدَّجَّال التي تَقَدَّمَ بَعْضُها، ومنها ما هُوَ مَذْكُورٌ في أحاديث المُنْتَظَر، وتَنْضَمُّ إلىٰ ذلك أيضاً الآثارُ الوارِدَةُ عَنِ الصَّحابَةِ، فَلَها حُكْمُ الرَّفع، إِذْ لا مجالَ للاجْتِهادِ في ذلك. ثم ساقَها، ثم قالَ: وجميعُ ما سُقْناهُ بالِغٌ حَدَّ التَّواتُرِ كما لا يَخْفَىٰ على مَنْ له فَضْلُ اطِّلاعٍ، فتَقَرَّرَ أَنَّ الأحاديثَ الوارِدَةَ في المَهْدِي المُنْتَظَرِ متواتِرَةٌ، والأحاديثَ الوارِدَةَ في الدَّجَّال متواترةٌ، والأحاديثَ الوارِدَةَ في نُزَولِ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ متواترةٌ. انتهى.

وأما الإجماعُ، فقال السَّفَّارِيني في «اللوامع»: قَدِ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ على نزولِهِ، وَلَمْ يخالِفْ فيه أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ، وإنَّما أَنْكَرَ ذلك الفلاسِفَةُ والملاحِدَةُ مِمَّنْ لا يُعْتَدُّ بخلافِهِ، وقَدِ انْعَقَدَ إجماعُ الأُمَّةِ على أَنَّهُ يَنْزِلُ ويحْكُمُ بهذه الشريعَةِ المحمَّدِية، وليس ينزلَ بشَرِيعَةٍ مستقلةٍ عند نزولِهِ من السَّماءِ، وإن كانَتِ النبوَّةُ قائمةً به، وهو مُتَّصِفٌ بها. انتهى.

قال في «الإشاعة»: والكلامُ عَلَيْهِ في مقاماتٍ في حِلْيَتِهِ، وسِيرَتِه، وَوَقْتِ نزولِهِ، ومَحَلّهِ، وما يَجْرِي على يَدَيْهِ مِنَ الملاحِمِ، ومُدَّتِهِ، وموتِهِ. فاسْمهُ ونَسَبُهُ ومَوْلِدُهُ كُلُّ ذلك مَعْلومٌ مِنَ القُرْآن.

وأما حِلْيَتُهُ، فعِنْدَ البخاري [رقم: ٣٤٣٨ و ٥٩٠٢] وغيرِه: أنَّه أحْمَرُ، جعْدٌ، عَريضُ الصَّدْرِ، مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، سَبْطُ الشَّعْرِ، يَنْطُفُ - أي: يَقْطُر - لَه لِمَّةٌ قَدْ رَجَّلَها، مَرْبُوعُ الخَلْقِ، سَبْطُ الرَّأْسِ كَأَنَّما خَرَجَ مِنْ ديماسٍ.

وأما سِيرَتُهُ، فَإِنَّهُ يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ والقِرَدَةَ، ويَضَعُ الجِزْيَةَ، ولا يَقْبَلُ إلاّ الإسلامَ، ويتَّحِدُ الدِّينُ فلا يُعْبَد إلا الله، ويَتْرُكُ الصَّدَقَةَ - أي: الزّكاةَ - لِعَدَمِ مَنْ يَقْبَلُها، وَلا يَرْغَبُ في اقْتِناءِ المالِ لِلْعِلْمِ بِقُرْبِ السَّاعَةِ، وَيَكونُ مُقَرِّراً لِلشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، لا رَسولاً إلىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ وَتَظْهَرُ الكُنوزُ في زَمَنِهِ، وتُرْفَعُ الشَّحْناءُ وَالتَّباغُضُ، ويَنْزِعُ اللّهُ سُمَّ كُلِّ ذِي سُمٍّ حَتَّى تَلْعَبَ الأَولادُ بِالحَيّاتِ وَالعَقارِبِ فلا تَضُرُّهُم، وَيَمْلأُ الأَرْضَ سِلْماً، وَيَنْعَدِمُ القتالُ، وَتُنْبِتُ الأَرْضُ نَبْتَها كَعَهْدِ آدمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلىٰ القِطْفِ مِنَ العِنَبِ، وكذا الرُّمَانَة. وَكُلُّ ذَلِكَ مستفادٌ من الأَخْبَارِ والآثارِ المسْتَفِيضَةِ المشْهورَةِ.

وَأَمَّا نُزُولُهُ، فإِنَّهُ يَنْزِلُ عنْدَ المَنارَةِ البَيْضاءِ شَرْقِ دِمَشق، وَهي مَوْجودَةٌ اليَوْمَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْن، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذا رَفَعَ رَأْسَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَّانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكافِرٍ يَجِدُ رِيحَهُ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ. أَخْرَجَه مسلم [رقم: ٢٩٣٧] من حديث النَّوّاسِ بنِ سَمْعَان.

ويكون نزولُهُ عليه السلام لِسِتٍّ ساعاتٍ مَضِينَ مِنَ النَّهار، حَتَّى يأْتِيَ مَسْجِدَ دمشقَ، ويَقْعُدَ على المِنْبَرِ، فيَدْخُلُ المُسْلِمون وَكذا النَّصارَىٰ واليهود، كُلُّهُم يَزْجونَهُ، حَتَّى لَوْ أُلْقِي شَيْءٌ لَمْ يُصِبْ إِلا رأسَ إنسانٍ من كَثْرَتِهِم، ويأتي مُؤَذِّنُ المُسْلِمين وصاحِبُ بُوقِ اليهود وناقوسِ النَّصارى فَيَقْتَرِعون، فلا يخرجُ إلا سَهْمُ المُسْلِمين، وحِينئِذٍ يُؤَذِّنُ مُؤَذِّنُهُم، ويَخْرُجُ اليهودُ والنَّصارَى من المَسْجِدِ، ويُصَلِّي بالمُسْلِمِينَ صلاةَ العَصْرِ، ثُمَّ يَخْرُجُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ في طَلَبِ الدَّجَّالِ، فيَقْتُلُهُ بباب لُدّ، عِنْدَ بَيْتِ المَقْدِس، ولُدّ، بوزْن مُد: بَلَدٌ مَشْهورٌ، بَيْنَهُ وبين رَمْلة فِلَسْطِين مقدارُ فرسخٍ إلى جِهة الشمال، مُتَّصِلٌ شَجَرُها بشَجَرِها، فَيَقْتُلُه هناك.

وعن أنسٍ رَضِي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَ عِيسَىٰ مِنكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ**» أخرجه البخاري في «تاريخه» والحاكم [٥٤٥/٤، رقم: ٨٦٣٥].

ومُدّتُهُ أرْبَعون أوْ خَمْسٌ وأَرْبعون سَنة، وفي خلال هذه يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ.

قال في «الإشاعة»: وَقَعَ لبَعْضِ جَهَلَةِ الحَنَفِيَّة أنّه ادَّعَىٰ أنَّ كُلاً مِنْ عِيسَى والمَهْدِي يُقَلِّدُ مَذْهَبَ الإمام أبي حَنِيفة! وَوَقَفْتُ للشَّيْخ علي

القاري الهَرَوي نزيل مكة المشرفة على تأليفٍ سَماه: «المشرب الوَرْدي في مذهب المَهْدي» نَقَلَ فيه هذا القول، ورَدَّ عليه رداً مُشْبعاً وَجَهَّلَهُ. انتهى.

وهذا التأليفُ مَوْجودٌ عِنْدِي، وهذا القولُ مَرْدودٌ في حَقِّ آحادِ الأمَّة المُحَمَّدِية، فكَيْفَ في حَقِّ النبيِّ والإمام؟ وَإِنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يُوجِبْ على أحَدٍ من المُسْلِمِينَ أنْ يُقَلِّدَ دينَهُ أَحداً مِنَ الأئمَّةِ كائناً مَنْ كان وَأَيْنَما كان. إِنَّما أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ العَمَلَ بمُقْتَضَى الكِتابِ والسُّنَّةِ في كُلِّ زمان ومكان، وقد صَرَّحَ السُّبْكيُّ في تصنيفٍ له أَنَّ عِيسَى عليه السلام يَحْكُمُ بشريعَةِ نبيِّنا بالقرآن والسنة. انتهى.

وما قيل: إِنَّهُ يأْخُذُ السُّنَّةَ بطَرِيقِ المُشافَهَةِ أو بِطَرِيقِ الوَحْي وَالإِلْهام، فَلَمْ يَأْتِ في ذلك شَيْءٌ يُصارُ إليه.

وقال السَّفَّارِيني: ويكونُ قَدْ عَلِمَ أحكامَ هذه الشَّرِيعَة بأمْرِ الله تعالى، وهو في السماءَ قَبْلَ أنْ ينزلَ، وهذا أَوْلَىٰ من الأَوَّلِ.

قال: وَالكلامُ على المَهْدِي، وَالدَّجَّالِ، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ طَوِيلٌ شَهِيرٌ، أُفْرِدَتْ في ذلك الكُتُبُ المَبْسوطَةُ والمُخْتَصَرَةُ، وذَكَرْنَا في كتابِنا «البحور الزاخرة» من ذلك طَرَفاً صالِحاً، يُغْنِي مَنْ أَحْصاه علماً عَنْ مراجَعَةِ أَكْثَرِ كُتُبِ هذا الباب. انتهى.

وفي الحديثِ المَرْفُوع: **«وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا»** [ابن ماجه، رقم: ٤٠٧٧] قال السَّخاوِيُّ في «القناعة»، وابن حجر المكي في «القول المختصر»: مَعْنَى ذلك: لا يَبْقَىٰ لِقُرَيْشٍ اختصاصٌ بِشَيْءٍ دون مراجَعَتِهِ، فلا يُعارِضُ ذلك خَبَرَ: **«لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِي مِنْهُمُ اثْنَانِ»** [البخاري، رقم: ٣٥٠١].

قالَ السّفّارِيني: فَإنْ قُلْتَ: كَيْفَ يصحُّ هذا الخَبَرُ مع مشاهَدَتِنا انفصالَ قريشٍ عن المُلْكِ منْذُ أَزمان؟.

فالجواب: اسْتِحْقاقُها لِهذا الأَمْر، وإِنْ ظَلَمَها ظالِمٌ؛ وأَمَّا عِيسى، فَيُظْهِرُ كمالَ العَدْلِ، فلا يأخُذُ حَقَّهُم، ورُبَّما أنْ يَكونَ بقاءُ الأَمْرِ في قُرَيشٍ ولو مُرَاجَعةً، ولا شَكَّ أَنَّ قُرَيْشاً يراجَعُون، علىٰ أَنَّ ملوكَ زمانِنا يَزْعُمون أَنَّهُم إنَّمَا يَتَمَلَّكون بالنيابَةِ عن قُرَيْش، ويَعْمَلون صورةَ نيابَةٍ عن نقيبِ السَّادة الأشرافِ، على أنَّ لِبَني هاشِمٍ استقلالاً بالأَمْرِ في محلات، كالحجازِ واليَمَنِ والمَغْرِبِ وغَيْرِها.

ثم إنَّه لا يَخْفَىٰ أنَّه لا يَحْسُنُ أنْ يقالَ: إنَّ في الأَمْرِ في أيَّام عِيسَىٰ يكونُ لِلمَهْدي مع كَوْنِ عِيسى رسولاً مِنْ أُولي العَزْمِ مَعْصوماً، والمهدي رَجُلٌ مُجْتَهِدٌ!.

نَعم، يكونُ المَهْديُّ مِنْ خَوَاصِّ السَّيِّدِ عِيسىٰ، بل وزيره والمقرّب لديه، يراجِعُه في الأمورِ، وتصدر عَنْه الشُّورَى، وباللَّهِ التوفيق. انتهى.

فإيَّاكَ والاغْترار بمِثْلِ هذه الترَّهات الباطِلة، وعليكَ باتِّباع السُّنَةِ الغَرَّاء، فإنَّها حِرْزٌ وحِصْنٌ من الأَهْواءِ، وجَنَّةٌ من الشَّيْطان المَرِيد والآراء. وباللَّهِ التَّوفيق، وبِيَدِهِ أزِمَّةُ التَّحقيق.



بـاب
فـي خروج يأجوج ومأجوج وغيرها

وهو من الأشراط العظيمة التي دَلّت عليها نصوصُ الكتابِ والسنة والإجماع.

أمّا الكتابُ، فقال تعالى: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية: ٩٤].

وقالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ٩٦].

وأما السُّنّة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تكُونَ عَشْرُ آياتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَالدَّجّال، وَالدُّخانُ، وَالدَّابَةُ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَظُهورُ المَهْدِي، وَثَلاثُ خُسُوفاتٍ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ**». رواه ابن ماجه [رقم: ٤٠٥٥]، عن حُذَيْفَةِ بن أَسِيد، وهو في مسلم [رقم: ٢٩٠١] من حديث أبي الطُّفَيْل عن حُذَيْفة. ورواه من وجهٍ آخَرَ أَيْضاً.

والأحاديثُ الوارِدَةُ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ.

والكلام عَلَيْهِم في مقاماتٍ: في نَسَبِهم، وَحِلْيَتِهِم، وَسِيرَتِهِم، وَخُرُوجِهِم، وَإِفسادِهِم، وَهلاكِهِم.

وَجُمْلةُ القَوْلِ في ذلك أَنَّهُم من بَنِي آدَم، ثم من بَنِي يافَث بن نُوح؛ وَذَكَرَ ابنُ عَبدالبَرِّ الإجماعَ عليه. وقِيل: من التُّركِ. وقِيلَ: من الدَّيْلَم.

قال الحافظ ابْنُ حَجَر في «الفتح» [١٣/١٠٦]: والأَوَّلُ هُوَ المُعْتَمَدُ.

وفي خروجِهِم وفِتْنَتِهم حديثُ النَّوَّاس عند مسلم [رقم: **٢٩٣٧**] برواياتٍ وألفاظ، ولم يَأْتِ في مُدَّةِ مُكْثِهم في الأَرْضِ وقَدْرِ أعمارِهم شَيْءٌ، بَلْ ظاهِرُ الأحاديثِ أَنَّهُم بِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَوَسَّطوا الأَرْضَ ويَقْرُبوا بَيْتَ المَقْدِس يَقْتُلُهم اللَّهُ بالنَّغَفِ، أي: الدّودُ الذي يَدْخُلُ آنافهم؛ ثُمَّ بَعْدَ ذلك يموتُ عِيسَىٰ عليه السلام، وهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الأشراط التي اشْتَمَلَتْ عليها قِصَّةُ عِيسىٰ عليه السلام.

وَمِنها: قِتالُ اليَهُودِ، ومَطَرٌ لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، وانقطاعُ الجِهادِ، ورُجوعُ النَّاسِ حُرّاثِين، ونزولُ الخلافَةِ الأرض المقدّسة، وكَثْرَةُ المالِ، وَكَوْنُ رَأْسِ الثَّوْرِ بالأُوقِيّة، ونُشوفُ بُحَيْرَةِ طَبَرِيّة، يَشْرَبُها يَأْجوجُ وَمَأْجوجُ، ورخْصُ الخَيْل ونُزُولُ البَرَكات. ولذلك تفاصيلُ لا يَحْتَمِلُها هذا المختصر.

ومن الأشراط: خَرابُ المَدِينَةِ قَبْلَ يَوْم القيامة بِأَرْبَعِين سَنَة، وخروجُ أَهْلِها منها؛ وفي هذا أحاديثُ في السُّنَن وغَيْرِها، بألفاظ ذَكَرَها في «الإشاعة».

ومنها: خروج القَحْطاني، وجَهْجَاه، والهَشِيم، والمُقْعَد، والأَخْنَس، وغيرهم بعد عيسى.

وحديثُ القَحطاني وجَهْجاه في الصَّحِيحَيْن وغَيْرِهما.

ومِنْها: هَدْمُ الكَعْبة وسَلْب حِلْيِها، وإخْراجُ كَنْزِها على يَدِ ذي السُّوَيْقَتَيْن من الحَبَشَةِ، كما عند الشيخين وغَيْرِهما [أبو داود، رقم: ٤٣٠٩] وهُوَ في زَمَنِ عِيسَى أو عِنْدَ قِيامِ السَّاعَةِ على اختلاف الرِّوَايات في ذلك، والثاني أَرْجَحُ. وقيل: هَدْمُها بعدَ خُرُوج الدَّابَةِ؛ وقيل: بَعْدَ الآياتِ كُلِّها، وَقَوَّاهُ السَّفَّاريني، وقالَ: ويُؤَيِّدُ هذا أنَّ زَمَنَ عيسى كلّه زمن سِلْم وبَرَكَةٍ وأمانٍ وخَيْرٍ، وهذا أَلْيَقُ بِكَرَم اللَّهِ تعالى، والذي تَقْتَضِيهِ الحِكْمةُ، فإنَّ البَيْتَ قِبْلَةُ الإسلام، والحجَّ إليه أحَدُ أرْكانِ الدِّين ومبانيه. فالحِكْمَةُ تَقْتَضي بقاءَهُ ببَقاءِ الدِّين، فإذا جاءَتِ الرِّيحُ البارِدَةُ الطيِّبَةُ، وقَبَضَتِ المؤمِنين، فَبَعْدَ ذلك يُهْدَمُ البيتُ، ويَرْتَفِعُ القرآنُ. انتهى.

ويُسْتفادُ منْ كلامِ الشيخ مرْعي أيضاً في «بهجته» كذلك، فبانَ أنَّ هَدْمَ الكَعْبَةِ بعد الآيات كلّها، وإنْ كانَ لا يَخْلُو منْ تَأَمُّلٍ، وقصَّةُ الهَدْم ذَكَرَها الأزْرَقي في تاريخه، والحاكم في «المُسْتَدْرك» وصحّحها، وفيها تفصيلٌ ذَكَرَهُ السَّفّاريني في «اللوامع»، والسيد محمد في «الإشاعة» وغيرِهما في غَيْرِهما، والذي وَرَدَ مِنْهُ في الصَّحيحين يُغْني عَنْ غَيْرِهما.



بـاب
طلوع الشمس من مغربها

قـالَ تـعـالـىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [١٤ سـورة إبـراهـيـم/ الآيـة: ٣٣] وقـال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [٧١ سـورة نـوح/ الآية: ١٦] قالَ أهْلُ العِلْم: طلوعُ الشَّمْس من الأُفُقِ الغَرْبي ثابِتٌ بالسُّنّة الصَّحيحة، والأَخْبارُ الصَّريحة، بل وبالكِتابِ المُنَزَّلِ على النبيِّ المُرْسَل.

وقـالَ تـعـالـى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [٦ سـورة الأنـعـام/ الآيـة: ١٥٨].

أجْمَعَ المُفَسِّرون أو جُمْهورُهم على أنَّهُ طلوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِها؛ وقالَ تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [٧٥ سورة القيامة/ الآية: ٩].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضي اللَّهُ عنه، قال: قال رَسُول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا جَمِيعاً، فَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها»**. أخرجه الشيخان

[البخاري، رقم: ٦٥٠٦؛ مسلم، رقم: ١٥٧] والبيهقي وابن مَرْدويه وأبو الشيخ.

وأخرج أحمد [رقم: ٨١٠٤ و٨٢٤١ و٨٦٣٢ و٩٠٢٥] وابن حميد ومسلم [٢٩٤٧] والحاكم [٥١٦/٤، رقم: ٨٥٧٤] وابن مَرْدويه من حديثِ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ الله عنه، أنَّ النبي ﷺ، قالَ: «**بَادِرُوا بالأَعْمالِ سِتّاً: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَالدَّجَّالُ، وَالدُّخانِ. . . إلخ**».

وعن ابن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ الآياتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها**» أخرجه مسلم [رقم: ٢٩٤١] في «صحيحه».

وأخرج الطبراني من حديث مالك بن يُخَامِر؛ عن معاوية، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم [«فتح الباري» ٣٥٥/١١] رفعوه: «**لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فَإِذَا طَلَعَتْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِما فِيهِ وَكَفىٰ النَّاس العمل**».

والأحاديثُ في البابِ كثيرَةٌ لا يَتَّسِعُ المقامُ لِذِكْرِها.

قال الحافظ ابن حَجَرٍ في «الفتح»: الذي دَلَّتْ عليه الأحاديثُ الثابِتَةُ الصِّحاحُ والحِسانُ أَنَّ قَبولَ التَّوْبَةِ مغياب لِطُلوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَمَفْهومُها أَنَّ بَعْدَ ذلك لا تُقْبَلُ، بَلْ في بَعْضِ الروايات التَّصريحُ بعَدَمِ القُبول، كما عِنْدَ أحمد والطَّبراني وغيرِهما. ثم ذَكَرَ أخباراً وآثاراً.

وقال [«فتح الباري» ١١/٣٥٥]: هَذِه آثارٌ يَشُدُّ بعضُها بعضاً، مُتَّفِقَةٌ على أنَّ الشَّمسَ إذا طَلَعتْ من المَغْرِبِ أُغْلِقَ بابُ التَّوْبَةِ ولم يُفْتَحْ بعد ذلك، ولا يَخْتَصُّ ذلك بيوم طُلوعِها، بل يمتد إلى يَوْمِ القيامَةِ. انتهى.

ووَرَدَ في بعض الروايات أنَّ أوَّلَ الآيات خُروجُ الدَّجَّالِ.

وفي بعضها أَنَّ أوَّلَها طلوعُ الشمس من مَغْرِبها.

وفي بعضها الدَّابَة.

وفي بَعْضها نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم.

وَطريقُ الجمْعِ ـ كما قال الحافظ [ابن حجر «فتح الباري» ١١/٣٥٣] ـ أنَّ الَّذي يَتَرَجَّحُ من مجْموعِ الأخبار أنَّ خروجَ الدَّجَّال أوَّلُ الآياتِ العِظامِ المُؤْذِنَةِ بتَغَيُّر الأَحوالِ العامَّةِ في معْظَمِ الأرْضِ، فلا ينافي تقدُّمَ المهدي عَلَيْه.

وينتهي ذلك بِمَوْتِ عيسى ابنِ مَرْيم، ومَنْ بَعْدَهُ مِن القَحْطاني وغَيْرِه؛ وأنَّ طلوعَ الشَّمْسِ من المغْربِ هو أوَّلُ الآيات المُؤْذِنَةِ بتغيُّرِ الأحوال العامّة في معظم الأرْض، وينْتَهي ذلك بمَوْتِ عيسى ابن مريم، وأَنَّ طلوعَ الشَّمْسِ من المغرب هو أوَّلُ الآياتِ العِظام المُؤْذِنَة بتغيّر أحوالِ العالم العُلْوي، ويَنْتَهي ذلك بقيامِ السَّاعَةِ، والدَّابَّةُ معها، فهي والشَّمسُ كَشَيْءٍ واحدٍ، وأنَّ النارَ أوّل الآياتَ المْؤْذِنة بقيام الساعة. انتهى.

قال في «الإشاعة»: وهذا جَمْعٌ حَسَنٌ، ويدلُّ على ذلك ما في بَعْضِ الرّوايات: «**وآخِرُ ذَلِك ـ يعني الآيات ـ نَارٌ تَحْشُرُ النّاسَ إلى مَحْشَرِهم**» [مسلم، رقم: ٢٩٠١] انتهى.

وقالَ الشيخ مرْعي: وَهَذا كلامٌ في غايَةِ التَّحقيق. انتهى.

وقال السَّفَّارِيني: وَالَّذي يَظْهَرُ، والله أعلم، أَنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجُ المَهْدي، ثُمَّ الدَّجَّالُ، ثم نُزولُ عِيسَى، ثُمَّ خُرُوج يَأْجُوج ومَأْجُوج، ثُمَّ هَدْمُ الكَعْبَةِ، ثم الدُّخان، ثُمَّ ارْتِفاعُ القُرْآن، ثُمَّ طُلوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبها.

ويُحْتَمَلُ أنَّ طلوعَ الشَّمْسِ مُتَقَدِّمٌ على رَفْع القُرْآن، وخُروجَ الدَّابَّة عَقِبَ طُلوعِ الشَّمْس من مَغْرِبها في يَوْمِها أو قريباً مِنْها.

وهذا هو النَّسَقُ الَّذِي مشينا عليه واخْتَرْناه. انتهى.

وَالحاصِلُ أنَّ الأَوَّلِيَّةُ إضافِيَّةٌ لا حقيقيَّة.

وقال الحافظ العلامة عبدالرحمن بن عبدالقادر الهاشمي رحمه الله تعالى في جوابِ سُؤَالٍ عنه ما لفظه: «الآياتُ التي بَيْن يَدَيِّ السَّاعة أَوَّلُها علىٰ الحقيقة، كما جاءَ في حَدِيثِ الحاكم والبيهقي وأَفْتَىٰ به الحافظ ابن حَجَر العَسْقلاني، وتَبِعَهُ الحافظِ السَّخاوي وغيرُهُ: خروجُ الدَّجَّال، ثم نُزُولُ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ، ثم خُرُوجُ يأْجُوجَ وَمَأْجُوج، ثم تَطْلُعُ الشَّمْسُ من مَغْرِبها، ولا تزالُ طالعةً ذلك اليوم إلى أنْ تَصِلَ إلى كَبِدِ السَّماء، ثُمَّ تَزُولُ وتَعودُ إلى المَغْرِب، أي: مِنْ مَطْلِعها؛ وَتَطْلُعُ بَعْد ذلك اليوم من المَشْرِقِ كعادَتِها، ثم تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، كما قال الحاكم، ويكون خروجُها ضُحىً، وكما في صحيح مسلم».

قال الحافظ ابن حجر العَسْقلاني رحمه الله تعالى [«فتح الباري» ١١/٣٥٥ و٣٥٦]، وتَبِعَهُ السخاوي: والحِكْمَةُ في ذلك أنّ بِطُلوعِها من المَغْرِب يُغْلَقُ بابُ التَّوْبَةِ، فتَخْرُجُ الدَّابَّةُ تُمَيِّزُ المؤمِنَ من الكافر تَكْميلًا

للمَقْصودِ مِنْ إغْلاقِ بابِ التوبة، وفي طلوعِها من المَغْرِب رَدٌّ على أهل الهَيْئَةِ ومن وافقَهُم أنَّ الشمس وغيرَها من الفَلَكِيّات بَسِيطةٌ لا تختلفُ مُقْتَضياتُها، ولا يَتَطرَّقُ إليها تغييرٌ عمّا هي عليه، قال الكَرْماني: وقواعِدُهُم مَنْقوضَةٌ ومُقَدِّماتُهم مَمْنوعَةٌ، وعلى تقديرِ تَسْليمها فلا امْتناعَ مِنِ انْطِباق منْطِقَةِ البُروجِ على المُعَدَّل، بحيث يصيرُ المَشْرِقُ مغرباً والمغربُ مشْرقاً. انتهى.

وقال الحَلِيمي: إنَّ أوَّل الآياتِ الدَّجَّالُ، ثُمَّ نزولُ عِيسَى، لأنَّ طُلوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبها لو كان قَبْلَ نُزولِ عِيسى لَمْ يَنْفَعِ الكُفَّارَ إيمانُهم في زمانِهِ، ولكنَّهُ ينْفَعُهم، إذْ لَوْ لم يَنْفعهم لمَّا صارَ الدِّين واحداً بإسْلام مَنْ أسْلَمَ مِنْهُم.

قال البَيْهقي: وهُوَ كلامٌ صَحيحٌ لَوْ لَمْ يعارِضْهُ الحَدِيثُ: «**إنَّ أوَّلَ الآياتِ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ المَغْرِبِ**» وفي حديث ابن عمرو: «**طُلُوعُ الشَّمْسِ وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ**» [مسلم، رقم: **٢٩٤١**؛ أبو داود، رقم: **٤٢٨٨**؛ ابن ماجه، رقم: **٤٠٦٩**؛ أحمد، **٢٠١/٢**]. وفي حديثِ أبي حَازم عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه الجزْمُ بهما وبالدَّجَّال في عَدَمِ نَفْعِ الإيمانِ.

قال البَيْهقي: إنَّ صَحَّ في عِلْمِ اللَّهِ أنَّ طلوعَ الشَّمْسِ يَكونُ سَابقاً احْتملَ أنْ يكونَ المرادُ نَفْعَ أنْفُسِ أهلِ القَرْنِ الَّذِين شاهَدُوا ذلك، فإذَا انْقَرَضُوا، وتَطاوَلَ الزَّمانُ، وعادَ بَعْضُهُم على الكُفْرِ؛ عادَ تَكْليفُ الإيمانِ بالغَيْبَ، وَإنْ كانَ في عِلْمِ اللَّهِ طلوعُ الشَّمْسِ بعد نُزُول عِيسَى احتملَ أنْ يكونَ المرادُ بالآيات في حديث ابن عمر آياتِ أخْرى غَير خروجِ الدجال، ونزولِ عِيسىٰ، إذْ لَيْسَ في الخَبَرِ نَصٌّ أنَّهُ يَتَقَدَّم عيسى.

قال الحافظ ابن حَجَر: وهذا الثاني هو المُعْتَمَدُ، والأخبارُ الصحيحة لا تخالِفُهُ. وعند مُسْلِم [رقم: **٢٧٠٣**] عن أبي هُرَيْرَة مرفوعاً: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، ومفهومُهُ انَّ مَنْ تابَ بَعْدَ ذلك لا تُقْبَل توبَتُه، ولأبي داود [رقم: **٢٤٧٩**] والنَّسائي [في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف»، رقم: **١١٤٥٩**]: «**لا تَزَالُ تُقْبَلُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها**»، وسَنَدُهُ جيد، وهو من حديث معاوية رَضِي اللَّهُ تَعالى عنه مَرْفوعاً.



بـاب
فـي دابة الأرض

قـال تـعـالـى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [٢٧ سورة النمل/ الآية: ٨٢] أي: تُكَلِّمُ المؤمنَ والكافرَ. وجَزَمَ البَيْضاوي أنها الجَسَّاسة، وقيل: غيرها، والكلام في حِلْيَتِها وسِيرَتِها وخُرُوجِها ذَكَرْنَاه في «حجج الكرامة»، وذَكَرَهُ في «الإشاعة» أيضاً؛ وكله مستفاد من الأحاديث والآثار.

وخروجُ الدَّابَّة؛ قيل: من مدينة قَوْم لُوط، وقيلَ: مِنْ بعض أَوْدِيَةِ تِهامَة خارِج مكة، وقيل: من مِكّة، وهو المَشْهُورُ.

ثُمَّ اخْتُلِفَ، فقيلَ: مِنْ صَدْعٍ بالصَّفا، وقيل: بالمَرْوَةِ، وقيل: من شُعْبِ أجْياد.

ويُجْمَعُ بَيْنَ هذه الأقوال بما جاءَ في الأحاديث المرْفُوعَةِ والموقوفة كما قَالَ الحافِظُ السَّخاوي وغيرُهُ، من أَنَّها تَخْرُجَ ثلاث خَرْجات: الأُولَىٰ من أقْصَى البادِيَة، ولا يَدْخُلُ ذِكْرُها القَرْيَة، يعني: مَكَّة؛ ثُمَّ يَمْكُثُ زماناً طويلاً، ثُمَّ تَخْرُجُ مَرَّةً أخرىٰ دُونَ تلك، أي: من بادِيَةٍ قريبَةٍ من تلك البادية، فَيَعْلُو ذِكْرُها في أهْل البادِيَة، ويَدْخُلُ

ذِكْرُها القَرْيَةَ، يعني: مكة؛ الثالثة: خُروجُها العامّ مِن مَكّة، فتَسِمُ المُؤْمِنَ فيَبْيَضّ وجْهُهُ، ويُكْتَبُ بَيْن عَيْنيْه: مُؤْمِنٌ؛ وتَسِمُ الكافِرَ، ويُكْتَبُ بين عَيْنَيْه: كافِرٌ، فَيَسْوَدُّ وَجْهُهُ؛ وتَطُوفُ الأَرْضَ كُلَّها.

❁ ❁ ❁

بـاب
ومن أشراط الساعة الدخان

وَهُوَ بَعْدَ دَابَّةِ الأَرْضِ، ويَمْكُثُ في الأرْضِ أَرْبَعين يَوْماً، كما في الحدَيثِ المرفوعِ من رِوَايَةِ حُذَيْفة بن أَسِيد عند مسلم [رقم: ٢٩٠١] والترْمذي [رقم: ٢١٨٣] وابن ماجه [رقم: ٤٠٥٥]: «**وَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ كَهَيْئَةِ الزُّكَام، وَيَكُونُ قَبْلَ الرِّيحِ، لأَنَّ بَعْدَ الرِّيحِ لا يَبْقَىٰ مُؤْمِنٌ، وَإِنَّما يَكُونُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ**».

قالَ العُلماء: آيَةُ الدُّخانِ ثابِتَةٌ بالْكِتاب وَالسُّنَّةِ، أمَّا الكِتَابِ، فقولُهُ تَعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [٤٤ سورة الدخان/ الآية: ١٠].

قال ابْنُ عَبّاس، وابْنُ عُمَر، وزَيْد بن علي وغيرُهُم: هُوَ دُخانٌ قَبْلَ قِيامِ السَّاعَةِ، يَدْخُلُ في أَسْمَاعِ الْكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ.

وأما السُّنَّةُ فكَثيرَةٌ، منها ما أَشَرْنا إليه، ومنها حَدِيثُ حُذَيْفَة عند الطَّبراني [راجع تفسير الطبري، ٢٥/١١٤]، وفيه أنَّ «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخاناً يُمْلي مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، يَمْكُثُ في الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، أَمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ شِبْهَ الزُّكامِ، وأمَّا الكافِرُ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ**

السَّكْرَانِ، يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فِيهِ وَمَنْخَرَيْهِ وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ» إلىٰ غَيْرِ ذلك من الأحاديثِ الواردة في الصَّحيح وغَيْرِه.

❀ ❀ ❀

بـاب
ومنها رِيحٌ طَيِّبَةٌ

تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ إيمانٍ، ويَبْقَىٰ مَنْ لا خيرَ فِيه، فيَرْجِعونَ إلى دِينِ آبائِهِم، وَتَأْتي مِنْ قِبَلِ الشَّام، أَوْ مِنَ اليَمَنِ، وقيل: هما رِيحان: شَامِيَّةٌ وَيمانِيَّةٌ، ثم يَبْقَىٰ شِرارُ النَّاسِ حَتَّى لا يُقالَ في الأرض: «لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ» وَعَلَيْهِم تَقُومُ السَّاعَةُ.



باب
ومنها أنْ يُرْفَعَ القرآنُ من المَصَاحِفِ والصُّدُورِ

وهو من أشَدِّ مُعْضلاتِ الأمور، قال في «البَهْجة»: قرارُ الأَئِمَّةِ أنَّهُ يُرْفَعُ أوَّلاً من المَصاحِفِ، وذلك أَنَّهُمْ يبيتُون فيُصْبحونَ ولَيْس فيها حَرْفٌ مكْتوبٌ، ثم يُرْفَعُ من الصُّدُور عَقِبَ ذلك، انتهى.

وفي الباب أخبارٌ وآثار.

❁ ❁ ❁

ومنها أن تُهْدَمَ الكَعْبَةَ، ويَتَقارَبُ الزَّمانُ، وتَقْصُرَ الأَيَّام بحيث تَكونُ السَّنَةُ كالشَّهْرِ كما في حديث أبي هُرَيْرَة عند مُسْلِمٍ.



بـاب
فـي آخر الآيات العظام

وآخر الآيات العظام نار تَخْرُجُ من قَعْرِ بئر عَدَنٍ، تَحْشُرُ النَّاسَ إلىٰ مَحْشَرِهِم، كما في حَدِيث أنس عند أحمد والبخاري.

وعن ابن عمر: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ**» قَالوا: يَا رَسُولَ الله! فَما تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**» أخرجه أحمد [رقم: **٤٥٢٢ و ٥١٢٤ و ٥٣٥٣ و ٥٩٦٦**] والترمذي [رقم: **٢٢١٧**]، وقال: حَسَنٌ غريبٌ صَحِيحٌ، وقيل: مِنْ وَادِي بَرَهُوت، تَسِيرُ سَيْرَ بَطِيئة الإِبِلِ، تَسِيرُ بِالنَّهارِ وَتُقِيمُ بالليل، تَغْدُو وَتَرُوحُ؛ وَقِيلَ: مِنْ حِبْسِ سَيْل [«كنز العمال»، رقم: **٣٨٨٨٩**].

ووجْهُ الجَمْعِ أَنَّهَا تَخْرُجُ أَوَّلاً من بَرَهُوت، ويُقال له: وادي النَّار، وهو في قَعْر عَدَن، وعَدَنُ على ساحل البَحْر، فالعباراتُ مآلها واحدٌ، وتمرُّ بحِبْسِ سَيْلٍ أيضاً، والخطابُ لأهْلِ المَدِينة، وحِبْسُ سَيْل قريبٌ من المَدِينةِ، فوصولُ النارِ إلَيْه يكون قَبْلَ وصولِها إلى المدينة، فصَحَّ أنْ يقالَ لَهُم: إنَّها تَخرج منْ حِبْسِ سَيْل.

وقال في «الفتح»: ابتداءُ خُروجِها من عَدَن، فإذا خَرَجَتِ انْتَشَرتْ في الأَرْضِ كلها. انتهى.

وتَدورُ الدُّنْيا كلُّها في ثمانية أيام، أي: تَنْتَشِرُ في هذه الأيام، ثم تسيرُ على سَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ ذلك.

والحاصلُ أَنَّ لها حالاتٍ، فتارَةً هكذا، وتارةً هكذا، وإنْ ثَبَتَ تَعدُّدُ النارِ زالَ أصْلُ الاسْتِنْكار.

وهذا الحَشْر ـ أي: حشر النار الناسَ أحياءً إلى الشام ـ يكونُ قَبْلَ يوم القيامة، قالَهُ القُرْطُبيُّ والخَطَّابي، وصوَّبَهُ القاضي عياض؛ وأمّا الحَشْرُ مِنَ القُبورِ على ما في حديثِ ابن عباس مَرْفوعاً كما في الصحيحين [البخاري، رقم: **٣٣٤٩**؛ مسلم، رقم: **٢٨٦٠**] وغَيْرِهما: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُراةً غُرْلًا**» هو يومُ القيامة، قاله الحكيم الترمذي والغزالي والحافظ ابن حَجَر والتُوربشتي.

قال الطِّيبي: وهو الحقُّ الَّذي لا مَحيدَ عنه.

وقال في «الإشاعة»: فَثَبَتَ أَنَّ الحقَّ أَنَّ النارَ قبل يوم القيامة.

قال السفاريني: قلتُ: وهو كما قال. انتهى.

ثم يُنْفَخُ في الصُورِ النَّفْخَةُ الأُولَىٰ، فَيموتُ كُلُّ الخَلْقِ، ويَمْكُثُون أربعين عاماً كما في الصحيحين [البخاري، رقم: **٢٤١١**؛ مسلم، رقم: **٢٣٧٣**]، ثم يُنْفَخُ في الصُورِ النفحة الثانية، فيقومُ الخَلْقُ للعَرْضِ والحساب، ثم يقالُ: يا أيُّها الناس! هَلُمُّوا إلىٰ رَبِّكُم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [**٣٧** سورة الصافات/ الآية: **٢٤**]. نَسْأَلُ اللَّهَ تعالىٰ العَفْوَ والعافية في الدّارَيْن.

هذَا زُبْدَةُ ما مخَّضَهُ المُتَقَدِّمون، وثَمَرَةُ ما غَرَسَه المتأخِّرون؛ وقد عَزَوْنا كلَّ قَوْلٍ لقائله، وكلَّ حديثٍ لناقِلِهِ غالباً، لِيَعْلَمَ مَنْ أمْعَنَ النَّظَرَ وأَنْعَمَ الفِكْرَ فيما حَرَّرْتُه أَنَّهُ ما ثَبَتَ في هذا الباب، ونَطَقَتْ به نصوصُ السنة وأدِلّة الكِتاب.



خاتمة

فيما اشْتَهَر بين النّاسِ أنَّ مقدارَ الدنيا سبعة آلاف سنة

اعْلَمْ أنَّ مقدارَ الدُّنْيا لا يَعْلَمُهُ إلا الله سبحانه وتعالى، ولم يَرِدْ نَصٌّ من كتابٍ ولا سُنَّةٍ في بيانِ ذلك، ووَرَدَتْ أخبارٌ وآثارٌ، وما يحصُلُ بها جَزْمٌ بأنَّهُ قدْرٌ مُعيَّنٌ، ونذْكُرُ ما قالَهُ أئمَّةُ العِلْمِ مِنْ ذَلِكَ[1]. فنقولُ:

أَخْرَجَ ابنُ جَرير في مقدِّمَةِ تاريخِهِ، [وفي تفسيره في تفسير سورة الحج، وفي الموضعين عن ابن أبي حاتم] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنَّهُ قَالَ: الدُّنْيَا جُمُعَةٌ من جُمَعِ الآخِرَةِ سَبْعَة آلاف سَنة، وقَدْ مَضَىٰ سِتَّة آلاف ومئة سنة [وراجع «كنز العمال» رقم: **١٥٢٢٢**؛ وراجع ما ورد في «المنار المنيف» لابن القيم حول هذا النص].

وأَخْرَجَ عن كَعْبِ الأحبار: الدُّنْيا سِتَّةُ آلاف سنة.

وعن وَهْبِ بن مُنَبِّه مثْلُه.

---

(١) كان اعتماد المؤلف بشكل أساسي في كتابته هذه الخاتمة على «فتح الباري» لابن حجر.

وأرادَ الَّذي مَضَىٰ منها خمسة آلاف ست مئة [راجع «الجامع لأحكام القرآن» ج١٧، سورة القمر/ الآية: ١].

ثم زَيَّفَ الطبريُّ ذلك، ورَجَّحَ ما رُوِيَ عن ابنِ عَبَّاسٍ أنها سَبْعة آلاف، ثم أوْرَدَ حديثَ ابْنِ عُمَرَ فِي الصَّحِيحَيْن [البخاري، رقم: ٥٥٧، ولم أجده في مسلم] مرفوعاً: **«إنَّما أَجَلُكُمْ في أجَلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إلا مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ»**.

وَعَنْهُ أَيْضاً مَرْفوعاً: **«مَا بَقِيَ لأُمَّتِي مِنَ الدُّنْيَا إلا كَمِقْدَارِ إذَا صَلَّيْتَ العَصْرَ»** [«فتح الباري» ١١/٣٥٠].

وعَنْهُ أيضاً: كُنَّا عِنْدَ النَّبيّ ﷺ والشَّمْسُ على قَيْقُعان مَرْتَفِعةً بَعْدَ العَصْرِ، فقال: **«مَا أَعْمارُكُمْ في أعْمَارِ مَنْ مَضَىٰ إلا كَما بَقِي مَنْ هَذَا النَّهارِ مِمَّا مَضَىٰ مِنْهُ»** وهو عند أحمد [١١٦/٢] بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وأخرج منْ حَديثِ أَنَسٍ: كُنَّا عنْدَ النَّبيِّ ﷺ يَوْماً، وَقَدْ كادَتِ الشَّمْسُ أنْ تَغِيبَ؛ فَذَكَرَ نَحْوَ حَديثِ عُمَر الأول.

وأَخْرَجَ [«مسند أحمد» ١٩/٣ و ٦١] من حديث أبي سَعِيدٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: **«إنَّ مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيا في مَا مَضَىٰ مِنْها كَبَقِيَّةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَىٰ»**.

ثم إنَّ ابْنَ جَرِيرٍ جَمَعَ بَيْنَ هذه الأحاديث بما حاصِلُهُ أَنَّهُ حَمَلَ قولَهُ: **«بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ»** علىٰ ما إِذَا صُلِّيَتْ في وَسطَ من وَقْتِها.

وتعقَّبَهُ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ [«فتح الباري» ٣٥١/١١] بقولِهِ: قُلْتُ: هُوَ بَعِيدٌ مِنْ لَفْظِ حَدِيثِ أنَسٍ وأبي سَعِيد.

ثم قالَ [«فتح الباري» ٣٥٠/١١]: إنَّ حَدِيثَ ابنِ عَبّاسٍ المذكورَ

فيه يحيى بن يعقوب أبو طالب القاضي الأنصاري، قال البخاري: مُنْكَرُ الحَديث، وشَيْخُه حَمّادُ ابْنُ أبي سلمان: فَقِيهُ أهْلِ الكوفة، فيه مَقالٌ؛ وحديثُ أبي سَعِيدٍ فيه علي بن زَيْد بن جَدْعان، وهو ضعيفٌ؛ وحديث أنَسٍ فيه موسى بن خلف. انتهى.

وأيَّدَ ابْنُ جريرٍ حديثَ ابنِ عباس بحديثِ أبي سعيد [بل أبي ثَعْلَبَة الخُشَنِي] مَرْفوعاً: «**أنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هذه الأمة مِنْ نصْفِ يَوْمٍ**» أخْرَجَهُ أبو داود [رقم: ٤٣٤٩]، والحاكم [رقم: ٨٣٠٦] وصححه، لكن قال الحافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمه الله تعالى: رَجَّحَ البخارِيَّ وَقْفَهُ.

وأخرج أبو داود [رقم: ٤٣٥٠] من حديث سَعْدِ ابن أبي وَقّاص مرفوعاً: «**إنِّي لأرْجُو أنْ لا تُعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّها أنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ**» قِيلَ لِسَعْدٍ: كَمْ نِصفُ يَوْمٍ؟ قَالَ: خمس مئة سَنَة.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ [«فتح الباري» ٣٥١/١١]: رواتُهُ مُوَثَّقون، إلا أنَّه مُنْقَطِعٌ.

قال ابنُ جَرير: ونِصْفُ يوم خمس مئة، أَخْذاً من قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية: ٤٧]، فإذا انْضَمَّ إلى قَوْلِ ابن عباس أنَّ الدنيا سبعة آلاف سنة، كانَ الباقي خمس مئة سنة تقريباً. انتهى كلامُ ابنِ جَرِير.

وأيَّدَهُ المحقِّقُ السُّهَيْلي، ولكنَّهُ اسْتَشْعَرَ أنَّ حديث خمس مئة ينافي حَديثَ ابْنِ عبّاس، لأنَّهُ قاضٍ ببقائها تسع مئة سنة.

قال: ولَيْسَ في حديثِ: «**نصْف يوم**» ما يَنْفي الزيادة على خمس مئة.

قال: وقد جاءَ بَيانُ ذلك فيما رَواه جعفر بن عبدالواحد بلَفْظِ: **«إنْ أَحْسَنَتْ أُمَّتي فَبَقَاؤهَا يَوْمٌ من أيامِ الآخِرَةِ ألف سنة، وإنْ أساءَتْ فَنِصْفُ يَوْمٍ»** وأيَّدَ كلامَ الطبري أيضاً بحديث مسْتَوْرد مرفوعاً: **«الدُّنْيا سَبْعَةُ آلاف سَنَة، بُعِثْتُ أنَا في آخِرِهَا»**.

لكن قال الحافظ ابنُ حَجرٍ [«فتح الباري» ١١/٣٥١]: أنَّهُ أخْرَجَه ابن السَّكَنِ، وسَنَدُهُ ضَعيفٌ جِدّاً. انتهىٰ.

وأيَّدَ ابنَ جَريرٍ ما ذَهَبَ إليه حديثُ سَهْل بن سَعْد مَرْفوعاً: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»** يُشيرُ بِأُصْبُعَيْهِ يَمُدُّهُما. [البخاري، رقم: ٦٥٠٣؛ مسلم، رقم: ٢٩٥٠] انتهى.

وجاءَ في أحاديثَ عديدةٍ بيانُ الأُصْبُعَيْن. أَنَّهُمَا السَّبَّابَة والوُسْطَىٰ.

قُلْتُ: وهذا مُبْنِيٌّ على أنَّهُ ﷺ أرادَ بالتّشْبيهِ قَدْرَ ما بَيْنهما، وهو الَّذي يؤيِّده رِوايَةُ: **«كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا على الأُخْرَى»**.

قال عياض القاضي: حاوَلَ بَعْضُهُم في تأويلِهِ أنَّ نِسْبَةَ ما بَيْنَ الأُصْبُعَيْن كنِسْبَةِ ما بَقِي من الدنيا بالنسبة إلى ما مَضىٰ، وأَنَّ جُمْلَتَها سبعة آلاف.

واسْتَنَدَ إلى أخبار لا تصحّ، وذَكَرَ ما أَخْرَجَهُ أبو داود [رقم: ٤٣٥٠] في تأخير هذه الأمة نِصْفَ يَوْم، وفسَّرَهُ بخمس مئة سنة.

فَيُؤْخَذُ من ذلك أنَّ الَّذي بَقِيَ نِصْفُ سُبْعٍ، وهو قريبٌ مِمّا بَيْنَ السَّبَّابَةَ والوُسْطى في الطول.

قال: وقد ظَهَرَ عَدَمُ صِحّةِ ذلك لِوُقوعِ خلافِهِ، ومجاوَزَةِ هذا المقادر، ولو كان ثابِتاً لم يَقَعْ خلافُهُ. انتهى.

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير: يُريدُ القاضِي أنَّ نصْفَ السُّبْع خمس مئة سنة، وقد مَضَتْ إلى عَصْرِ القاضي عِياضَ، فإنه توفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة، كما قالَهُ ابن خَلِّكَان.

وقال الحافظ ابن حجر [«فتح الباري» ١١/٣٥٠]: قُلْتُ: وقدِ انْضافَ إلى ذلك منْذُ عهد القاضي إلى هذا الحين ثلاث مئة سنة. انتهى.

وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد الحافظ ابن حَجَر ثلاث مئة سنة وثلاث عشرة سنة.

فإنَّا الآن في سنة سبعٍ وستين بعد المئة والألف، وهو القَرْنُ الثاني عشر، وذلك أنَّ وفاةَ ابْنِ حَجَرٍ في سنة ثنتين وخمسين وثمان مئة. انتهى.

قُلْتُ: وأنا الآن حِيْنَ كتابَةِ هذه الرِّسالَةِ في سنة أربع وتسعين ومئتين وألف، وهو القرن الثالث عشر.

قال السيد الإمام المذكور رَحِمَهُ الله تعالى: فلا يَخْفَى أنَّ هذا قادِحٌ في الأخبار الدالَّةِ على أنَّ مُدَّةَ الدُّنيا سبعة آلاف سنة، مع جَعَلِ القاضي ستة آلاف ومئة سنة، وإذا عَلِمْتَ أنَّهُ قَدْ بَطَلَ حَمْلُ حديثِ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَة»** على ما ذُكِرَ تعيَّنَ حَمْلُهُ على ما قالَهُ القاضِي عياض أنَّهُ على اختلافِ ألفاظِهِ إشارةٌ إلى قِلّةِ المدَّةِ بَيْنَهُ ﷺ وبَيْنَ السَّاعَةِ.

ومثْلُهُ ما قالَهُ القُرْطُبي في «المُفْهِم شرح صَحيح مُسْلِم» [«فتح الباري ١١/٣٤٩].

هذا وقَدْ أيَّدَ السُّهَيْليُّ كلامَ ابْنِ جَريرٍ بشَيْءٍ آخَرَ، فقال: يَجوزُ أنَّ

في عَدَدِ حُرُوفِ أوائلِ السُّوَرِ، مع حَذْفِ المُكَرَّر ما يُؤَيِّدُ ذلك، وذلك أنَّ عِدَّتَها تسع مئة وثلاثة. [«فتح الباري» ١١/٣٥١]. انتهىٰ.

قال السيد العلامة [الأمير الصَّنْعاني]: هذا ما وَعَدْناكَ بِهِ، وإنَّهُ دَخَلَ اصطلاحُ اليهودِ على العلماء حتى حَمَلُوا كلامَ اللَّهِ تعالى عليه، على أنَّ هذا الذي ذَكَرَهُ السُّهَيْلي على فَرَضِ جوازِهِ غَيْرُ صَحيحٍ.

فإنَّه تَعَقَّبَهُ الحافظ ابنُ حَجَرٍ بأنْ عَدَّها وأسْقَطَ المُكَرَّرَ.

ثم قال: إنَّها بإسْقاطِهِ إذا حُسِبَتْ بالجُمَّلِ المغْرِبي بَلَغْت ألفَيْن وست مئة وأربعة وعشرين.

وأما الجمَّل المشْرِقي فتبلغ ألفاً وسبع مئة وأربعة وخمسين.

ثم قال: ولم أذْكُرْ ذلك لِيُعْتَمَدْ عليه، بل لأُبَيِّنَ أنَّ الذي جَنَحَ إليه السُّهَيْلي، لا ينْبَغي أن يُعْتَمَدَ عليه، لِشِدَّةِ المخالَفَةِ فيه [«فتح الباري» ١١/٣٥٢]. انتهى.

قُلْتُ: لمَّا تقارَبَ انخرامُ القَرْنِ التاسع.

ذكر الحافِظُ السُّيوطِي: أنَّهُ وَصَلَ إلَيْهِ رَجُلٌ في سنة ثمان وتسعين وثمان مئة في شهر ربيع الأول، ومَعَهُ ورَقَةٌ حاصِلُ ما فيها الاعتمادُ على حَدِيثِ: «**إنَّهُ لا يَلْبَثُ النبيُّ ﷺ في قَبْرِهِ ألف سنة**» وأنَّهُ أفْتَىٰ بَعْضُ العلماء اعتماداً على هذا الحديثِ، بأنَّ في المئة العاشرة خروجَ المَهْدِيّ، والدَّجّال، ونزولَ عيسى، وسائِرَ الآيات من أشراط الساعة.

ثم قال السُّيوطي: على أنَّ هذا الحديثَ باطِلٌ. وأطالَ الكلام في صَدْرِ رسالَتِه التي سماها «الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف».

ثم ذكر أنَّ الذي دَلَّتْ عليه الآثار أنَّ هذه الأمة تزيد مُدَّةُ بقائها في الدُّنيا على ألْفِ سَنَةٍ، وأنَّها لا تَبْلغ الزيادة خمس مئة سنة، ثم اعْتَمَدَ ما ذَكَرَهُ ابنُ جَرِيرٍ أنَّ مُدَّةَ الدُّنيا سبعة آلاف سنة.

قَالَ: وذلك لأنَّهُ وَرَدَ من طُرُقٍ أنَّ مُدَّةَ الدنيا من لَدُنْ آدم عليه السلام إلى قيامِ السَّاعة سبعة آلاف سنة، وأنَّ النبيَّ ﷺ بُعِثَ في آخِرِ الألْفِ السادس، وساقَ ما قدَّمْناه من أدلَّة ابن جَريرٍ، بل قال: وصَحَّحَ ابنُ جَريرٍ هذا الأصْلَ، وعَقَدَهُ باباً. انتهى.

قال السَّيِّدُ الأميرُ: قُلْتُ: وما كانَ للسُّيوطيِّ أن يُعْرِضَ عن تعقُّبات الحافظ ابن حَجَر، بل كانَ يتعيَّنُ عليه ذِكْرُها وإقرارُها أو رَدُّها، فإنَّ تَرْكَهُ لها يُوهِمُ الناظِر في كلامِهِ وسكوتِهِ على تَصْحيح ابْنِ جَريرٍ، وَلَيْسَ كذلك كما عَرَفْتَ.

ثم أسْنَدَ السُّيُوطِيُّ في جَزْمِهِ ببقاءِ الأُمَّةِ بعد الألْف أقَلَّ من خمس مئة سنة إلى آثار ذكرها، منها: ما أخْرَجَه ابنُ أبي شَيْبَة، عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «**يَبْقَىٰ النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِئَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً**» وإلى أنَّهُ يَلْبَثُ عِيسَىٰ عليه السلام أرْبَعين سنةً بَعْدَ قَتْلِهِ الدجَّال، ثمّ يخْلف رَجُلٌ من تميم يبقى ثلاث سنين، وإلى أنَّهُ يبقى الناسُ بعد إرسالِ الله رِيحاً تقبضُ رُوحَ كلِّ مؤْمِنٍ مئة سنة لا يعرفون دِيناً من الأديان، وإلى أنَّ بين النَّفْخَتَيْن أربعين عاماً، وإلى أنَّهُ ينزل عيسى على رَأس مئة سنة.

فهذه مئتا سنة وثلاثة وستون سنة.

ونحن الآن في القرن الثاني عشر، ويضافُ إليه مئتان وثلاثة

وسِتّون سنَة، فيكون الجميع أَرْبَعة عشرة مئة وثلاثة وستين.

وعلى قوله: إنَّهُ لا يبلغ خمس مئة سنة بَعْدَ الأَلْف يَكُونُ مُنْتَهىٰ بقاءِ الأُمَّة بعد الألف أربع مئة سنة وثلاثة وستين سنة، ويَتَخَرَّجُ منه أنَّ خروجَ الدَّجَّال ـ أعاذنَا اللَّهُ من فِتْنَتِه ـ قبل انخرامِ هذه المئة التي نحنُ فِيها، وهي المئة الثانية عشر من الهجرة النبوية. انتهى.

أقول: وقَدْ مَضَى إلى الآن على الألف نحو من ثلاث مئة سنة، ولم يَظْهَرِ المَهْدِيُّ، ولم يَنْزلْ عيسى، ولم يَخْرجِ الدَّجَّال، فدَلَّ على أن هذا الحساب ليس بِصَحيحٍ.

ثم قال السيد العلامة: قُلْتُ: وقد أَخْرَجَ مُسْلِم [رقم: ٢٩٤] والحاكم عن ابن عَمْرو رضي الله عنه مرفوعاً: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَمْكُثُ في أُمَّتي أَرْبَعِينَ**» انتهى.

هَكَذَا لَمْ يَتَمَيّزِ العَدَدُ بِشَيْءٍ، لا بالأَيّامِ ولا بالشُّهور ولا بالسِّنين، فلو كانت سِنين لكان ظهورُهُ من رأس سِتِّين من هذا القرن، إلا أنه قَدْ ثَبَتَ عند أحمد وابن خزيمة وأبي يَعلى، والحاكم [٤/٥٥٠، رقم: ٨٦٥٤]: تعيين الأربعين بليلةٍ، فهي أربعون يوماً.

وقال: يَوْمٌ مِنها كالسنة، ويوم كالشَّهْر، ويَوْم كالجمعة، وسائر أيامِهِ كأيَّامِكُم.

وعلى هَذا يكونُ خروجُهُ في سنة تسع وتسعين من هذا القرن الذي نَحْنُ فيه، وإنَّما قُلْنا ذلك ليتمّ نزول عيسى في رأْسِها، ويَبْقى عِيسى من القرن الثالث عشر أربعين سنة، وخليفتهُ ثلاث سنين، ثم تَطْلُعُ الشَّمْسُ من مَغْرِبها، ويبقَى الناس مئة وعشرين بعد طُلُوعِها،

ويحتمل أن المئة التي تَبْقىٰ الناس فيها لا يعرفون ديناً، هي من هذه المئة والعشرين. هذا خلاصَةُ كلام السَّيوطي في «رسالة الكشف» وفيه ما عَرَفْتَ. واستدلَّ على ما ذَكَرَهُ بآثارٍ عن السَّلَفِ، كأنَّهُ يقول: إنها لا تُقالُ مِنْ قِبَلِ الرأي، فَلَهَا حُكْمُ الرَّفْع.

وقد تَعقَّبَ الحافِظُ ابن حجَر أَثَرَ ابْنَ عُمَر في أَنَّهُ يُبْقى الناس بعد طُلوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها مئة وعشرين سنة، بقولِهِ: رَفْعُ هذا لا يَصِحُّ.

وقد أخْرج عَبْد بن حُمَيد في تَفْسِيره، بسَنَدٍ جَيِّدٍ عن ابن عمر، ويرفعه [«مسند أحمد»، رقم: ٧٠٠٠] **«الآياتُ كَخَرَزَاتٍ مَنْظُوماتٍ في سِلْكٍ، إِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضاً»**.

وعِنْدَ ابْنِ عَساكِر من حديث حُذَيْفَةَ بنِ أَسِيدٍ يَرْفَعُهُ: **«بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَةِ عَشْرُ آيَاتٍ كالنظم في الخَيطِ، إِذَا سَقَطَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ تَوَالَتْ»** [«كنز العمال»، رقم: ٣٨٦٤٦].

وعَنْ أَبِي العَالِيَةَ: **«بَيْنَ أَوَّلِ الآيَاتِ وَآخِرِهَا سِتَّةُ أَشْهُرٍ يَتَتَابَعْنَ كَتَتَابُعِ الخَرَزَاتِ في النِّظَامِ»**.

وأَخْرَجَ ابن مَرْدَويه من حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِيهِ: **«أَنَّها إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فَإِنَّهُ لَوْ نَتَجَ لِلرَّجُلِ مهرٌ لَمْ يَرْكَبْهُ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»**. انتهى.

قال القاضي عِياض: إنَّ حديث: **«إِنْ يَعِشْ هَذَا الغُلامُ فَعَسَىٰ أَنْ لا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»** [مسلم، رقم: ٢٩٥٣] يُفَسِّرُهُ الحديثُ الذي قَبْلَه.

كانَتِ الأعْرابُ إذا قَدِمُوا على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ

السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَيَنْظرُ إلىٰ أَحْدَثِ إنْسانٍ مِنهُم، فيقول: **«إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلامُ لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»** [مسلم، رقم: **٢٩٥٢**] فهذا يَدُلُّ على أن ساعَتَكم مَوْتُكُم. ويَكُونُ هذا مثْل الحديث الآخر: **«أَرَأَيْتُكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ عَامٍ لا يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدٌ»** [البخاري، رقم: **٥٦٤**؛ مسلم، رقم: **٢٥٣٧**]. انتهى.

وبيانُهُ ما قالَ الرَّاغب [الأصفهاني في كتابه «المفردات» مادة: الساعة]: إنَّ السَّاعَةَ تُطْلَقُ على ثلاثة أشياء:

الأَوَّلُ: الساعة الكُبْرَى، وهي بَعْثُ الناس للمُحَاسَبَة.

والثَّاني: الساعة الوسْطَىٰ، وهو موتُ أهْل القرن الواحِدِ، وعليه حَمَلوا ما رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ رَأَىٰ عَبْدَالله بن أَنِيسٍ، فقال: **«إنْ يَطُلْ عُمُرُ هَذَا الغُلامِ لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»** فقيل: إنَّهُ آخِرُ مَنْ ماتَ مِنَ الصَّحابة. [مسلم، رقم: **٢٢٦٩**].

والثالِثُ: وهي الصُّغرىٰ: مَوْتُ الإنسانِ، فساعَةُ كُلِّ إنسانٍ مَوْتُهُ، ومنه قَوْلُه ﷺ عند هبوب الريح لخوفه الساعة، أي: موته [راجع «مسند أحمد» ٦/٦٦؛ وراجع «فتح الباري» **٢/ ٥٢٠**]. انْتَهَى.

إلاَّ أَنَّهُ قالَ الحافظ ابْنُ حَجَر: إن ما ذَكَرَه عن ابْنِ أَنِيس لم أَقِفْ عَلَيْه، وَلا هُوَ آخِرُ من ماتَ من الصحابة هرماً. انتهى.

قال السيد العلاّمة [الأمير الصنعاني] رَحِمَهُ الله تعالى: وعَلَىٰ هذا، فجَوابُهُ ﷺ عن سُؤَالِ الأَعْراب من بَابِ الأُسْلوب الحَكِيم، وإجابَةِ السَّائل بخلافِ ما يترَقَّب، ووَجْهُهُ أَنَّهُم سَأَلوه عن السَّاعَةِ

بالمَعْنى الأَوَّل، وهي السَّاعَةُ الكُبْرَىٰ، فأجابَهُمْ بالسَّاعَةِ الوُسْطى إشارة إلى أنَّ الأَهَمَّ هو ذلك، وإعلاماً بأنَّ الساعة الكبرى قد طَوىٰ سبحانه وتعالى تَعْيينَها، وأنَّه لا يَعْلَمُها إلا هو، ولا يجليها لوَقْتِها غيرُه. انتهى.

قلت: وفي الحديث: «**مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قيامَتُهُ**» [رواه ابن أبي الدنيا في «الموت»؛ وقال الفتَّنِي: وهو من قول الفُضَيل بن عياض] أي: ساعَتُهُ الوُسْطى دون الكُبْرى.

قال السَّيِّدُ العلامة [الأمير الصنعاني]: وإذا أَحَطْتَ عِلْماً بجميع ما سقْنَاهُ، عَلِمْتَ بأَنّ القولَ بِتَعْيينِ مدَّةِ الدُّنيا من أوَّلِها إلى آخِرِها بأنَّهُ سَبْعة آلاف سنة لم يُثْبُتْ فيه نَصٌّ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ.

وَغايَةُ ما فِيه آثارٌ عن السَّلَفِ، وإنْ كانَتْ لا تُقالُ إلا عنْ توقِيفٍ، فلعلّها مأخوذَةٌ عنْ أهْلِ الكتاب، وفي أسانِيدِها مَقالٌ، وقد عُلِمَ تغْييرُهم لما لَدَيْهم عنِ اللَّهِ تعالى وعن رسولِهِ، وأَهْلُ الكتاب هُمُ القائلون: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية: ٨٠] ونَقَلَ عنهمُ المُفَسِّرُون أَنَّهم قالوا: إنَّ مدَّةَ الدُّنيا سبعة آلاف سنة، وإنَّهُم يعذَّبون بكُلِّ أَلْفِ عام يَوْماً من الأيّام، فإنَّهُ أَخْرَجَ ابنُ جَريرٍ وابنُ المُنْذِر وابنُ أبي حَاتم والطَّبرانيُّ والواحِدِيُّ، عن ابْنِ عَبّاسٍ، أنَّ يهوداً كانوا يقولون: مُدَّةُ الدُّنْيا سَبْعة آلافِ سَنَة، وإنَّما نُعذَّبُ بكُلِّ أَلْفٍ من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة ثم ينقطع العذاب؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآيات: ٨٠، ٨١]. انتهى.

وكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فيما قالوهُ، ولَعَلَّ هذا الذي نَقَلَهُ عَنِ السَّلَفِ من الآثارِ التي سُقْنَاها، وسَاقَها ابنُ جَريرٍ والسُّيوطيّ في رسالة «الكشف» مأخوذَةٌ من أهْلِ الكِتَابِ، إذ لم يَثْبُتْ بنَصٍّ نبويٍّ عَنْهُ ﷺ بأنَّ مُدَّةَ الدُّنْيا كَذَا، على أنَّ تلك الآثار القاضِيَة بأنَّ مُدَّتَها سبعة آلاف سنة معارِضَةٌ لما أخْرَجَهُ عَبْدُالرزاق، وعَبْدُ بنُ حُمَيْد، عن مُجاهِد وعكرمة، في قولِهِ تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٧٠ سورة المعارج/ الآية: ٤] قالا: هي الدُّنْيا، أوَّلُها إلى آخِرِها يَوْمٌ مقداره خمسون ألف سنة، يوم القيامة. انتهىٰ.

فهَذِه الآثارُ مُتعارِضَةٌ، كمَا تَرىٰ، وإنَّما ثَبَتَ عنهُ ﷺ: **«بَعْثَتُهُ مِنْ آي قِيامِ السَّاعَةِ»**. انتهى كلامُ السيِّد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وقد قال الشيخ مرعي في «بهجة الناظرين» بعْدَ ذِكْرِ قَوْلِ السُّيوطي في رسالة «الكشف»، ما نَصُّهُ: وهذا مَرْدُودٌ، لأنَّ كُلَّ مَن يتكلَّمُ بشَيْءٍ من ذلك فَهُوَ ظَنٌّ وحسْبانٌ، لا يقومُ عَلَيْهِ برهانٌ. انتهى.

وَقَالَ في «الإشاعة» بعد ذِكْرِ قَوْل السُّيُوطي: الَّذي فُهِمَ من الأحاديث أنَّ المَهْدِيَّ يَمْكُثُ في الأرض أربعين سنة، وأنَّ عيسىٰ يَمْكُثُ بعد الدَّجالِ أربعين سنة، كما رَوَاهُ الحاكِمُ عن ابن مَسْعُودٍ، فإنَّهُ ظَاهِرٌ في الأرْبَعِين بعد الدَّجّال، وإنَّ بَعْدَ عِيسَى يتولَّىٰ أمراءُ منهم القَحْطانِيُّ، يتولَّىٰ إحدى وعشرين سنة، ولِيُفْرَض لِبَقِيَّتِهم إلى طُلوع الشَّمْس من المَغْرِب عشرون سنة أيضاً، إنْ لم يَكُنْ أكثر؛ فهذه مئة وعشرون سنة.

ومَرَّ أنَّ الدَّجالَ يَمْكُثُ أربعين، فإنْ لَمْ تَكُنْ سنين فلا أقل من

مقدار سَنَتَيْن، لأنَّ أيَّامَهُ طِوال، وإنَّ بَعْدَ طلوعِ الشَّمْس من مَغْرِبها يَمْكُثُ الناس مئة وعشرين سنة.

وفي روايَةٍ: إنَّ الشرّارَ بَعْدَ الخيّار عشرون ومئة سنة.

وَرَدَ أيضاً أنَّ المُؤمِنين يتمتَّعُون بعد طلوعِها أربعين سنة، ثم يُسْرِعُ فيهم المَوْتُ، فهذه ثلاث مئة وعشرون سنة.

وقد مضىٰ بعد الألْفِ قريبٌ من ثمانين، فهذه أربع مئة، وإلى تمام هذه المئة تَبْلُغُ أربع مئة وثلاثين، وقد مَرَّ عن السُّيُوطي أنَّهُ لا تبلغُ خمس مئة، بلْ أخَذَ بَعْضُهُم من قولِهِ تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ١٨] وقوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية: ١٨٧] إنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ سنة سَبْعٍ بعد أربع مئة، فإنَّ عَد حُروفِ ﴿بَغْتَةً﴾ ألف وأربع مئة وسبع؛ والعِلْمُ عنْدَ اللّهِ.

فيَحْتَمِلُ خُروجُ المَهْدِيّ على رأسِ هذه المئة، ويَحْتَمِلُ أنْ يتأخر للمئة الثانيَةِ، ولا يَفُوتُها قَطْعاً، وإذا تأخَّرَ فلا بُدَّ أنْ يَبْعَثَ اللّهُ على رأس هذه المئة من يُحْيِى للأمَّةِ أمْرَ دِينِها، كما وَرَدَ في حديثٍ مَشْهورٍ.

وقال: وهَذِه كُلُّها مظْنُوناتٌ، وَرَدَ بها آحادُ الأخْبار، بَعْضُها صِحاحٌ، وبَعْضُها حِسانٌ، وبَعْضُها ضِعافٌ مع شَواهد، وبَعْضُها بِغَيْرِ شَواهد.

وغايَةُ ما ثَبَتَ بالأخْبارِ الصَّحِيحة الصريحة الكَثِيرَة الشَّهيرَةِ التي بَلَغَتِ التَّواتُرَ المَعْنَوِيَّ وجودُ الآياتِ العِظام التي أوَّلُها خُروجُ المَهْدِيِّ، وأنَّه يأتي في الزَّمان من وَلَدِ فاطِمة يَمْلأُ الأرْضَ عَدْلاً، كما مُلِئَتْ

جَوراً، وأنَّهُ يقاتِلُ الرُّومَ في المَلْحَمَةِ، ويَفْتَحُ القُسْطَنْطِينيّة ويخرجُ الدَّجّالُ في زَمَنِهِ، وينزلُ عيسَىٰ ويُصَلِّي خَلْفَهُ، وما سِوَىٰ ذلك كلّه أمورٌ مظنونَةٌ أو مشْكوكة؛ والله أعلم. انْتَهىٰ.

قُلْتُ: وَتمامُ الكَلام في ذلك ذَكَرْنَاهُ في كتابنا «حُجَجُ الْكَرَامَةِ» وبَحَثْنا عن مُدَّةِ الدُّنيا، ماضيها وباقيها في كتاب «لَقْطَةُ العَجْلان»، فَلْيُرْجَعْ إلَيْهِما.

والحقُّ الَّذي يَحقُّ الاتِّباع أنَّ أمْرَ السَّاعَةِ ممَّا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ سبحانه وتعالى، وَلَمْ يُعْلِمْها أحداً مِنْ خَلْقِهِ، وهو الأمورُ الخمسة التي لا يَعْلَمُها أحَدٌ إلا الله تعالى.

قالَ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية: ٣٤] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية: ٦٦].

وقال: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [٤٧ سورة محمد/ الآية: ١٨] وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية: ٦٣] وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [٢١ سورة الأنبياء/ الآية: ١] إلى غَيْرِ ذلك من الآيات.

وأما الأحاديث، فلا تكاد تَنْحصِرُ، وقد تقدَّمَ بَعْضُها.

نعم، جاءَتِ الأشراطُ كُلُّها، ولَمْ يَبْقَ منها إلا الكُبْرَى التي أوَّلُها خروجُ المَهْدِي، ثم تَتْبَع ذلك بقيَّتُها، وتأْذَنُ الدُّنْيا بالفَناءِ، وإلىٰ الله تَرْجعُ الأمورُ.

وقد أحاطَتْ هذا الزمان وأهلَه فِتَنٌ كثيرةٌ لا تُحْصَىٰ، خُصوصاً

ذَهابُ دَوْلة الإسلام، وحكومَةُ الإيمان، وغرْبةُ الدِّين، وفشوُّ البِدَعِ والمُضِلِّين، وقِلَّةُ العِلْم، وكَثْرَةُ الجهْلِ، وإيثارُ الخَلْقِ على الحقِّ والعاجِلَةُ على الآجِلَةِ، وتركُ الغَزْو، والقنوعُ بما في أيْدي النَّاس، والانهماكُ في أمْرِ المعاش، والإعراضُ عن الميعاد، وكَثْرَةُ التحاسُدِ والمفاسِدِ التي أسَرَتْ أفراحَ القُلوب، وشَقَّتْ قلوبَ المؤمِنين قبلَ الجُيوب.

فأَصْبَحُوا في حالٍ يعدُّونَ المَنايا أمانيا، ويَرُونَ ـ لِضَعْفِ الدِّين ووهْنِ اليقين ـ الموتَ طَبيباً شافياً، إذْ عَثَرَتْ خيولُ الفِتَنِ والنِّقَم، ووَلَّتْ جنودُ الدَّعَةِ والنِّعَم، وصارَتِ الدُّنيا كلُّها آفاتٌ وبلايا، وكم في الزوايا من رَزَايا.

وللسَّيِّد يحيى القُرْطُبيِّ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى قصيدَةٌ نَعَىٰ بها الإسلامَ، ونادَىٰ ملوكَ الرُّوم[2] وعلماءَها الأعلام، وذلك في عَهْدِ السُّلْطان سُلَيْمان [القانُوني] الذي دَخَلَ في خَبَرِ كانَ، فلم يَجِدْ بِها صَفِيّاً يقول له:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً

---

(١) وكذا نَسَبَها شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي في كتابه «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» /٣٧٠ ـ ٣٧٤؛ والمشهور نسبتها إلى أبي البقاء وأبي الطيب صالح بن شريف الرندي، الشاعر الأندلسي (٦٠١ ـ ٦٨٤هـ) راجع «مختارات من الشعر الأندلسي» الصفحات ١٥٠ ـ ١٦٠، و«أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس» كلاهما للدكتور محمد رضوان الداية. وقد قارنت بين ما ورد في الأصل وبين ما ورد في «الريحانة» وما ورد لدى الدكتور الداية، وميزت الزيادات بوضع نجمة قبل البيت إن كانت الزيادة عند الخفاجي عن ما ورد عن المنسوب للرندي؛ وأشرت بخط صغير قبل البيت لما لم يرد في «الريحانة».

(٢) أي: سلاطين آل عثمان.

فَاسْتَحْسَنْتُ خَتْمَ هَذا الكتابِ، بإنْشادِ ذَلِكَ الخطابِ؛ فَفِيهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وخِبْرَةٌ بالمبتدأ والخَبَرِ؛ وهي هذه:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلا يُغَرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دِوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
* وَعَالَمُ الْكَوْنِ لاَ تَبْقَىٰ مَحَاسِنُهُ ... وَلا يَدُومُ عَلَىٰ حَالٍ لَهَا شَانُ
ـ وهذه الدَّارُ لا تَبْقِي عَلَىٰ أَحَدِ ... وَلا يَدُومُ عَلَىٰ حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ مِنَّا كُلَّ سَابِغَةٍ ... إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وخُرْصَانُ
وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ ... كَانَ ابنَ ذِي يَزِنٍ وَالْغِمْدُ غُمْدَانُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ مِنْ إِرَمٍ ... وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ في الْفُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ
أَتَىٰ عَلَىٰ الْكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّىٰ قَضَوْا فَكَأَنَّ الْكُلَّ مَا كَانُوا
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِن مَلِكٍ ... كَمَا حَكَىٰ عَنْ خَيالِ الطَّيْفِ وَسْنَانُ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَىٰ دَارَا وَقَاتِلِهِ ... وَأَمَّ كِسْرَىٰ فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يُسْهِلْ لَهُ سَبَبٌ ... يَوْماً وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمانُ
فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَلِلْمَصَائِبِ سُلْوَانٌ يُهَوِّنُهَا ... وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلامِ سُلْوَانُ
دَهَىٰ الْجزِيرَةَ خَطْبٌ لا عَزاءَ لَهُ ... هَوَىٰ لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلانُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ في الإِسْلامِ فَامْتُحِنَتْ ... حَتَّىٰ خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ
فَسلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ ... وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ
وَأَيْنَ حِمْصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ ... وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَّاضٌ ومَلآنُ

* كَذَا طُلَيْطُلَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فكَمْ مِنْ فَاضِلٍ قَدْ سَما فِيهَا لَهُ شأنُ
* وَأَيْنَ غَرْناطَةٌ دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ أُسْدٍ بِهَا وَهُمُ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ
* وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُهَا كَأَنَّهَا مِنْ جِنانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ
قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلادِ فَمَا عَسَىٰ الْبُكَاءُ إِذا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
* وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقُصُورِ بِهَا قَدْ حَفَّ جَدْوَلَهَا زَهْرٌ وَرَيْحانُ
* وَنَهْرُهَا العَذْبُ يَحْكِي فِي تَسَلْسُلِهِ سُيُوفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ
* وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تُلِيَتْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آيٌ وَفُرْقَانُ
* وَعَالِمٌ كَانَ فِيهِ لِلْجَهُولِ هُدًى مُدرِّسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تِبْيَانُ
* وَعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهِلٌ وَالدَّمْعُ مِنْهُ عَلَىٰ الْخَدَّيْنِ طُوفَانُ
* وَأَيْنَ مَالَقَةٌ مَرْسَىٰ الْمَرَاكِبِ كَمْ أَرْسَتْ بِسَاحَتِهَا فُلْكٌ وَغِرْبَانُ
* وَكَمْ بِدَاخِلِهَا مِنْ شَاعِرٍ فَطِنٍ وَذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وَتِبْيَانُ
* وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنْزَهٍ فَرِجٍ وَجَنَّةٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَبُسْتَانُ
* وَأَيْنَ جَارَتُهَا الزَّهْرَا وَقُبَّتُهَا وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالٌ وَفُرْسَانُ
* وَأَيْنَ بَسْطةٌ دَارِ الزَّعْفَرَانِ فَهَلْ رَأَىٰ شَبِيهاً لَهَا فِي الْحُسْنِ إِنْسَانُ
* وَكَمْ شُجَاعٍ زَعِيمٍ فِي الْوَغَىٰ بَطَلٍ بَدَا لَهُ فِي الْعِدَىٰ فَتْكٌ وَإِمْعَانُ
* كَمْ جَنْدَلَتْ يَدُهُ مِنْ كَافِرٍ فَغَدَا تَبْكِيهِ مِنْ أرْضِه أهلٌ وولْدانُ
* ووَادِياً مَنْ غَدَتْ بِالْكُفْرِ عَامِرَةً وَرُدَّ تَوْحِيدُهَا شِرْكٌ وَطُغْيَانُ
* كَذَا أَلْمَرِيَّةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَمْ قُطْبٍ بِهَا عَلَمٍ غَوْثٍ لَهُ شَانُ
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَىٰ لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ
حَتَّىٰ الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةٌ حَتَّىٰ الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهْيَ عِيدَانُ
عَلَىٰ دِيَارٍ مِنَ الإِسْلام خَالِيَةٍ قَدْ أَقْفَرتْ وَلَها بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ

حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا   بِهِنَّ إلاَّ نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ   إنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ
وَمَاشِياً مَرِحاً يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ   أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ الْمَرْءَ أَوْطَانُ
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا   وَمَا لَهَا مَعْ طَوِيلِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
- يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَايَتُهُ   أَدْرِكْ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لا كَانُوا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً   كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً   كَأَنَّهَا فِي ظَلامِ اللَّيْلِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ دَعَةٍ   لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَمْرِ أَنْدَلُسٍ   فَقَدْ سَرَىٰ بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ   أَسْرَىٰ وَقَتْلَىٰ فَلا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
مَا ذَا التَّقَاطُعُ في الإِسْلامِ بَيْنَكُمُ   وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
أَلاَ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ   أَمَا عَلَىٰ الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِّمُوا فِرَقاً   سَطَا عَلَيْهِم بِهَا كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكاً فِي مَنَازِلِهِمْ   وَالْيَوْمَ هُمْ فِي قُيُودِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَىٰ لاَ دَلِيلَ لَهُمْ   عَلَيْهُمُ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
فَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ   لَهَالَكَ الأَمْرُ وَاسْتَهْوتْكَ أَحْزَانُ
يَا رُبَّ طِفْلٍ وَأُمٍّ حِيلَ بَيْنَهُمَا   كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
وَغَادَةٍ مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ بَارِزَةً   كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
يَقُودُهَا الْعِلْجُ عِنْدَ السَّبْيِ صَاغِرَةً   وَالْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالْقَلْبُ حَرَّانُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ   إنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إسْلامٌ وَإِيمَانُ
* هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ   تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ لَهَا شَانُ

* وَأَشْرَفَ الْحُورُ وَالوِلْدَانُ مِنْ غُرَفٍ فَازَتْ لعَمْرِي بِهَذَا الْخَيْرِ شُجْعَانُ
* ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَىٰ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ مَا هَبَّ رِيحُ صَباً وَاهْتَزَّ أَغْصَانُ

❁ ❁ ❁

هذا آخِرُ القَصِيدَةِ المُبْكِيَّةِ على ذَهابِ شَوْكَةِ الإِسْلام، المُبِينَةِ عن تَغيُّرِ أحوالِ الشُّهورِ والأعْوام، ولما كانَ فيها التحريضُ على الغَزْوِ وحمايَةِ الدِّين، أَلَّفْنَا في ذلك كتاباً مُخْتَصراً جامِعاً لفضائِلِهِ وأَحْكامِهِ، وسَمَّيْنَاهُ بـ «العِبْرَة مِمّا جَاءَ في الغَزْوِ والشَّهادة والهجرة»، وقَضَيْنَا وَطَرَ الإِبْلاغ والتَّبْليغ، امتثالاً لقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية: ١٨٧] والجهادُ باللِّسانِ أحَدُ الأقْسام.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تعالى قَبولَ الأعمال، وحُسْنَ الختام.

قَرُبَ الرَّحِيلُ إِلَىٰ دِيَارِ الآخِرَهْ فَاجْعَلْ إِلَهِي خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهْ
فَلَئِنْ رَحِمْتَ فَأَنْتَ أَكْرَمُ رَاحِمٍ وَبِحَارُ جُودِكَ يَا إِلَهِي زَاخِرَهْ
آنِسْ مَبِيتِي في الْقُبُورِ وَوِحْدَتِي وَارْحَمْ عِظَامِي حِينَ تَبْقَىٰ نَاخِرَهْ
فَأَنَا الْمُسَيْكِينُ الَّذِي أَيَّامُهُ وَلَّتْ بِأَوْزَارٍ غَدَتْ مُتَوَاتِرَهْ
وَتَوَلَّهُ بِاللُّطْفِ عِنْدَ مَآلِهِ يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَرَبَّ الآخِرَهْ

❁ ❁ ❁

موارد الكتاب

- التذكرة: للقرطبي.
- تحفة الإخوان: للفشني.
- فتح الباري: لابن حجر.
- مفردات الراغب الأصبهاني: محمد بن إسماعيل الأمير.
- الإشاعة لأشراط الساعة: للشهرزوري.
- القناعة: للسخاوي.
- الخطط والآثار: للمقريزي.
- اللامعة المنيرة: للبقاعي.
- أم العقائد: من كتب المهدوية.
- الهدية المهدوية: لأبي الرجاء محمد الهندي الحيدرآبادي.
- قصيدة يحيى: القرطبي.
- الكشف: للسيوطي [في مجاوزة هذه الأمة الألف].
- الشفا: للقاضي عياض وشرح مسلم والعبرة.
- المثل العاشر.
- بهجة النفوس.
- القسطلاني شرح البخاري.
- مركز المشكاة للقوريشتي.
- بهجة الناظرين للشيخ فرعي.

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة

❁ ❁ ❁